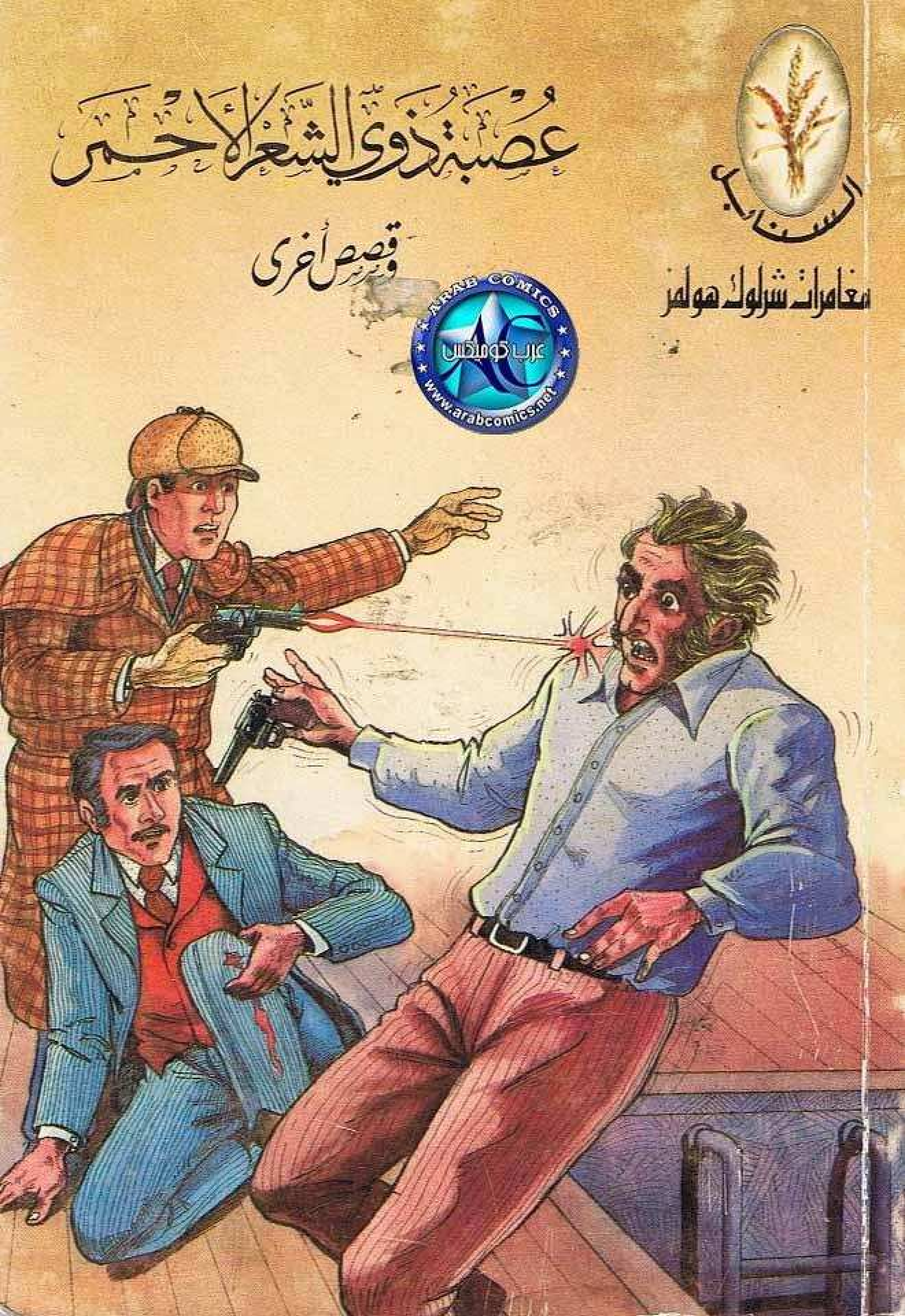
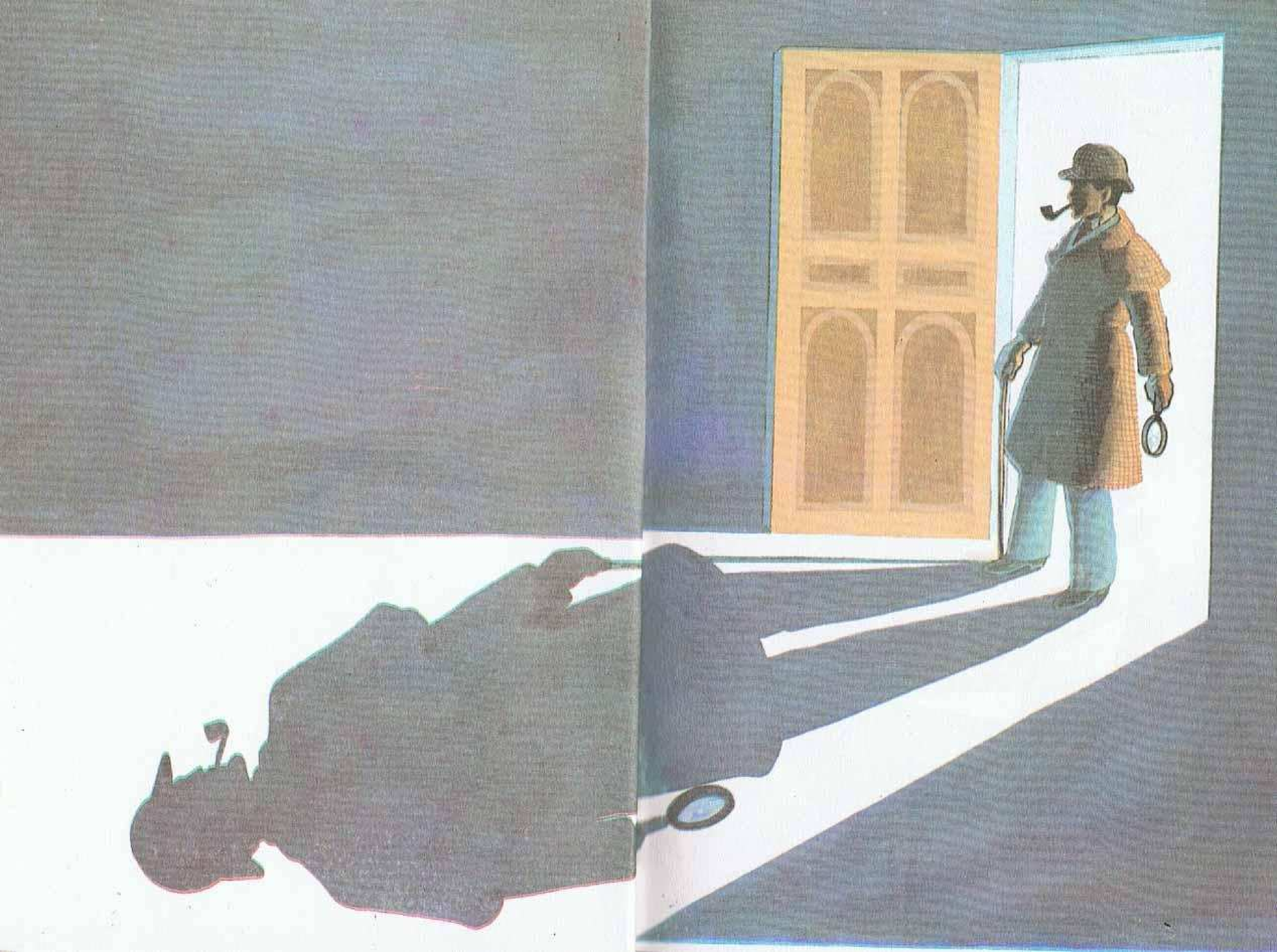

عصبة ذوي الشعر الأحمر
وقصص أخرى
السنابل
مغامرات شرلوك هولمز
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

الطبعة الأولى ١٩٩١

رقم الإيداع : ٢٤٤٩ / ١٩٩١

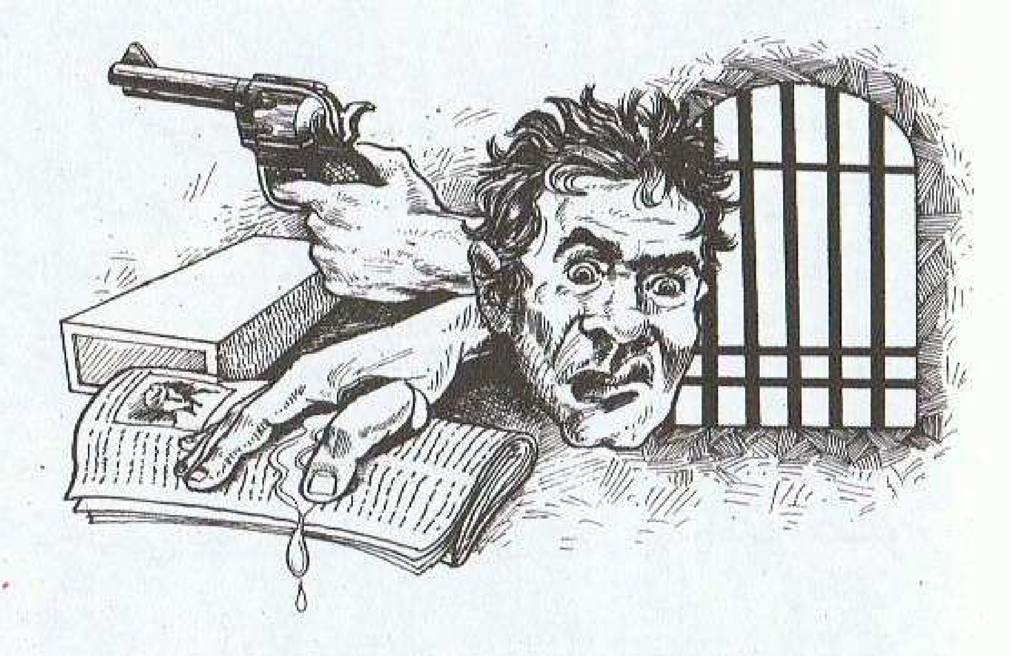
الترقيم الدولي : ISBN ٩٧٧ - ١٦ - ٠٠١٧ - ٦

طبع بمطابع دار المعارف



عصبة ذوي الشعر الأحمر

مغامرات شرلوك هولمز



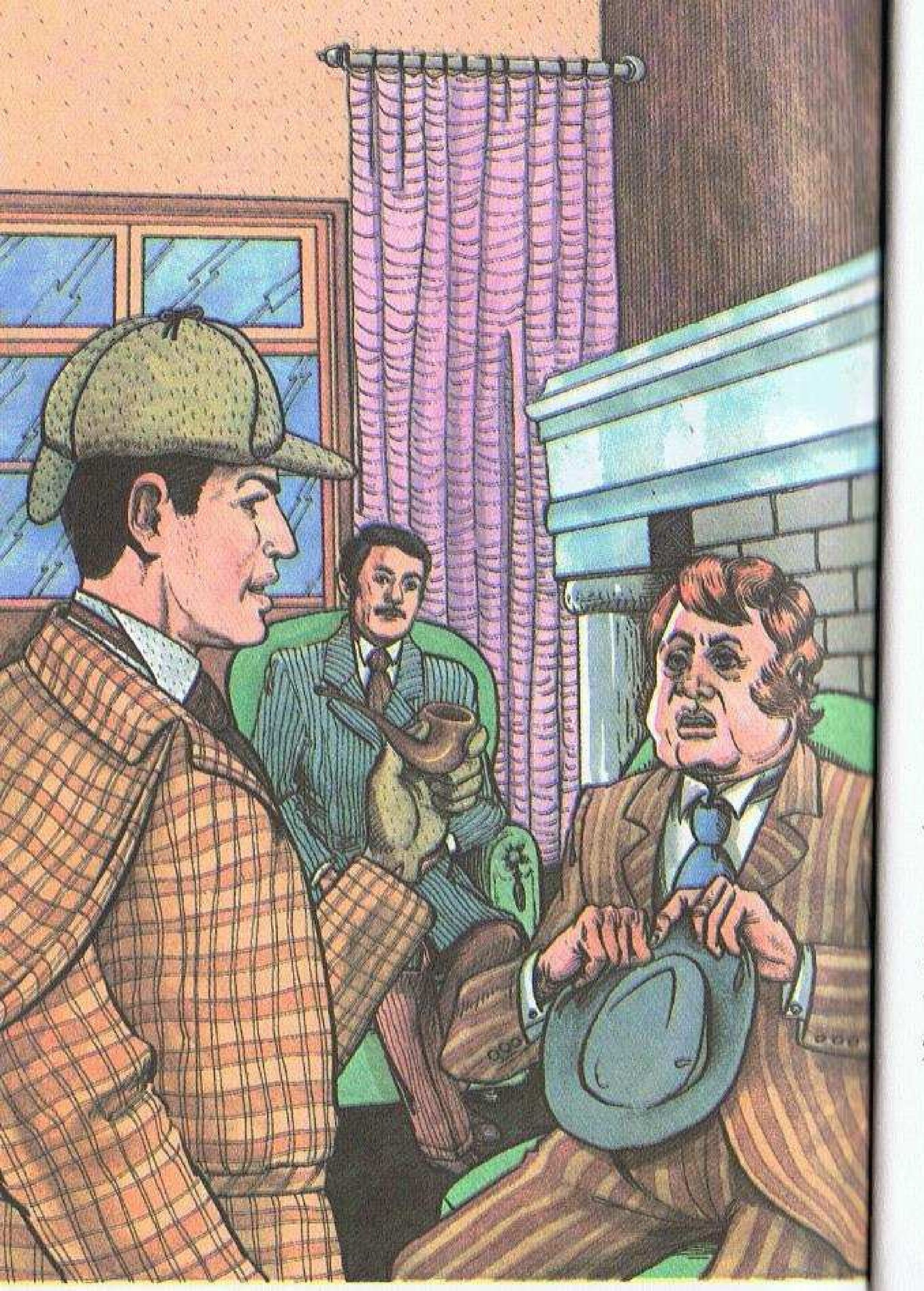
تأليف : سير آرثر كونان دويل

أعدها بالعربية : محمد فوزي موسى

رسوم : عبد الشافي سيد

مكتبة لبنان

بيروت



عُصْبَة ذَوي الشَّعْرِ الأَحْمَر

في صباح يَوْم سَبْتٍ مِنْ أَيّام الخَريفِ ذَهَبْتُ لِزيارَة صَديقي شِرْلُوك هُولمز في مَسْكَنِهِ ، فَوَجَدْتُ عِنْدَهُ زائِرًا عَجوزًا بَدينًا ، أَحْمَر الوَجْهِ ، شَعْرُهُ أَحْمَرُ لامِعٌ بِشَكْلٍ غَيْرِ عادِيٍّ . وَاعْتَذَرْتُ لِهُولمز قائِلاً : « مِنَ الأَفْضَل أَنْ أَرْحَلَ الآنَ ، لأَنّي أَراكَ مَشْغولاً .»

لكِنَّهُ جَذَبَني إلى داخِلِ الحُجْرَةِ ، وَأَغْلَقَ الباب خَلْفي ، وَهُوَ يُرَحِّبُ بي قائِلاً : « لَقَدْ جِئْتَ في وَقْتِكَ ، يا واطْسُن ، فَهذِهِ فُرْصَةٌ طَيِّبَةٌ .»

قُلْتُ : « إِنَّني أَخْشى أَنْ تَكونَ مَشْغولاً .» فَأَخْبَرَني أَنَّهُ مَشْغولٌ جِدًّا . وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْتَظِرَهُ في الحُجْرَةِ المُجاوِرَةِ ، فَلَمْ يُوافِقْ على ذَلِكَ ، وَنَظَرَ إلى ضَيْفِهِ قائِلاً : « لَقَدْ عاوَنَني واطْسُن في كَثيرٍ مِنَ القَضايا النّاجِحَةِ ، وَلَيْسَ لَدَيَّ شَكٌّ في أَنَّهُ سَوْفَ يُفيدُنا في هَذِهِ القَضِيَّةِ .»

قَدَّمَ هُولمز ضَيْفَهُ إِليَّ قائِلاً : « هذا جابيز وِيلْسون .» فَنهضَ الرَّجلُ مِنْ مَقْعَدِهِ ، وانْحَنى لِتحِيَّتي وَهُوَ يَتَفَحَّصُني بِعَيْنَيْنِ صَغيرتَيْنِ غائِرَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسْنا جميعاً .

قالَ هُولمز : « قُصَّ عَلَيْنا ، يا وِيلْسون ، قِصَّتَكَ مِنْ جَديدٍ حَتَّى يَسْتَمعَ إِلَيْها الدُّكتورُ واطْسُن ، وَلا تُغْفِلْ شَيْئاً مِنْ تَفاصيلِها ؛ فَقَدْ تُفيدُنا في هذِهِ القَضِيَّةِ الغَريبَةِ .»

وَأَخْرَجَ الرَّجُلُ قُصاصَةَ وَرَقٍ قَذِرَةً قَديمَةً ، اقْتَطَعَها مِنْ صَحيفَةٍ يَوْمِيَّةٍ ، وَأَخَذَ يَتَفَحَّصُ ما بِها مِنْ إِعْلاناتٍ .

أَدْرَكَ هُولمز ما يَدورُ بِذِهْني مِنْ أَفْكارٍ ، وَأَنا أُطيلُ النَّظَرَ إِلى ضَيْفِهِ، فَقالَ : « جَميلٌ أَنْ تُحاوِلَ ، يا واطْسُن ، أَنْ تَكونَ مُخْبِراً سِرِّيًّا . إِنَّ مَظْهَرَ السَّيِّدِ وِيلْسون يَدُلُّ عَلى ما كانَتْ عَلَيْهِ حَياتُهُ في الماضي ؛ فَمِنَ الواضِحِ أَنَّهُ كانَ يَشْتَغِلُ عامِلاً يَدَوِيًّا ، وَفي المُدَّةِ الأَخيرَةِ انْهَمَكَ في النَّسْخِ وَالتَّدْوينِ ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ قامَ مُؤَخَّراً بِزِيارَةِ الصِّينِ...»

دَهِشَ السَّيِّدُ وِيلْسون فَقالَ : « إِنَّني لَمْ أَذْكُرْ لَكَ شَيْئاً مِنْ هذا، فَكَيْفَ عَرَفْتَ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، أَنِّي كُنْتُ عامِلاً ؟! إِنَّكَ مُصيبٌ ، فَعِنْدَما كُنْتُ صَغيراً عَمِلْتُ نَجّاراً .»

أَجابَهُ هُولمز : « إِنَّ يَدَيْكَ تَدُلّانِ عَلى ذلِكَ ، فَإِنِّي أَرى يَدَكَ اليُمْنى أَكْبَرَ مِنَ اليُسْرى ، لِأَنَّكَ كُنْتَ تَسْتَخْدِمُها في عَمَلِكَ ، وَقَدْ أَثَّرَ ذلِكَ في نُمُوِّها .»

« وَلكِنْ خَبِّرْني كَيْفَ عَرَفْتَ أَنِّي عَمِلْتُ وَقْتاً طَويلاً في النَّسْخِ ؟!»

رَدَّ عَلَيْهِ : « وَجَدْتُ كُمَّكَ الأَيْمَنَ قَدْ بَلِيَ تَماماً قُرْبَ المِعْصَمِ، أَمّا الكُمُّ الأَيْسَرُ فَقَدْ تَآكَلَ عِنْدَ الكوعِ . وَالسَّبَبُ في ذَلِكَ أَنَّ مِعْصَمَكَ الأَيْمَنَ وَذِراعَكَ اليُسْرى كانا دائِمَيِ الاحْتِكاكِ بِمَكْتَبٍ، وَأَنَّكَ كُنْتَ تُمْضي وَقْتاً طَويلاً في النَّسْخِ .»

قالَ وِيلْسون وَقَدْ زادَتْ دَهْشَتُهُ : « هذا صَحيحٌ ! وَلكِنْ خَبِّرْني كَيْفَ عَرَفْتَ أَنِّي كُنْتُ في الصِّينِ ؟»

أَجابَ هُولمز : « إِنَّ الوَشْمَ المَوْجودَ عَلى مِعْصَمِكَ الأَيْمَنِ يُمَثِّلُ سَمَكَةً حَمْراءَ داكِنَةً ، وَهذا النَّوْعُ مِنَ الوَشْمِ لا يوجَدُ إِلّا في الصّينِ . واعْلَمْ أَنِّي خَبيرٌ في فَنِّ الوَشْمِ ، وَقَدْ أَلَّفْتُ عَنْهُ كِتاباً. كَما لاحَظْتُ قِطْعَةً مِنَ النُّقودِ الصِّينيَّةِ تَتَدَلّى مِنْ سِلْسِلَةِ ساعَتِكَ ، فَمِنَ السَّهْلِ أَنْ أَكْتَشِفَ أَنَّكَ قُمْتَ بِزِيارَةِ الصّينِ .»

ضَحِكَ وِيلْسون ، وَقالَ : « يا لَكَ مِنْ بارِعٍ ، يا سَيِّدُ هُولمز ! »

وَنَظَرَ هُولمز إِلَيَّ قائِلاً : « كانَ يَنْبَغي أَنْ لا أَسْتَطْرِدَ في تَفْسيرِ مُلاحَظاتي . والآنَ ، هَلْ عَثَرْتَ ، يا وِيلْسون ، عَلى الإِعْلانِ الَّذي كُنْتَ تَبْحَثُ عَنْهُ ؟ »

رَدَّ وِيلْسون وَهُوَ يُشيرُ بِأَصْبَعِهِ إِلى قِطْعَةِ الوَرَقِ الَّتي بِيَدِهِ : « لَقَدْ وَجَدْتُهُ ، يا سَيِّدي . ها هُوَ ذا . »

أَخَذْتُ مِنْهُ الوَرَقَةَ المَقْطوعَةَ مِنْ صَحيفَةٍ مَضى عَلَيْها شَهْرانِ ، وَقَرَأْتُ فيها هذا الإِعْلانَ :

عصبة ذوي الشعر الأحمر

في حاجَةٍ إِلى رَجُلٍ لِيَشْغَلَ وَظيفَةً جَديدَةً بِمَقَرِّ الجَماعَةِ الَّتي أَسَّسَها إِزكيا هوپكنز ، مِنْ پنسلڤانيا ، وَأَوْصى لَها بِمَبْلَغٍ كَبيرٍ مِنَ المالِ . وَالأَجْرُ المُقَرَّرُ لِهذِهِ الوَظيفَةِ أَرْبَعَةُ جُنَيْهاتٍ في الأُسْبوعِ ، وَ مَهامُّ العَمَلِ سَهْلَةٌ لِلْغايَةِ ، وَأَيُّ رَجُلٍ شَعْرُهُ أَحْمَرُ وَيَتَمَتَّعُ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ ، وَ لا يَقِلُّ عُمْرُهُ عَنْ واحِدٍ وَعِشْرينَ سَنَةً ، يُمْكِنُهُ التَّقَدُّمُ لِهذِهِ الوَظيفَةِ عَلى العُنْوانِ الآتي : مَبْنى « عُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأَحْمَرِ » ، ٧

شارِع فليت ، لَنْدَن ، في السّاعَةِ الحادِيَةَ عَشْرَةَ صَباحَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ .

دَنْكان روس

بَعْدَ أَنْ قَرَأْتُ الإِعْلانَ مَرَّتَيْنِ قُلْتُ لِهُولمز : « ما مَعْنى هذا ؟ »

ضَحِكَ قائِلاً : « إِنَّهُ إِعْلانٌ غَريبٌ إِلى حَدٍّ ما ، يا واطْسُن ! » ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى وِيلْسون وَقالَ : « الآنَ عَلَيْكَ أَنْ تُحَدِّثَنا عَنْ نَفْسِكَ وَبَيْتِكَ وَخَدَمِكَ ، وَ عَمّا تَعْرِفُهُ عَنْ ذَوي الشَّعْرِ الأَحْمَرِ . »

قالَ وِيلْسون : « حَسَنٌ ، أَيُّها السّادَةُ ؛ أَنا أَعْمَلُ مُرْتَهِناً ، وَيَقَعُ مَحَلّي في مَيْدانِ ساكْس – كوبيرغ ، هُنا في لَنْدَن . وَعَمَلي لَيْسَ ضَخْماً ، فَهُوَ يَكادُ لا يُحَقِّقُ رِبْحاً الآنَ ، وَكانَ يُساعِدُني في المَحَلِّ رَجُلانِ ، أَمّا الآنَ فَمَعي رَجُلٌ واحِدٌ . وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنَّ هذا الرَّجُلَ مُسْتَعِدٌّ لأَنْ يَقْبَلَ نِصْفَ أَجْرِهِ ؛ لأَنَّ لَدَيْهِ الرَّغْبَةَ في تَعَلُّمِ أُصولِ العَمَلِ . »

قالَ هُولمز : « ما اسْمُ هذا الرَّجُلِ ؟ »

أَجابَ وِيلْسون : « اِسْمُهُ ڤينسنت سبولدنغ . وَلا أَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ عُمْرِهِ ، وَلكِنَّهُ لَيْسَ صَغيراً ، وَهُوَ عامِلٌ مُمْتازٌ يُمْكِنُهُ أَنْ يَكْسِبَ مالاً

أكْثَرَ في مَكانٍ آخَرَ ، لكِنّي لَمْ أُخْبِرْهُ بِذلِكَ .»

قالَ هولْمز : « يَحْسُنُ أنْ لا تُخْبِرَهُ بِذلِكَ . وَلكِنْ أ لَيْسَتْ لِهذا الشّابِّ عُيوبٌ ؟»

أجابَ : « إنَّ عَيْبَهُ الوَحيدَ هُوَ هِوايَتُهُ لِلتَّصْويرِ ! إنَّهُ يُمَضّي وَقْتاً طَويلاً في القَبْوِ حَيْثُ يَقومُ بِتَحْميضِ الأفْلامِ وَطَبْعِها ، فَهُوَ كالأرْنَبِ المُخْتَبِئِ في جُحْرِهِ ! وَفيما عَدا ذلِكَ هُوَ عامِلٌ مُمْتازٌ .»

سَألَهُ هولْمز : « هَلْ لَدَيْكَ أحَدٌ مِنَ الخَدَمِ ؟»

قالَ : « أجَلْ ، لَدَيَّ فَتاةٌ تَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ أرْبَعَةَ عَشَرَ عاماً ، تَقومُ بِأعْمالِ الطَّهْيِ وَتَنْظيفِ المَنْزِلِ ، وَتُقيمُ مَعي هِيَ وَمُساعِدي سبولْدِنغ ، لأنَّ زَوْجَتي ماتَتْ مُنْذُ مُدَّةٍ ، وَلا يوجَدُ لَدَيَّ أطْفالٌ . وَفي يَوْمِ اثْنَيْنِ ، مُنْذُ شَهْرَيْنِ ، جاءَني سبولْدِنغ في مَكْتَبي ، وَبِيَدِهِ هذِهِ الصَّحيفَةُ ، وَقالَ : « مِنْ سوءِ حَظّي أنَّ شَعْري لَيْسَ أحْمَرَ !» فَسَألْتُهُ : « لِماذا تَقولُ هذا ؟ » فَأجابَ : « هذا إعْلانٌ لِعُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأحْمَرِ ، وَلَوْ كانَ شَعْرُ رَأسي أحْمَرَ ؛ لاسْتَطَعْتُ أنْ أحْصُلَ عَلى عَمَلٍ سَهْلٍ بِأجْرٍ مُرْتَفِعٍ .» وَسَألْتُهُ عَنْ هذِهِ العُصْبَةِ ، فَبَدَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ وَهُوَ يَسْألُني : « أ لَمْ تَسْمَعْ بِها ؟! إنَّها جَماعَةٌ مِنَ الرِّجالِ ذَوي الشَّعْرِ الأحْمَرِ ، وَلِهذا أرى أنَّ في

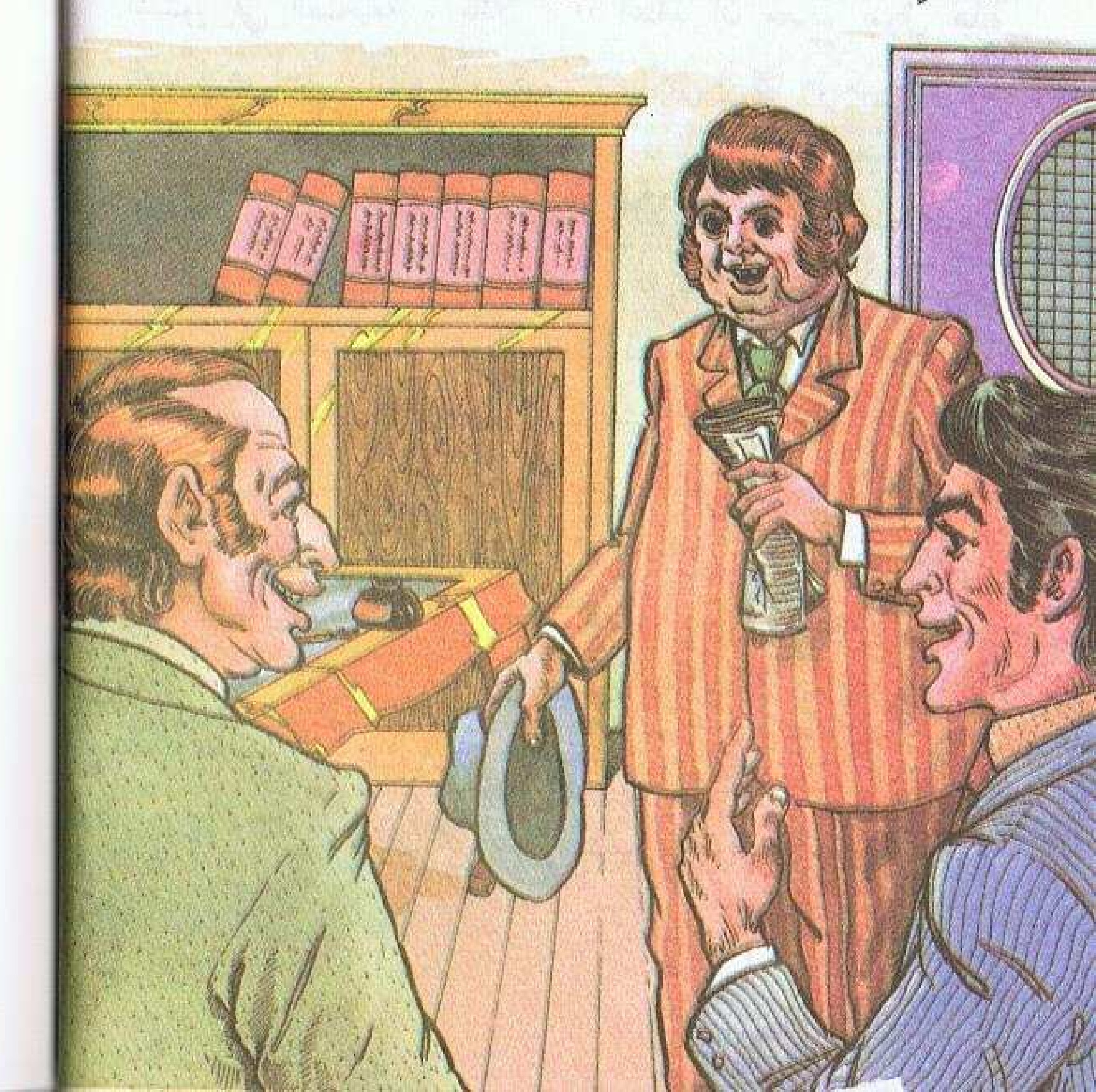
اسْتِطاعَتِكَ التَّقَدُّمَ لِهذِهِ الوَظيفَةِ .» وَسَألْتُهُ عَنِ الأجْرِ فَقالَ : « إنَّهُ أرْبَعَةُ جُنَيْهاتٍ في الأسْبوعِ نَظيرَ عَمَلٍ بَسيطٍ ؛ وَعَلى ذلِكَ يُمْكِنُكَ ، إنْ حَصَلْتَ عَلى هذِهِ الوَظيفَةِ ، أنْ تَسْتَمِرَّ في عَمَلِكَ هُنا أيْضاً .»

« لَمّا وَجَدْتُ أنَّ هذا المَبْلَغَ سَوْفَ يُفيدُني كَثيراً ، طَلَبْتُ مِنْ مُساعِدي أنْ يَزيدَني عِلْماً بِهذِهِ الوَظيفَةِ ، فَأطْلَعَني عَلى الإعْلانِ المَنْشورِ في الصَّحيفَةِ ، قائِلاً : « أعْتَقِدُ أنَّ مَصْدَرَ أمْوالِ هذِهِ العُصْبَةِ هُوَ أحَدُ الأثْرِياءِ الأمْريكِيّينَ ، وَيُدْعى إزْكِيا هوپكِنز . وكانَ رَجُلاً غَريبَ الأطْوارِ ، ذا شَعْرٍ أحْمَرَ ، وَقَدْ آلَتْ أمْوالُهُ بَعْدَ وَفاتِهِ إلى عُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأحْمَرِ . وكانَ قَدِ اشْتَرَطَ أنْ يَكونَ أعْضاؤُها مِنَ الرِّجالِ...» فَقاطَعْتُ حَديثَهُ قائِلاً : « لكِنْ هُناكَ الآلافُ مِنَ الرِّجالِ لَهُمْ شَعْرٌ أحْمَرُ ، وَإذا تَقَدَّمْتُ لِهذِهِ الوَظيفَةِ فَلَنْ تَكونَ ثَمَّةَ فُرْصَةٌ كَبيرَةٌ لِلظَّفَرِ بِها .» غَيْرَ أنَّ الفَتى قاطَعَني قائِلاً : « إنَّكَ مُخْطِئٌ ، يا سَيِّدي ، فَإنَّ عُصْبَةَ ذَوي الشَّعْرِ الأحْمَرِ لا تَقْبَلُ أنْ يَعْمَلَ مَعَها سِوى مَنْ وُلِدَ في لَنْدَنَ مِنَ الرِّجالِ ، لأنَّ إزْكِيا هوپكِنز وُلِدَ فيها ، وَهُوَ يَعْشَقُ هذا المَكانَ العَتيقَ . وَلَنْ يَسْتَطيعَ أنْ يَظْفَرَ بِهذِهِ الوَظيفَةِ إلّا مَنْ كانَ شَعْرُهُ أحْمَرَ لامِعاً مِثْلَكَ ، وَلِهذا أرى أنْ تَتَقَدَّمَ بِطَلَبٍ ، وَأنا موقِنٌ مِنْ نَجاحِكَ .»

« وَفي النِّهايَةِ قَرَّرْتُ أنْ أعْمَلَ بِنَصيحَةِ سبولْدِنغ ، وَأتَقَدَّمَ لِهذِهِ

الوَظيفَةِ ، وَأنا موقِنٌ مِنْ أنّهُ سوْفَ يَتوسّطُ لي لدى العُصْبَةِ ؛ لِما لَهُ مِنْ دِرايَةٍ واسِعَةٍ بِها . وَطَلَبْتُ مِنْهُ أنْ يُغْلِقَ المَحلّ وَيَصْحَبَني إلى مَقرّ العُصْبَةِ .

« وَسَرْعانَ ما وَصَلْنا ، وَكانَ الشّارِعُ الصّغيرُ يَبْدو وَكَأنّهُ سَلّةُ بُرْتُقالٍ ؛ فَقَدْ كانَ مُكْتَظًّا بِجَمْعٍ غَفيرٍ مِنْ ذَوي الشّعْرِ الأحْمَرِ ،



وَ لكِنْ لَمْ يكُنْ بَيْنَهُمْ مَنْ يَمتازُ بِشَعْرٍ أحْمَرَ لامعٍ مِثْلِ شَعْري .»
وَسَكَتَ هُنَيْهَةً كَأنّهُ يَسْتَرجِعُ الأحْداثَ ، ثُمّ عادَ وَتابَعَ قِصّتَهُ :
« وَشَقّ مُساعِدي الطّريقَ وَسْطَ الزّحامِ ماسِكًا بِيَدي ، حَتّى وَصَلْنا إلى سُلّمِ المَبْنى الّذي تُقيمُ فيهِ العُصْبَةُ . وَكُنْتُ أرى الرّجالَ يَتدافعونَ إلى داخِلِ المَبْنى وَ وُجوهُهُمْ مُشْرِقَةٌ بِالأمَلِ ، كَما كُنْتُ أرى غَيْرَهُمْ يَخْرُجونَ وَهُمْ يَجُرّونَ أذْيالَ الخَيْبَةِ وَالفَشَلِ . وَاسْتَطَعْنا في النّهايَةِ أنْ نَصِلَ إلى مَقرّ العُصْبَةِ ، وَهُوَ عِبارَةٌ عَنْ حُجْرَةٍ قَليلَةِ الأثاثِ ، بِها مَقْعَدانِ وَمِنْضَدَةٌ صَغيرَةٌ وَخِزانَةٌ لِلْكُتُبِ . وَكانَ يَجْلِسُ بِجانِبِ المِنْضَدَةِ رَجُلٌ ضَئيلُ الجِسْمِ ، شَعْرُهُ أكْثَرُ حُمْرَةً مِنْ شَعْري ، يَخْتَلِقُ الأعْذارَ لِكُلِّ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَيَرُدّهُ خائِبًا . وَحينَما جاءَ دَوْري ، قابَلَني الرّجُلُ بِبَشاشَةٍ غَيْرِ مَعْهودَةٍ فيهِ ، وَأغْلَقَ البابَ حَتّى يَتَمكّنَ مِنَ الحَديثِ مَعي أمامَ مُساعِدي .

« وَقَدّمَني سبولْدِنْغ إلى الرّجُلِ قائِلاً : «« هذا هُوَ جابيز وِيلْسون الّذي حَدّثْتُكَ عَنْهُ . إنّهُ مُسْتَعِدٌّ لأنْ يَقْبَلَ الوَظيفَةَ الّتي أعْلَنْتُمْ عَنها .»» فَرَدّ عَلَيْهِ الرّجُلُ : «« إنّ شَعْرَهُ يَبْدو رائِعًا . لكِنْ قُلْ لي بِرَبّكَ هَلْ هُوَ شَعْرٌ طَبيعِيٌّ ؟! فَقَدْ حاوَلَ البَعْضُ خِداعَنا ، وَعَلَيْنا أنْ نَكونَ حَذِرينَ ! »» ثُمّ قَبَضَ عَلى شَعْري بِكِلْتا يَدَيْهِ وَشَدّهُ بِقُوّةٍ حَتّى صِحْتُ مِنَ الألَمِ ، فَقالَ الرّجُلُ : «« إنّ الدُّموعَ الّتي في عَيْنَيْكَ

دُموعٌ حقيقيَّةٌ ، لِذَلِكَ قرَّرتُ أنْ أعهَدَ بِالوَظيفةِ إليْكَ .» ثُمَّ صافَحَني بِحرارةٍ مُهنِّئًا ، وَتَوجَّهَ إلى النّافذةِ مُعْلِنًا : « لَقدْ وَجدْنا الرَّجلَ المُناسِبَ لِلْوظيفةِ المُعْلَنِ عَنْها ، وَيُمكِنُكُمْ جميعًا الانْصرافُ .»

« وَسرْعانَ ما رَحلَ الجميعُ ، ولَمْ يبْقَ بِمقرِّ العُصْبَةِ ، إلّا الرَّجُلُ الضَّئيلُ الجِسْمِ ، الَّذي قَدَّمَ إليَّ نَفْسَهُ قائِلاً : « أنا دنْكان رُوس ، سِكْرتيرُ عُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأحْمرِ . سأُحدِّثُكَ الآنَ عَنْ واجباتِ وَظيفتِكَ الجديدةِ . متى يُمكِنُكَ أنْ تبْدأَ العَمَلَ ؟» أجبْتُهُ : « إنَّ الوَقْتَ غيرُ مُناسِبٍ الآنَ ، حَيْثُ إنَّ لَدَيَّ بَعْضَ الأعْمالِ الَّتي لا بُدَّ مِنْ إنْجازِها » غيْرَ أنَّ مُساعِدي سبولْدِنْغ تَدخَّلَ قائِلاً : « لا تَقْلَقْ ، يا سَيِّدي ؛ فَسأتَوَلّى جَميعَ هذِهِ الأعْمالِ نِيابَةً عَنْكَ .»

« وَسألْتُ السَّيِّدَ رُوس عَنْ ساعاتِ العَمَلِ ، فَعَرَفْتُ أنَّها مِنَ العاشِرَةِ صَباحًا حَتّى الثّانِيَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ . وَلَمّا كانَ مُعْظَمُ أعْمالي يَتِمُّ في المَساءِ ؛ لِذا سَهُلَ عَلَيَّ أنْ أقْبَلَ الوَظيفةَ الجَديدَةَ ، خاصَّةً وَأنَّ سبولْدِنْغ كانَ قَدْ أتْقَنَ العَمَلَ ، وَ وَجَدْتُ أنَّ في اسْتِطاعَتِهِ تَصْريفَ الأمورِ نِيابَةً عَنّي . ثُمَّ سألْتُ السَّيِّدَ رُوس عَنْ طَبيعَةِ العَمَلِ ، فَأجابَني : « يَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَمكُثَ هُنا طَوالَ مُدَّةِ العَمَلِ ، مِنَ العاشِرَةِ حَتّى الثّانِيَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ . وَإذا حَدَثَ وَتَرَكْتَ المَبْنى خِلالَ

هَذِهِ المُدَّةِ ؛ فإنَّكَ ستَفقِدُ عَملَكَ نِهائيًّا ، فَعليْكَ أنْ تَمكُثَ حتّى وإنْ كُنْتَ مَريضًا ! فَلنْ تَقبَلَ العُصْبَةُ مِنكَ أيَّ عُذْرٍ لِتَغيُّبِكَ ، فَهذِهِ هِيَ القَواعِدُ الَّتي وَضَعَها مُؤسِّسُ العُصْبَةِ في وَصيَّتِهِ . أمّا عَملُكَ فَهُوَ نَسْخُ المَكْتوبِ في دائِرَةِ المَعارِفِ البِريطانيَّةِ المَوْجودَةِ هُنا . وَعَليْكَ أنْ تُحْضِرَ مَعَكَ الوَرقَ اللّازِمَ وَالقَلَمَ وَ المِحْبَرَةَ . هَلْ في إمْكانِكَ أنْ تَبْدأَ مِنَ الغَدِ ؟» فأجبْتُهُ : « بِالتَّأكيدِ !» فَقالَ مُبْتَسِمًا : « أنا سَعيدٌ بِاخْتِيارِكَ لِهذِهِ الوَظيفَةِ الهامَّةِ .»

« رَجَعْتُ إلى البَيْتِ يُرافِقُني مُساعِدي ، وَقَدْ غَمرَتْني السَّعادَةُ لِحُسْنِ حَظّي . وَفي الصَّباحِ اشْتَرَيْتُ الوَرَقَ اللّازِمَ ، وَعُدْتُ إلى مَقرِّ العُصْبَةِ ، غَيْرَ أنّي بَدَأْتُ أشُكُّ في أمْرِها ، مَعَ أنَّ كُلَّ شَيْءٍ سارَ عَلى ما يُرامُ . فَقدْ حَدَّدَ لِيَ السَّيِّدُ رُوس الكَمِّيَّةَ الَّتي يَنْبَغي عَلَيَّ إنْجازُها مِنْ دائِرَةِ المَعارِفِ ، وَتَرَكَني وَانْصَرَفَ ، ثُمَّ عادَ إليَّ في السّاعَةِ الثّانِيَةِ ، وَأظْهَرَ اسْتِحْسانَهُ لِلْكَمِّيَّةِ الَّتي نَسَخْتُها ، وَخَرَجْنا مِنَ المَكْتَبِ ثُمَّ أغْلَقَ بابَهُ بِقُفْلٍ مَتينٍ .

« أمْضَيْتُ في هذا العَمَلِ ثَمانِيَةَ أسابيعَ ، وَكانَ السَّيِّدُ رُوس يَدْفَعُ لي في نِهايَةِ كُلِّ أسْبوعٍ أرْبَعَةَ جُنَيْهاتٍ ذَهَبِيَّةٍ . وَكانَ مُعْتادًا أنْ يَزورَني في أوَّلِ الأمْرِ عِدَّةَ مَرّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، لكِنَّهُ انْقَطَعَ بَعْدَ مُدَّةٍ عَنِ المَجيءِ نِهائيًّا . أمّا أنا فَلَمْ أتَغَيَّبْ عَنِ العَمَلِ حَتّى لا أفْقِدَ هذِهِ

الوَظيفَةَ المُرْبِحَةَ .

« نَسَخْتُ كَثيرًا مِنَ المَوْضوعاتِ ، مِمّا كَلَّفَني شِراءَ كَمِّيَّةٍ مِنَ الوَرَقِ ، وَكِدْتُ أَمْلأُ رَفًّا بِما كَتَبْتُ . وَكُنْتُ أوشِكُ أَنْ أَبْدَأَ مَوْضوعًا جَديدًا ، وَلكِنْ فَجْأَةً انْتَهى كُلُّ شَيْءٍ !»

قالَ هُولْمز مُتَعَجِّبًا : « اِنْتَهى كُلُّ شَيْءٍ ؟! ماذا تَقولُ ؟!»

رَدَّ وِيلْسون : « نَعَمْ ، انْتَهى كُلُّ شَيْءٍ ؛ فَقَدْ حَدَثَ ذاتَ صَباحٍ ، عِنْدَما تَوَجَّهْتُ لِلعَمَلِ كالمُعْتادِ في السّاعَةِ العاشِرَةِ ، أَنْ وَجَدْتُ البابَ لا يَزالُ مُغْلَقًا ، وَقَدْ ثُبِّتَتْ عَلَيْهِ هذِهِ البِطاقَةُ .» ثُمَّ قَدَّمَها إلَيَّ فَوَجَدْتُها قِطْعَةً مِنَ الوَرَقِ صَغيرَةً مُرَبَّعَةَ الشَّكْلِ ، وَقَدْ كُتِبَ عَلَيْها بِخَطٍّ واضِحٍ :

انتهى أمر عصبة الشعر الأحمر . و لم يعد لها وجود بعد الآن . الرابع من أكتوبر .

عِنْدَما انْتَهى الرَّجُلُ مِنْ كَلامِهِ ، لَمْ أَسْتَطِعْ أنا وَهولْمز أَنْ نَكْتُمَ الضَّحِكَ ، وَتَساءَلَ هُولْمز : « ماذا فَعَلْتَ بَعْدَ ذلِكَ ؟»

أجابَ : « طَرَقْتُ جَميعَ أَبْوابِ المَبْنى ، وَسَأَلْتُ كُلَّ مَنْ قابَلْتُهُ عَنِ السَّيِّدِ دنكان رُوس ، فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا يَعْرِفُهُ ، فَذَهَبْتُ إلى

صاحِبِ المَبْنى فَأَخْبَرَني بِأَنَّهُ لا يَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ عُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأَحْمَرِ ، أَوْ عَنْ هذا الرَّجُلِ الَّذي يَعْمَلُ سِكِرتيرًا لها . وَلَمّا سَأَلْتُهُ عَنْ صاحِبِ الشَّعْرِ الأَحْمَرِ ، أَجابَني بِأَنَّهُ يُدْعى وِلْيَم مُوريس ، وَيَعْمَلُ مُحامِيًا ، وَقَدْ تَرَكَ هذا المَكانَ أَمْسِ ، فَسَأَلْتُهُ : « أَيْنَ أَجِدُهُ ؟» فَأَجابَني : « يُمْكِنُكَ التَّوَجُّهُ إِلَيْهِ في عُنْوانِهِ الجَديدِ – ١٧ شارِعُ المَلِكِ إِدْوارْد .» وَذَهَبْتُ إِلى هذا العُنْوانِ ، فَوَجَدْتُهُ مَصْنَعًا صَغيرًا ، وَقابَلْتُ مُديرَ المَصْنَعِ فَأَخْبَرَني بِأَنَّهُ لا يوجَدُ أَحَدٌ بِاسْمِ مُوريس أَوْ رُوس ، وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ بِهذَيْنِ الاسْمَيْنِ بَيْنَ رِجالِ المَصْنَعِ مِنْ قَبْلُ . وَ لَمّا تَعَذَّرَ عَلَيَّ مَعْرِفَةُ مَكانِ الرَّجُلِ ، ذَهَبْتُ إِلى مَحَلّي وَطَلَبْتُ مِنْ مُساعِدي سبولدنغ أَنْ يَدُلَّني عَلى وَسيلَةٍ ، لِكَيْ أَلْتَقيَ السَّيِّدَ رُوس ، فَلَمْ يَذْكُرْ لي شَيْئًا مُهِمًّا ، غَيْرَ أَنَّهُ قالَ لي يُطَمْئِنُني : « إِنَّ السَّيِّدَ رُوس سَوْفَ يَكْتُبُ لي بِالتَّأْكيدِ .»

« وَلَمْ أَقْتَنِعْ بِكَلامِ مُساعِدي ، يا سَيِّدُ هُولْمز ، لِهذا جِئْتُ إِلَيْكَ حَتّى لا تَضيعَ مِنْ يَدَيَّ الجُنَيْهاتُ الأَرْبَعَةُ التي أَتَقاضاها أُسْبوعِيًّا .»

قالَ لَهُ هُولْمز : « لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعًا بِحُضورِكَ إِلَيَّ ، فَإِنَّ المَوْضوعَ يَبْدو خَطِرًا .»

قالَ وِيلْسون : « إِنَّهُ في الحَقيقَةِ خَطِرٌ لِلغايَةِ ، وَيَبْدو أَنّي قَدْ

فَقَدْتُ أجْرَ الوَظيفَةِ الَّتي كُنْتُ أشْغَلُها .»

قالَ هولمز : « لا داعِيَ لِلأسى ، فَقَدْ رَبِحتَ اثْنَيْنِ وَثَلاثين جُنَيْهاً ، وَلا تَنْسَ أَنَّكَ حَصَلْتَ عَلى الكَثيرِ مِنَ المَعْلوماتِ ، وَأَنْتَ تَنْسَخُ المَوْضوعاتِ المُدَوَّنَةَ بِدائِرَةِ المَعارِفِ . وَالآنَ عَلَيْكَ أَنْ تُجيبَ عَنْ أَسْئِلَتي : « ما المُدَّةُ الَّتي قَضاها سبولْدِنغ في خِدْمَتِكَ ؟»

أجابَهُ وِيلْسون : « ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ .»

سَأَلَهُ هولمز : « كَيْفَ اخْتَرْتَهُ لِلْعَمَلِ عِنْدَكَ ؟»

أجابَ وِيلْسُون : « حَضَرَ إِلَيَّ بِناءً عَلى إِعْلانٍ قُمْتُ بِنَشْرِهِ في الصُّحُفِ .»

سَأَلَهُ هُولمز : « هَلْ تَقَدَّمَ غَيْرُهُ لِهذِهِ الوَظيفَةِ ؟»

أجابَ وِيلْسون : « أَجَلْ ، أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ رِجالٍ .»

قالَ هُولمز : « لِماذا اخْتَرْتَ هذا الرَّجُلَ بِالذّاتِ ؟»

قالَ وِيلْسُون : « بَدا لي شابًّا عاقِلاً ، كَما أَخْبَرَني بِأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لأَنْ يَقْبَلَ نِصْفَ الأَجْرِ .»

سَأَلَ هُولمز : « هَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تَصِفَهُ ؟»

أجابَ وِيلْسُون : « إِنَّهُ ضَئيلُ الجِسْمِ ، لكِنَّهُ لَيْسَ نَحيفاً ، كَما أَنَّهُ سَريعُ الحَرَكَةِ ، وَلَهُ وَجْهٌ خالٍ مِنَ الشَّعْرِ مَعَ أَنَّ عُمْرَهُ لا يَقِلُّ عَنِ الثَّلاثينَ عاماً ، وَيوجَدُ فَوْقَ عَيْنَيْهِ مُباشَرَةً عَلامَةٌ بَيْضاءُ .»

عِنْدَئِذٍ قالَ هُولمز مُنْفَعِلاً : « عَلامَةٌ بَيْضاءُ ! وَلَهُ أُذُنانِ مَثْقوبَتانِ ، أَلَيْسَ كَذلِكَ ؟!»

أجابَ وِيلْسُون : « بَلى ، أُذُناهُ مَثْقوبَتانِ .»

نَهَضَ هُولمز قائِلاً : « لَقَدْ فَهِمْتُ اللُّعْبَةَ ! » وَنَظَرَ إِلى وِيلْسون وَهُوَ يُتابِعُ كَلامَهُ : « سَوْفَ أُفَكِّرُ في هذا الأَمْرِ جَيِّداً . إِنَّ اليَوْمَ هُوَ السَّبْتُ ، وَآمُلُ أَنْ يَتَّضِحَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ .»

تَرَكْنا وِيلْسُون ، فَسَأَلَني هُولمز : « ما رَأْيُكَ ، يا واطْسُن ، في عُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأَحْمَرِ ؟»

قُلْتُ : « إِنّي لا أَعْرِفُ عَنْها شَيْئًا عَلى الإِطْلاقِ ، وَهِيَ تَبْدو لي غامِضَةً تَماماً .»

قالَ هُولمز : « لا بُدَّ مِنَ القِيامِ بِعَمَلٍ جادٍّ الآنَ .»

سَأَلْتُهُ : « ما نَوْعُ هذا العَمَلِ ؟»

قالَ : « لا بُدَّ مِنْ أَنْ أَسْتَمْتِعَ بِالتَّدْخينِ مُدَّةً لا تَقِلُّ عَنْ خَمْسينَ

دَقيقَةً ، نَظَلُّ خِلالَها صامِتَيْنِ لا نَتَحدَّثُ .»

اِعْتَدَلَ هُولمز في مَقْعَدِهِ ، وَأَخَذَ يَسْحَبُ الأَنْفاسَ مِنْ غَليونِهِ العَتيقِ الأَسْوَدِ . وَطالَ بِنا الوَقْتُ حَتّى اعْتَقَدْتُ أَنَّ هُولمز قَدِ اسْتَغْرَقَ في النَّوْمِ ، وَ لكِنَّهُ هَبَّ فَجْأَةً ، وَ وَضَعَ غَلْيونَهُ على المِنْضَدَةِ قائِلاً : « ما رَأْيُكَ ، يا واطْسُن ، في أَنْ تَصْحَبَني بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ لِسَماعِ المُوسيقى ؟»

قُلْتُ على الفَوْرِ : « لا مانِعَ لَدَيَّ ، فَلَيْسَ ثَمَّةَ ما يَشْغَلُني .»

قالَ : « إِذاً هَيّا بِنا ، فَأَنا أَرْغَبُ في إِلْقاءِ نَظْرَةٍ عَلى مَيْدانِ ساكْس – كوبَرْغ ، حَيْثُ يوجَدُ مَتْجَرُ وِيلْسُون ، قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ لِسَماعِ المُوسيقى . كَما أَنّي أُفَضِّلُ أَنْ نَتَناوَلَ وَجْبَةَ الغَداءِ قَبْلَ هذا كُلِّهِ .»

ذَهَبْنا إِلى المَيْدانِ المَطْلوبِ بِقِطارِ الأَنْفاقِ ، وَأَكْمَلْنا الطَّريقَ سَيْراً عَلى الأَقْدامِ ، فَأَلْفَيْنا المَتْجَرَ في مِنْطَقَةٍ كَئيبَةٍ يُخَيِّمُ عَلَيْها الفَقْرُ ، وَيَتَوسَّطُها بَعْضُ الحَشائِشِ القَذِرَةِ ، وَقَليلٌ مِنَ الشُّجَيْراتِ ، وَيَتَصاعَدُ مِنْها دُخانٌ تَسَرَّبَ إِلى أُنوفِنا . أَمّا بُيوتُ المِنْطَقَةِ فَقَدِ اصْطَفَّتْ في أَرْبَعَةِ صُفوفٍ ، وَكانَ كُلٌّ مِنْها يَتَأَلَّفُ مِنْ طابَقَيْنِ وَ قَبْوٍ مِنَ الطّوبِ الأَحْمَرِ الصَّغيرِ . وَلاحَظْنا بِجِوارِ أَحَدِ البُيوتِ مَتْجَراً لَهُ بابٌ وَشُبّاكٌ ،

وَفَوْقَ الشُّبّاكِ ثُبِّتَتْ لَوْحَةٌ طُلِيَتْ بِاللَّوْنِ البُنِّيِّ ، وَكُتِبَ عَلَيْها بِاللَّوْنِ الأَبْيَضِ « جابيز وِيلْسُون » ، وَرُسِمَ عَلَيْها ثَلاثُ كُراتٍ بِاللَّوْنِ الذَّهَبِيِّ ، وَهِيَ العَلامَةُ المُمَيِّزَةُ لِمَتْجَرِ المُرْتَهِنِ .

وَقَفَ هُولمز أَمامَ بَيْتِ وِيلْسُون ، وَأَلْقى عَلَيْهِ نَظْرَةً فاحِصَةً ، وَدَقَّ الأَرْضَ بِعَصاهُ دَقّاً قَوِيّاً ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلى بابِ البَيْتِ وَطَرَقَهُ ، فَفَتَحَهُ شابٌّ ، سَأَلَهُ هُولمز : « هَلْ تَسْتَطيعُ ، مِنْ فَضْلِكَ ، أَنْ تَدُلَّني عَلى مَكْتَبِ البَريدِ ؟»

أَجابَ الفَتى دونَ تَرَدُّدٍ : « سِرْ في هذا الطَّريقِ ، ثُمَّ ادْخُلِ الشّارِعَ الثّالِثَ مِنَ الجِهَةِ اليُمْنى ، وَ سِرْ فيهِ حَتّى آخِرِهِ ، وَعِنْدَئِذٍ سَوْفَ تَجِدُ مَكْتَبَ البَريدِ في الشّارِعِ الرّابِعِ مِنَ الجِهَةِ اليُسْرى .»

غادَرْنا المَكانَ ، وَ أَثْناءَ سَيْرِنا قالَ هُولمز : « إِنَّ هذا الشّابَّ ذَكِيٌّ ، وَ لا يوجَدُ في لَنْدَن أَذْكى أَوْ أَشْجَعُ مِنْهُ .»

سَأَلْتُهُ : « هَلْ تَعَرَّفْتَ عَلَيْهِ ؟»

أَجابَ : « إِنَّني لَمْ أَنْظُرْ إِلى وَجْهِهِ ، بَلْ أَرَدْتُ أَنْ أَتَفَحَّصَ البَنْطَلونَ الَّذي يَرْتَديهِ مِنْ جِهَةِ الرُّكْبَتَيْنِ .» وَلَمْ يَذْكُرْ لي لِماذا فَعَلَ ذلِكَ ، أَوْ لِماذا دَقَّ الأَرْضَ بِعَصاهُ ، وَلكِنَّهُ قالَ : « لَقَدْ شاهَدْنا

المَيْدانَ ، فَدَعْنا نَرى الشَّوارِعَ المَوْجودَةَ خَلْفَهُ .»

بَعْدَ مَسيرَةٍ قَصيرَةٍ ، وَصَلْنا إلى أَحَدِ شَوارِعِ لَنْدَن الرَّئيسيَّةِ الصَّاخِبَةِ ، وَكانَتْ بَعْضُ المَنازِلِ وَ المَتاجِرِ المَوْجودَةِ فيهِ لا يَفْصِلُها عَنِ المَيْدانِ الصَّغيرِ الهادِئِ غَيْرُ قَليلٍ مِنَ الحَدائِقِ وَ السَّاحاتِ . وَ وَجَدْنا هُناكَ مَتْجَراً لِلْحَلْوى وَ آخَرَ لِبَيْعِ الصُّحُفِ ، كَما وَجَدْنا فَرْعاً لِبَنْكِ المَدينَةِ ، وَلاحَظْنا مَطْعَماً إيطالِيًّا وَمَصْنَعاً صَغيراً لِلْعَرَباتِ.

قالَ هُولْمز وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ الارْتِياحِ : « الآنَ قَدِ انْتَهَيْنا مِنْ عَمَلِنا ، فَهَيّا بِنا لِنَتَناوَلَ الغَداءَ ، ثُمَّ نَتَوَجَّهَ لِسَماعِ المُوسيقى .» ثُمَّ قالَ أَثْناءَ خُروجِنا مِنْ قاعَةِ المُوسيقى : « عَلَيْكَ أَنْ تَتَوَجَّهَ إلى البَيْتِ لِرُؤْيَةِ أُسْرَتِكَ ، يا واطْسُن .» فَوافَقْتُهُ عَلى هذا ، فَقالَ لي : «إنَّ أَمامي بَعْضَ المَهامِّ الَّتي يَنْبَغي عَلَيَّ إنْجازُها ، فَأَمْرُ هذا المَيْدانِ خَطيرٌ لِلْغايَةِ ؛ فَقَدْ دُبِّرَتْ مُؤامَرَةٌ مُحْكَمَةٌ لارْتِكابِ جَريمَةِ اللَّيْلَةَ ! وَأَعْتَقِدُ أَنَّنا نَسْتَطيعُ مَنْعَها . لِهذا فَأَنا مُحْتاجٌ إلَيْكَ ، يا واطْسُن .»

سَأَلْتُهُ عَنِ الوَقْتِ الَّذي يُريدُني فيهِ ، فَقالَ : « في تَمامِ السَّاعَةِ العاشِرَةِ .» ثُمَّ طَلَبَ مِنّي أَنْ أُحْضِرَ مَعي سِلاحاً ، وَتَرَكَني وَانْصَرَفَ .

ذَهَبْتُ إلى مَنْزِلِ هُولْمز في الوَقْتِ المُحَدَّدِ ، فَوَجَدْتُ أَمامَهُ عَرَبَتَيْنِ ، كَما وَجَدْتُ عِنْدَهُ زائِرَيْنِ ، أَحَدُهُما ضابِطُ شُرْطَةٍ يُدْعى بيتر جُونز وَالآخَرُ رَجُلٌ نَحيفٌ طَويلُ القامَةِ يَرْتَدي مَلابِسَ داكِنَةً ، وَتَبْدو عَلَيْهِ سِماتُ الحُزْنِ ، وَقَدَّمَهُ هُولْمز إلَيَّ قائِلاً : « أُعَرِّفُكَ ، يا واطْسُن ، بِالسَّيِّدِ مِيرِيوِيذَر مُديرِ بَنْكِ المَدينَةِ ، وَسَيَكونُ مَعَنا في المُغامَرَةِ الَّتي سَنَقومُ بِها اللَّيْلَةَ .» ثُمَّ أَشارَ إلى ضابِطِ الشُّرْطَةِ وَقالَ: « أَمّا السَّيِّدُ جُونز فَأَنْتَ بِالطَّبْعِ تَعْرِفُهُ .»

وَنَظَرَ مُديرُ البَنْكِ إلى هُولْمز قائِلاً : « أَرْجو أَنْ لا تَكونَ مُخْطِئاً في شُكوكِكَ ، فَقَدِ اعْتَدْتُ – مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ – أَنْ أُمْضِيَ مَساءَ كُلِّ سَبْتٍ أَتَسامَرُ مَعَ أَصْدِقائي ، وَهذِهِ هِيَ المَرَّةُ الأُولى الَّتي أَتَغَيَّبُ فيها عَنْهُمْ .»

رَدَّ عَلَيْهِ قائِلاً : « أَعْتَقِدُ أَنَّ هذِهِ اللَّيْلَةَ سَتَكونُ مُثيرَةً ، وَسَوْفَ تُنْقِذُ ثَلاثينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ ، أَمّا السَّيِّدُ جُونز فَسَوْفَ يُلْقي القَبْضَ عَلى مُجْرِمٍ خَطِرٍ ، تُحاوِلُ الشُّرْطَةُ الإيقاعَ بِهِ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ .»

قالَ الضَّابِطُ : « نَعَمْ ، إنَّهُ جُون كلاي القاتِلُ ، وَالمُزَوِّرُ، وَاللِّصُّ ، الَّذي يُعْتَبَرُ مِنْ أَخْطَرِ المُجْرِمينَ في إنْجِلْترا ، رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ . وَمِنَ الغَريبِ أَنَّهُ تَخَرَّجَ في جامِعَةِ أُوكْسفورد ، وَكانَ جَدُّهُ شَقيقاً لأَحَدِ

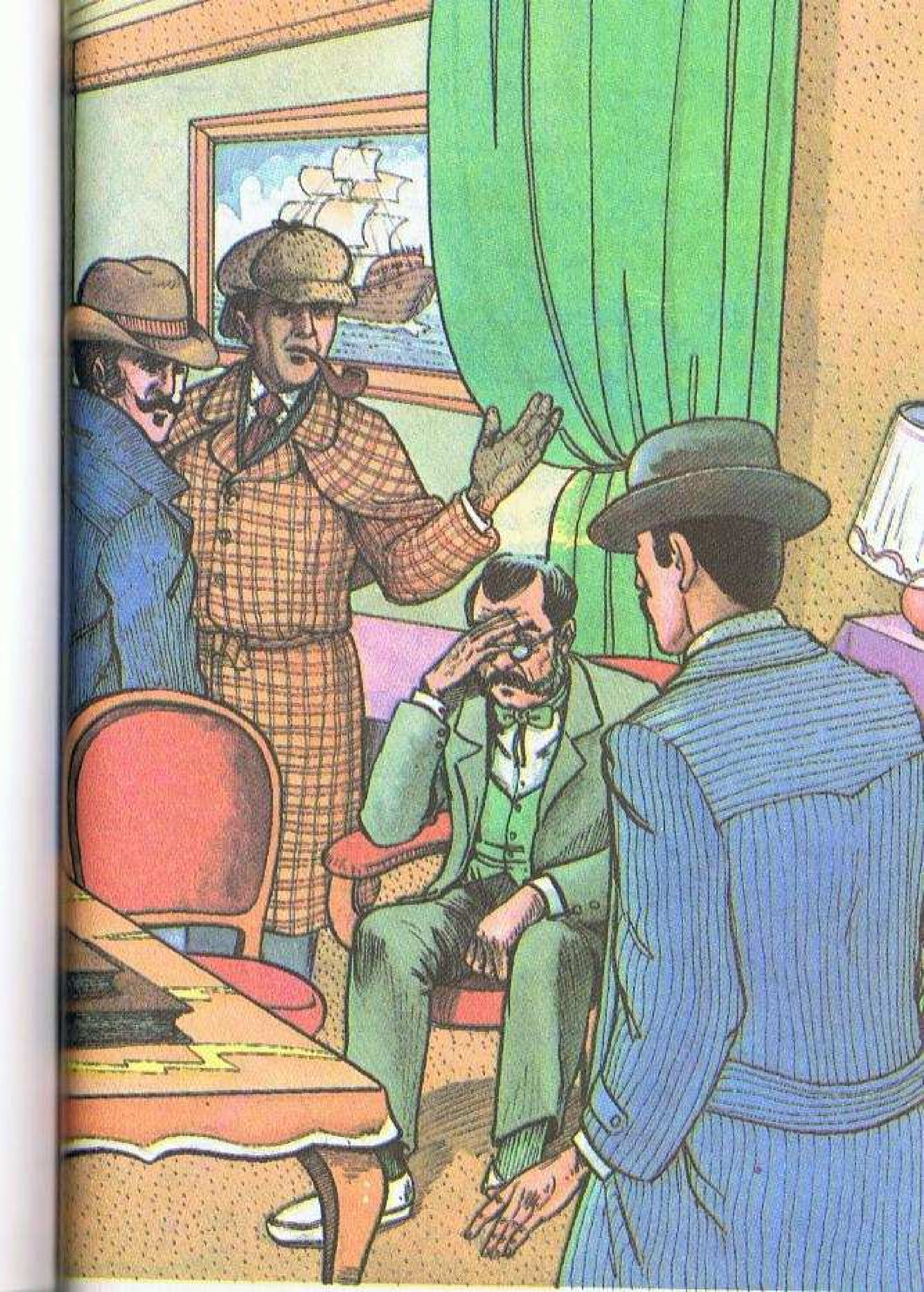
المُلوكِ !»

وَنَظَرَ هُولمز إلى ساعَتِهِ وَقالَ : « لَقَدْ حانَ وَقْتُ الرَّحيلِ ، أيُّها السّادَةُ .» ثُمَّ قالَ مُوَجِّهاً كَلامَهُ إلى السَّيِّدِ ميريويذَر : « اِذْهَبْ أَنْتَ مَعَ السَّيِّدِ جُونز في العَرَبَةِ الأولى ، وَسَنَتْبَعُكُما أنا وَ واطْسُن في العَرَبَةِ الثّانِيَةِ .»

وَرَكِبْنا العَرَبَتَين حَتّى وَصَلْنا إلى مَبْنى البَنْكِ ، المَوْجودِ في الشّارِعِ الرَّئيسِيِّ قُرْبَ مَيْدانِ ساكْس - كوبرْغ ، وَفَتَحَ مُديرُ البَنْكِ الأبْوابَ بِالمَفاتيحِ الَّتي كانَتْ مَعَهُ ، ثُمَّ قادَنا إلى الدّاخِلِ عَبْرَ مَمَرّاتٍ مُظْلِمَةٍ ، ثُمَّ أضاءَ مِصْباحاً ، أنارَ لَنا الطَّريقَ بِضَوْئِهِ الخافِتِ إلى قَبْوٍ تَنْبَعِثُ مِنْهُ رائِحَةُ الغُبارِ ، وَ يَمْتَلِئُ بِعَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الصَّناديقِ وَ اللّفافاتِ .

أخَذَ هُولمز المِصْباحَ بِيَدِهِ ، وَنَظَرَ إلى السَّقْفِ وَقالَ : « إنَّ السَّقْفَ مَتينٌ .» وَلكِنَّ مُديرَ البَنْكِ أخَذَ يَدُقُّ الأرْضَ بِعَصاهُ ، وَ قَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ ، وَهُوَ يَقولُ : « كانَتِ الأرْضُ صُلْبَةً ، وَ يَبْدو أنَّ هُناكَ حَفْراً قَدْ تَمَّ تَحْتَها ؛ فَأصْبَحَ ما تَحْتَ القَبْوِ خاوِياً !»

قالَ هُولمز مُحَذِّراً : « أخْفِضْ صَوْتَكَ حَتّى لا يَسْمَعَنا أحَدٌ مِنَ اللُّصوصِ فَتَفْشَلَ خُطَّتُنا ! وَالأفْضَلُ أنْ تَجْلِسَ عَلى أحَدِ هذِهِ



الصَّناديقِ ، وَلا تَتَحَرَّكْ .»

وَأطاعَ مُديرُ البَنْكِ الأَمْرَ ، وَ وَضَعَ هُولمز المِصْباحَ عَلى الأَرْض، وَأخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ عَدَسَةً مُكَبِّرَةً ، وَأخَذَ يَفْحَصُ الشُّقوقَ المَوْجودَةَ بَيْنَ الأَحْجارِ الكَبيرَةِ ، الَّتي رُصِفَتْ بِها أَرْضُ القَبْوِ ، ثُمَّ نَهَضَ وَهُوَ يَقولُ : « لَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، لأنَّ اللُّصوصَ لَنْ يَتَمَكَّنوا مِنَ التَحَرُّكِ قَبْلَ أنْ يَذْهَبَ وِيلْسُون إلى فِراشِهِ ، فَإذا ما اسْتَغْرَقَ في النَّوْمِ ، بَدَأوا يُنْجِزونَ عَمَلَهُمْ بِسُرْعَةٍ حَتّى يُتاحَ لَهُمُ الوَقْتُ الكافي لِلْهَرَبِ .»

سَأَلْتُ مُسْتَفْسِراً : « ماذا يوجَدُ في هذِهِ الصَّناديقِ ؟»

قالَ هُولمز : « يُخْبِرُكَ بِذَلِكَ السَّيِّدُ ميريويذَر مُديرُ البَنْكِ .»

قالَ ميريويذَر هامِساً : « إنَّهُ ذَهَبٌ فَرَنْسِيٌّ يَخُصُّ البَنْكَ ؛ فَهذِهِ الصَّناديقُ تَحْتَوي عَلى ثَلاثينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ ، أخَذْتُ قَرْضاً مِنْ بَنْكِ فَرَنْسا .»

قالَ هُولمز وَ هُوَ يُطْفِئُ المِصْباحَ : « الآنَ عَلَيْنا ، أَيُّها السّادَةُ ، أنْ نَنْتَظِرَ في الظَّلام ، وَسَوْفَ يَحْضُرُ اللُّصوصُ إلى هُنا في وَقْتٍ قَريبٍ ، وَلا بُدَّ أنْ نَخْتَبِئَ خَلْفَ الصَّناديقِ ، وَعِنْدَما يَحْضُرون نَنْقَضُّ عَلَيْهِم بِسُرْعَةٍ لِشَلِّ حَرَكَتِهِمْ ، فَهُمْ أُناسٌ خَطِرونَ . » ثُمَّ اتَّجَهَ إلَيَّ قائِلاً :

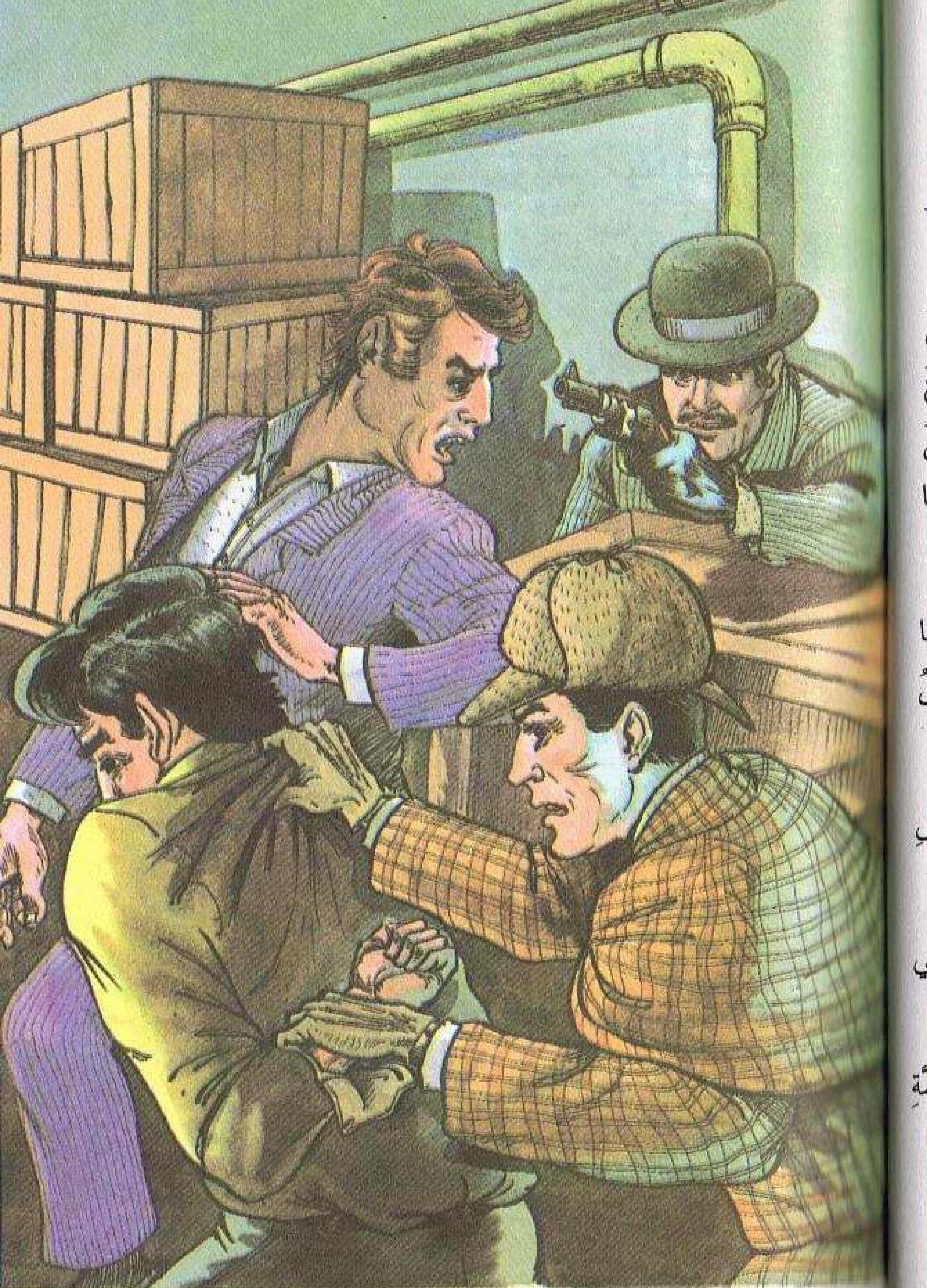
« إذا حاوَلوا إطْلاقَ النّارِ عَلَيْنا بادَرْنا بِإطْلاقِ نارِنا عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ وَضَعْتُ السِّلاحَ فَوْقَ صُنْدوقٍ عَلى مَقْرَبَةٍ مِنّي .» واسْتَمَرَّ هُولمز في كَلامِهِ قائِلاً : « لَيْسَ أَمامَهُمْ إلّا طَريقٌ واحِدٌ يُمْكِنُهُمُ الهَرَبُ مِنْهُ ، وَهُوَ فُتْحَةٌ داخِلَ البَيْتِ تُوَصِّلُ إلى مَيْدانِ ساكْس – كوبرْغ .» ثُمَّ سَأَلَ ضابِطَ الشُّرْطَةِ : « هَلْ أَنْجَزْتَ ما طَلَبْتُهُ مِنْكَ ، يا جُونز ؟»

قالَ الضّابِطُ : « أَجَلْ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، فَقَدْ وَضَعْتُ ثَلاثَةً مِنْ رِجالِ الشُّرْطَةِ خارِجَ بَيْتِ السَّيِّدِ وِيلْسُون .»

وَبَدَتْ عَلى هُولمز عَلاماتُ الارْتِياحِ ، فَقالَ : « عَلَيْنا إذاً أنْ نَنْتَظِرَ في صَمْتٍ .»

وَمَضَتْ ساعَةٌ وَرُبْعُ السّاعَةِ وَ نَحْنُ في ظَلامٍ دامِسٍ ، وَقَدْ أَنْهَكَني التَّعَبُ ، وَخَيَّمَ السُّكونُ عَلَيْنا فَلَمْ نَسْمَعْ سِوى أَنْفاسِنا . وَبَدا الوَقْتُ طَويلاً ، وَفَجْأَةً رَأَيْتُ خَيْطاً رَفيعاً مِنَ الضَّوْءِ يَتَسَرَّبُ بَيْنَ الأَحْجارِ ، وَأَخَذَ بَريقُهُ يَزْدادُ شَيْئاً فَشَيْئاً ، حَتّى رَأَيْتُ يَداً تَظْهَرُ خَلْفَ حَجَرٍ كَبيرٍ يَرْتَفِعُ بِبُطْءٍ . وَلَمْ يَلْبَثِ الحَجَرُ أنْ عادَ إلى وَضْعِهِ في هُدوءٍ ، كَما عادَ الضَّوْءُ إلى ما كانَ عَلَيْهِ ، خافِتاً بَيْنَ الشُّقوقِ .

مَرَّةً أُخْرى ، دُفِعَ الحَجَرُ بِقُوَّةٍ إلى أَعْلى ، فَأَحْدَثَ ذَلِكَ صَوْتاً مَسْموعاً وَهُوَ يَنْقَلِبُ عَلى أَحَدِ جَوانِبِهِ ، ثُمَّ ظَهَرَ وَجْهٌ تَبَيَّنْتُ في



الحالِ أنَّهُ وَجْهُ مُساعِدِ السَّيِّدِ وِيلْسُون . وَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ جِسْمَهُ عَبْرَ الفَجْوَةِ حَتّى أصْبَحَ في القَبْوِ ، وَأخَذَ يُساعِدُ زَميلاً لَهُ في الصُّعودِ . وَكانَ كِلا الرَّجُلَيْنِ ضَئيلَ الجِسْمِ وَ يَمْتازُ أحَدُهُما بِشَعْرٍ أحْمَرَ لامِعٍ .

انْدَفَعَ شِرْلوك هُولمز نَحْوَ أوَّلِ رَجُلٍ وَتَشَبَّثَ بِهِ ، فَصاحَ الرَّجُلُ مُحَذِّرًا زَميلَهُ : « عُدْ مِنَ الفُتْحَةِ يا أرْشي !» إلا أنَّ الضّابِطَ أسْرَعَ وَجَذَبَهُ مِنْ مَلابِسِهِ فَتَمَزَّقَتْ في يَدِهِ . وَكانَ مُساعِدُ وِيلْسُون يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً ، وَلكِنَّ هُولمز ضَرَبَها بِعَصاهُ فَسَقَطَتْ على الأرْضِ ، فالْتَقَطَها وَهُوَ يَقولُ : « لَيْسَتْ أمامَكَ فُرْصَةٌ لِلْهَرَبِ !»

قالَ اللِّصُّ مُسْتَسْلِماً : « نَعَمْ ، لَقَدْ وَقَعْتُ في أيْديكُمْ ، أمّا زَميلي فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الهَرَبِ ، وَ لَوْ أنَّ قِطْعَةً مِنْ مَلابِسِهِ لا تَزالُ في يَدِ ضابِطِ الشُّرْطَةِ !»

قالَ هُولمز : « لَنْ يَسْتَطيعَ صَديقُكَ الهَرَبَ ، فَثَمَّةَ ثَلاثَةٌ مِنْ رِجالِ الشُّرْطَةِ في انْتِظارِهِ خارِجَ بَيْتِ السَّيِّدِ وِيلْسُون .»

قالَ اللِّصُّ : « حَقا إنَّكَ لَبارِعٌ ! لَقَدْ أحْكَمْتَ كُلَّ شَيْءٍ في خُطَّتِكَ ، وَ إنّي أُهَنِّئُكَ !»

رَدَّ عَلَيْهِ هُولمز : « وَأنا بِدَوْري أُهَنِّئُكَ على فِكْرَتِكَ الخاصَّةِ

بِعُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأَحْمَرِ ؛ فَهِيَ فِكْرَةٌ جَديدَةٌ وَمُثيرَةٌ !»

وَطَلَبَ الضّابِطُ مِنَ اللِّصِّ أَنْ يَمُدَّ يَدَيْهِ لِيَضَعَ فيهِما القَيْدَ ، فَقالَ اللِّصُّ بِكِبْرِياءَ : « لا تَلْمِسْني بِيَدَيْكَ ، أَيُّها الضّابِطُ ! فَأَنا أَنْتَمي إِلى أُسْرَةٍ مَلَكِيَّةٍ ، كَما يَنْبَغي أَنْ تُخاطِبَني بِاحْتِرامٍ !»

اِبْتَسَمَ الضّابِطُ وَقالَ : « حَسَنٌ ، يا سَيِّدي ! تَعالَ مَعي ، فَإِنَّنا سَوْفَ نَسْتَقِلُّ عَرَبَةً تَأْخُذُنا إِلى مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ .»

قالَ اللِّصُّ : « هٰذا أَفْضَلُ .» وَانْحَنى لِتَحِيَّتِنا وَسارَ في هُدوءٍ بِصُحْبَةِ الضّابِطِ .

قالَ هُولْمز وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ الارْتِياحِ : « لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ أَنْ أَكْشِفَ أَغْراضَ عُصْبَةِ ذَوي الشَّعْرِ الأَحْمَرِ ، فَقَدْ كانَ كلاي وَزَميلُهُ ، الَّذي اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ اسْمَ دَنْكان رُوس ، يُريدانِ أَنْ يُبْعِدا السَّيِّدَ وِيلْسُون عَنْ مَحَلِّهِ عِدَّةَ ساعاتٍ كُلَّ يَوْمٍ أَثْناءَ النَّهارِ؛ حَتّى يَتَمَكَّنا مِنِ ارْتِكابِ هٰذِهِ الجَريمَةِ .»

سَأَلْتُ هُولْمز : « كَيْفَ اكْتَشَفْتَ أَنَّهُما يُخَطِّطانِ لِسَرِقَةِ المَصْرِفِ؟»

قالَ : « فَكَّرْتُ في الهِوايَةِ الَّتي كانَ مُساعِدُ السَّيِّدِ وِيلْسُون

مَشْغوفًا بِها ، وَمِنْ أَجْلِها كانَ يَمْضي وَقْتًا طَويلاً في القَبْوِ .»
وَسَكَتَ قَليلاً ثُمَّ عادَ يَقولُ : « إِنَّ الوَصْفَ الَّذي ذَكَرَهُ السَّيِّدُ وِيلْسُون لِمُساعِدِهِ المُسَمّى سبولْدِنْغ ، يَنْطَبِقُ تَمامًا عَلى اللِّصِّ المَعْروفِ جُون كلاي . وَقَدْ أَدْرَكْتُ أَنَّ كلاي هٰذا يَقومُ بِعَمَلِ شَيْءٍ هامٍّ في القَبْوِ ، خِلالَ السّاعاتِ الَّتي يَقْضيها فيهِ ، وَأَنَّ إِتْمامَ هٰذا العَمَلِ يَحْتاجُ إِلى عِدَّةِ أَسابيعَ ؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ كانَ يَحْفِرُ تَحْتَ الأَرْضِ خَنْدَقًا يُوَصِّلُهُ إِلى المَبْنى المُجاوِرِ .»

وَنَظَرَ هُولْمز إِلَيَّ قائِلاً : « إِنَّكَ تَعَجَّبْتَ عِنْدَما طَرَقْتُ الأَرْضَ في المَيْدانِ بِعَصايَ ؛ لَقَدْ كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَتَبَيَّنَ هَلِ الخَنْدَقُ مَوْجودٌ أَمامَ البَيْتِ أَمْ لا . وَالواقِعُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجودًا ، وَقَدِ اتَّضَحَ لي ذٰلِكَ مِنْ صَوْتِ طَرَقاتِ العَصا ؛ فَقَدْ دَلَّتْ عَلى أَنَّ الأَرْضَ لَمْ تَكُنْ مُفَرَّغَةً.»
وَصَمَتَ هُولْمز قَليلاً ثُمَّ اسْتَطْرَدَ يَقولُ : « وَدَقَقْتُ جَرَسَ البَيْتِ فَخَرَجَ مُساعِدُ وِيلْسُون ، وَكُنْتُ أُريدُ أَنْ أُشاهِدَ البَنْطَلونَ الَّذي يَرْتَديهِ ، وَتَبَيَّنَ لي أَنَّ الرُّكْبَتَيْنِ باليَتانِ مِنْ أَثَرِ الاحْتِكاكِ بِالأَرْضِ ، كَما بَهِتَ لَوْنُهُما ، وَعَلِقَ بِهِما قَليلٌ مِنَ التُّرابِ . فَلَمّا وَجَدْتُ المَصْرِفَ واقِعًا خَلْفَ بَيْتِ السَّيِّدِ وِيلْسُون تَمامًا ؛ أَدْرَكْتُ كُلَّ شَيْءٍ .»

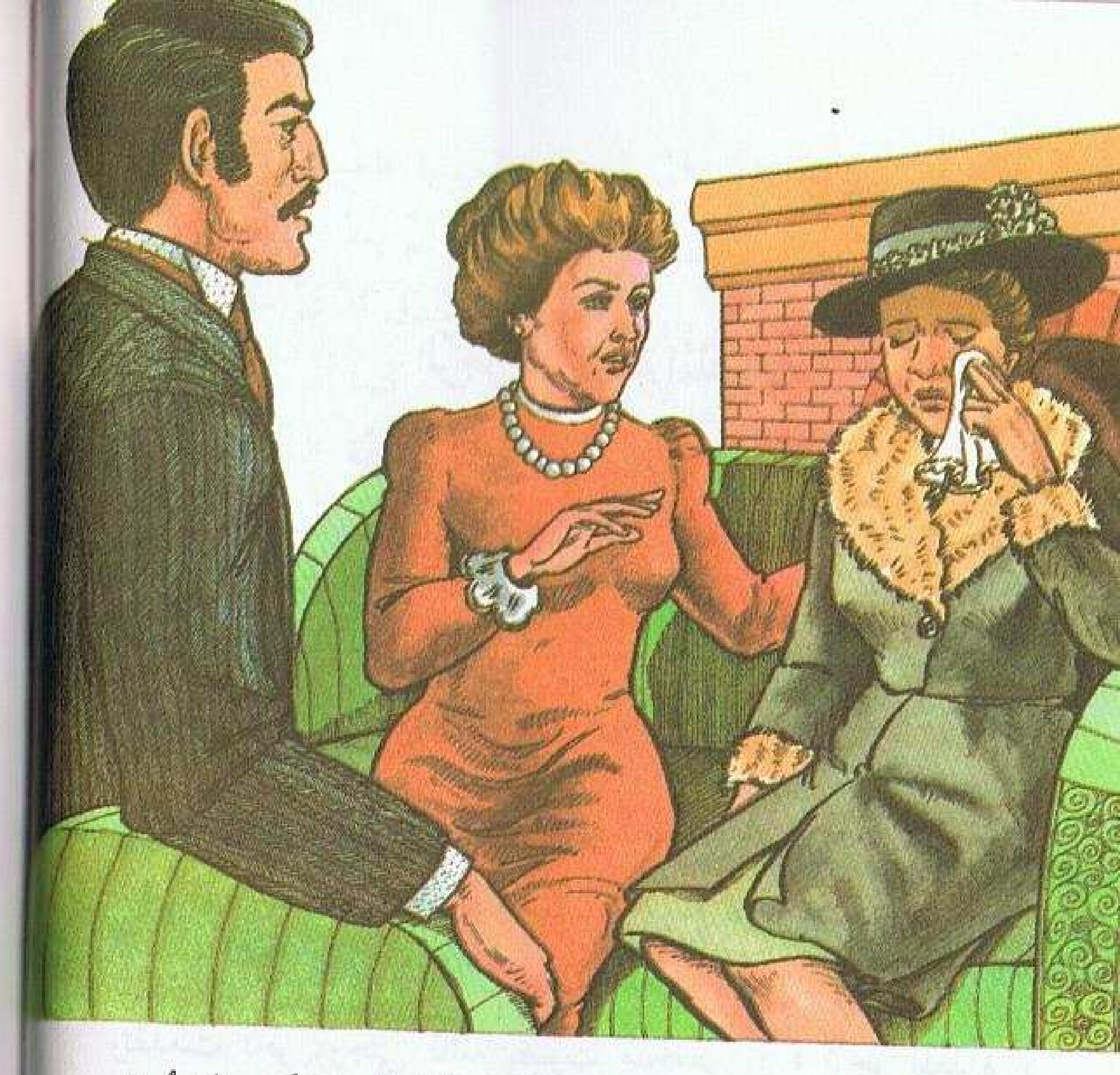
سَأَلْتُ هُولْمز : « كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ الخُطَّةَ قَدْ أُعِدَّتْ لِلتَّنْفيذِ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ ؟»

أجابَ : « لَمْ يَكُنِ الأمْرُ عَويصاً ، فَحينَما عَلِمْتُ بِانْتِهاءِ أعْمالِ العُصْبَةِ المَزْعومَةِ ، أدْرَكْتُ في الحالِ أنَّهُ لَمْ يَعُدْ لِوُجودِ السَّيِّدِ وِيلْسون أوْ لِغِيابِهِ أهَمِّيَّةٌ ، وَ أدْرَكْتُ أنَّ الخَنْدَقَ قَدْ تَمَّ حَفْرُهُ ، وَ أنَّهُ يوشِكُ أنْ يُسْتَخْدَمَ حَتّى لا يَنْكَشِفَ أمْرُهُ ، كَما أدْرَكْتُ أنَّ مَساءَ يَوْمِ السَّبْتِ هُوَ الوَقْتُ المُناسِبُ لإتْمامِ عَمَلِيَّةِ السَّرِقَةِ حَتّى لا يَنْكَشِفَ أمْرُها إلّا صَباحَ الاثْنَيْنِ ؛ وَ لِذلِكَ أيْقَنْتُ تَماماً أنَّ كِلايَ وَصاحِبَهُ سَوْفَ يَحْضُرانِ اللَّيْلَةَ لإتْمامِ الجَريمَةِ !»

الرَّجُلُ ذو الشَّفَةِ المُلْتَوِيَةِ

كانَ جارُنا السَّيِّدُ هُويتْني – فيما مَضى – رَجُلاً لَطيفاً ، وَلكِنَّهُ أدْمَنَ تَعاطِيَ الأفْيونِ الَّذي تَسَبَّبَ في تَحْطيمِهِ ، فَانْحَنَتْ قامَتُهُ وَشَحَبَ وَجْهُهُ وَ أصْبَحَ هَزيلاً يَدْعو مَنْظَرُهُ لِلرِّثاءِ .

حَدَثَ في لَيْلَةٍ ، وَكُنْتُ جالِساً مَعَ زَوْجَتي ، أنْ دَقَّ جَرَسُ البابِ ، وَ سَمِعْتُ الخادِمَ يَتَحَدَّثُ مَعَ سَيِّدَةٍ بِالخارِجِ . وَ بَعْدَ لَحْظَةٍ فُتِحَ بابُ الغُرْفَةِ ، وَدَخَلَتْ سَيِّدَةٌ تُغَطّي وَجْهَها بِنِقابٍ أسْوَدَ ، وَتَقَدَّمَتْ نَحْوَ زَوْجَتي قائِلَةً بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ : « أرْجو المَعْذِرَةَ ؛ فالوَقْتُ غَيْرُ مُناسِبٍ لِهذِهِ الزِّيارَةِ . » ثُمَّ ألْقَتْ بِنَفْسِها عَلى كَتِفِ زَوْجَتي وَ أجْهَشَتْ بِالبُكاءِ ، فَرَفَعَتْ زَوْجَتي النِّقابَ عَنْ وَجْهِها ، فَإذا بِها جارَتُنا كِيت زَوْجَةُ هُويتْني ، فَدَعَتْها لِلْجُلوسِ وَسَأَلَتْها عَمّا ألَمَّ بِها ، فَأجابَتِ السَّيِّدَةُ : « إنَّني في حَيْرَةٍ ؛ لِذلِكَ أتَيْتُ إلَيْكُمْ أطْلُبُ مُساعَدَةَ الدُّكْتورِ واطْسُن .»



لَمْ يَكُنْ هذا بِالأمْرِ الغريبِ علَيْنا ، فَكثيراً ما يأتي النّاسُ إلى بَيْتِنا إذا ألَمَّتْ بِهِمُ المَشاكِلُ ، كَما تَفعَلُ الطَّيْرُ حينَ تَلْجأ – عِنْدَ الشُّعورِ بِالخَطَرِ – إلى مَرْفَأِ الأمانِ .

قالَتْ لَها زَوْجَتي : « إنَّهُ لَيُسْعِدُنا أنْ نَراكِ ، وَنَقِفَ بِجانِبِكِ .» ثُمَّ قَدَّمَتْ لَها فِنْجاناً مِنَ الشّاي ، وَطَلَبَتْ إلَيْها أنْ تَقُصَّ عَلَيْنا

قِصَّتَها .

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « إنَّ الأمْرَ يَتَعَلَّقُ بِزَوْجي الَّذي لَمْ يَعُدْ لِلْبيتِ مُنْذُ يَوْمَيْنِ ، وَ أنا خائِفَةٌ عَلَيْهِ .»

لَمْ تَكُنْ هذهِ هِيَ المَرَّةَ الأولى ، الَّتي تَتَحَدَّثُ فيها زَوْجَةُ هُويتْني عَنْ مَتاعِبِها ، الَّتي يُسَبِّبُها لَها زَوْجُها . وَكانَتْ تِلْكَ السَّيِّدَةُ زَميلَةً لِزَوْجَتي أيّامَ الدِّراسَةِ ؛ وَلِهذا كُنّا نَتَعاطَفُ مَعَها ، وَ نَبْذُلُ كُلَّ ما في وُسْعِنا لِحَلِّ مَشاكِلِها .

سَأَلْتُ السَّيِّدَةَ : « هَلْ تَعْرِفينَ المَكانَ الَّذي يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ زَوْجُكِ ؟»

أجابَتْ : « هُوَ عَلى الأرْجَحِ مَوْجودٌ في ‹‹ حانَةِ الذَّهَبِ ›› الَّتي تَقَعُ شَرْقِيَّ لَنْدَن ، عَلى شاطِئِ النَّهرِ في شارِعِ سُوانْدام .» وَسَكَتَتْ لَحْظَةً ثُمَّ قالَتْ : « إنَّهُ مَكانٌ سَيِّئُ السُّمْعَةِ ، يَذْهَبُ إلَيْهِ المُدْمِنونَ وَمِنْ بَيْنِهِمْ زَوْجي . ولكِنَّ هذهِ هِيَ المَرَّةُ الأولى الَّتي يَتَغَيَّبُ فيها هُويتْني أكْثَرَ مِنْ يومٍ خارِجَ البَيْتِ . » وَ لَمّا كُنْتُ أتَوَلّى عِلاجَ ذلِكَ الرَّجُلِ مِنَ الإدْمانِ ، قُلْتُ وَأنا أحاوِلُ أنْ أطَمْئِنَها : « اِهْدَئي ، يا سَيِّدَتي ، سَأذْهَبُ إلى ذلِكَ المَكانِ الآنَ ، فَإنْ وَجَدْتُهُ هُناكَ ، عُدْتُ بِهِ إلى البَيْتِ خِلالَ ساعَتَيْنِ .»

وَسُرْعانَ ما غادَرْتُ بَيْتي في تِلْكَ السّاعَةِ المُتَأَخِّرَةِ مِنَ اللَّيْلِ ،

وَرَكِبْتُ عَرَبَةً أَسْرَعَتْ بي إلى الجانِبِ الشَّرْقيِّ مِنَ المَدينَةِ . وَكانَ شارِعُ سُوانْدام يَقَعُ في الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ جِسْرِ لَنْدَن . وَهُناكَ وَجَدْتُ حانَةَ الذَّهَبِ في مَكانٍ مُنْخَفِضٍ عَنْ مُسْتَوى الشّارِعِ . وَكانَ مَدْخَلُها أشْبَهَ بِفُتْحَةِ الكَهْفِ ، وَ تَصِلُ إلَيْهِ عَنْ طَريقِ بَعْضِ دَرَجاتِ سُلَّمٍ تَنْحَدِرُ في مَيْلٍ نَحْوَ ذلِكَ المَدْخَلِ ، الَّذي يَتَدَلّى مِنْ فَوْقِهِ مِصْباحٌ يَنْبَعِثُ مِنْهُ ضَوْءٌ خافِتٌ .

وَأَوْقَفْتُ العَرَبَةَ ، وَطَلَبْتُ مِنْ سائِقِها الانْتِظارَ . وَتَوَجَّهْتُ إلى الحانَةِ فَوَجَدْتُها حُجْرَةً مُسْتَطيلَةً مَمْلوءَةً بِأَسِرَّةٍ كَتِلْكَ الَّتي نُشاهِدُها عَلى مَتْنِ السَّفينَةِ ، وَكانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ أَنْ أُشاهِدَ ما بِداخِلِها، حَيْثُ كانَ الدُّخانُ يَمْلأُ أَرْجاءَ المَكانِ .

وَمِنْ خِلالِ ضَوْءٍ خافِتٍ ، رَأَيْتُ عَدَداً مِنَ الرِّجالِ قَدْ أَلْقَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَلى الأَسِرَّةِ مُتَراخينَ في أَوْضاعٍ غَريبَةٍ ، يَتَسامَرونَ في هَمْسٍ هادِئٍ ، وَفي يَدِ كُلٍّ مِنْهُمْ غَلْيونٌ . وَكانَ في نِهايَةِ الغُرْفَةِ مِدْفَأَةٌ بِها شُعْلَةٌ مِنَ النّارِ ، وَ يَجْلِسُ بِجِوارِها رَجُلٌ مُسِنٌّ نَحيلٌ طَويلُ القامَةِ ، يُطيلُ النَّظَرَ إلَيْها .

وَتَقَدَّمَ مِنّي خادِمُ الحانَةِ ، وَ هُوَ شابٌّ مِنَ المَلايو يَحْمِلُ في يَدِهِ غَلْيونًا وَكَمِّيَّةً مِنَ الأَفْيونِ ، وَأَشارَ إلى سَريرٍ لا يَرْقُدُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ،

وَقالَ : « تَعالَ إلى هذا المَكانِ ، يا سَيِّدي .»

وَشَكَرْتُهُ قائِلاً : « لا ، يا أَخي ! إِنَّني لَمْ أَحْضُرْ لِهذا الغَرَضِ ، وَلكِنّي أَتَيْتُ لِمُقابَلَةِ صَديقي هُويتْني المَوْجودِ هُنا .»

فَجْأَةً رَأَيْتُ رَجُلاً يَنْهَضُ مِنْ سَريرٍ كانَ يَرْقُدُ عَلَيْهِ ، وَسُرْعانَ ما أَدْرَكْتُ أَنَّهُ هُويتْني ، وَكانَ شاحِبَ الوَجْهِ ، رَثَّ الهَيْئَةِ ، وَيَبْدو أَنَّهُ عَرَفَني مِنْ صَوْتي فَرَأَيْتُهُ يَتَقَدَّمُ إِلَيَّ وَهُوَ يَقولُ بِصَوْتٍ ضَعيفٍ لِلْغايَةِ : « كَمِ السّاعَةُ الآنَ ، يا واطْسُن ؟»

أَجَبْتُهُ : « إِنَّها الحادِيَةَ عَشْرَةَ ، يا هُويتْني .»

سَأَلَني : « في أَيِّ يَوْمٍ نَحْنُ ؟»

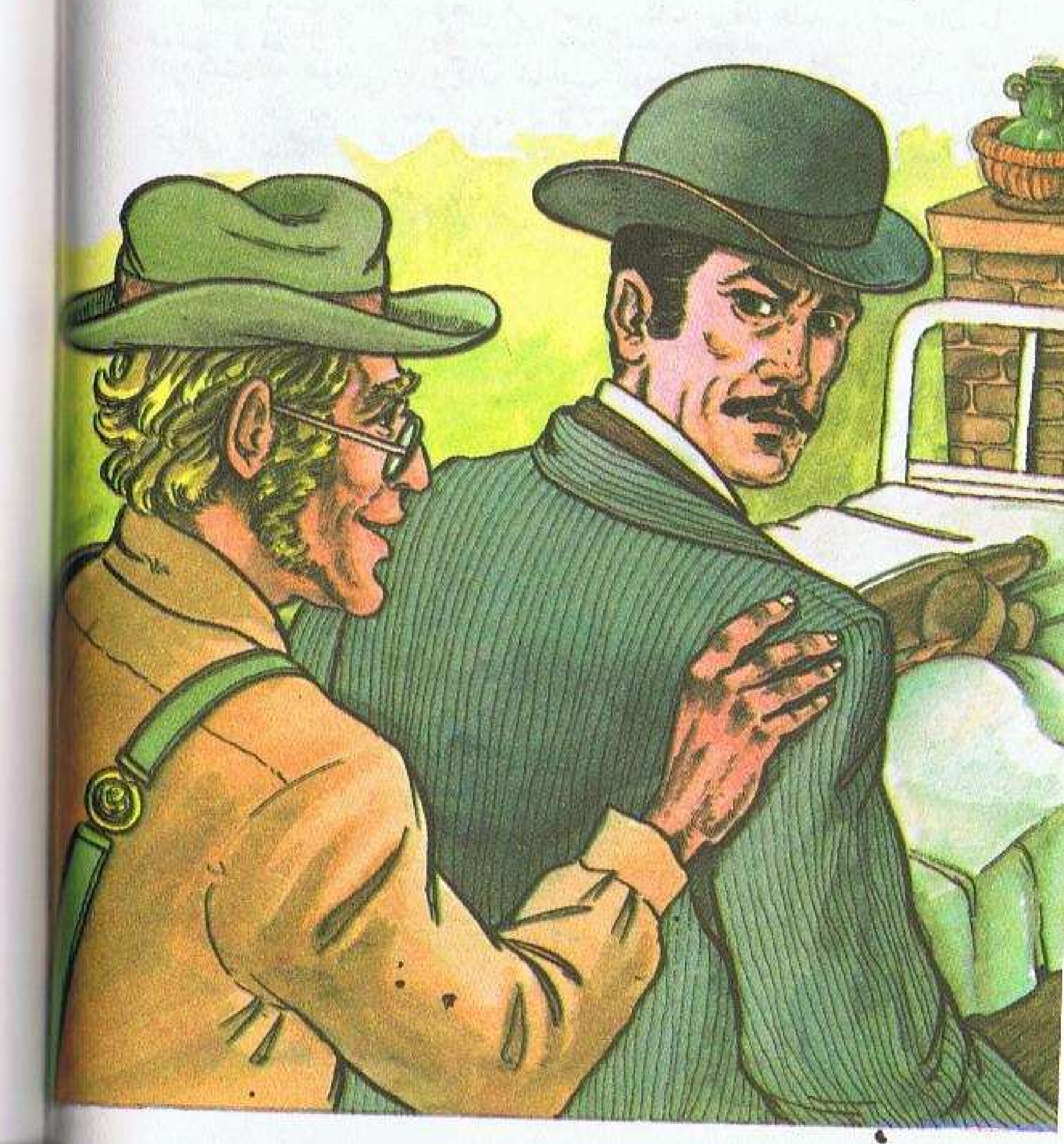
قُلْتُ : « إِنَّنا في يَوْمِ الجُمُعَةِ ، التّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ يونْيَه .»

قالَ الرَّجُلُ مُتَعَجِّباً : « يا رَبّي ! كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّنا لا نَزالُ في يَوْمِ الأَرْبِعاءِ !»

قُلْتُ : « إِنَّ زَوْجَتَكَ تَنْتَظِرُ عَوْدَتَكَ إلى البَيْتِ مُنْذُ يَوْمَيْنِ . ما هذا الَّذي تَفْعَلُهُ ؟ أَلا تَخْجَلُ مِنْ نَفْسِكَ ؟!»

قالَ الرَّجُلُ وَقَدْ أَخَذَتِ الدُّموعُ تَنْهَمِرُ عَلى خَدَّيْهِ مِنْ شِدَّةِ

الخَجَلِ : « إنّي آسِفٌ لِما حَدَثَ ! فَقَدْ كُنْتُ أظُنُّ أنَّني لَنْ أمْكُثَ هُنا أكْثَرَ مِنْ بِضْعِ ساعاتٍ .» وَقالَ مُتَوَسِّلاً : « خُذْني مَعَكَ ، يا واطْسُن ، إلى البَيْتِ ؛ فَإنّي لا أريدُ أنْ أغْضِبَ زَوْجَتي المِسْكينَةَ أكْثَرَ مِنْ هذا .»



وَمَدَّ هُويتْني يَدَهُ لِيَسْتَنِدَ إلَيَّ ، وَ طَلَبَ مِنّي أنْ أدْفَعَ ما عَلَيْهِ مِنْ نُقودٍ لِصاحِبِ الحانَةِ . وَلَمْ أجِدْ مانِعاً مِنْ تَحْقيقِ رَغْبَتِهِ ، فَسِرْتُ في المَمَرِّ الضَّيِّقِ الطَّويلِ المَوْجودِ بَيْنَ الأسِرَّةِ لِكَيْ أبْحَثَ عَنْ صاحِبِ الحانَةِ ، وَلكِنَّني أحْسَسْتُ بِيَدٍ تَلْمِسُ ذِراعي فَنَظَرْتُ خَلْفي فَوَجَدْتُها يَدَ الرَّجُلِ الجالِسِ بِجِوارِ المِدْفَأةِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقولُ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ : « تَقَدَّمْ بِضْعَ خُطُواتٍ ، ثُمَّ انْظُرْ إلَيَّ .» فَتَقَدَّمْتُ إلى الأمامِ قَليلاً ، ثُمَّ نَظَرْتُ إلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ لا يَزالُ يَنْظُرُ إلى الشُّعْلَةِ المُلْتَهِبَةِ . وَفَجْأةً اعْتَدَلَ في جِلْسَتِهِ ، وَأدارَ وَجْهَهُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ، فَأدْرَكْتُ في الحالِ أنَّهُ شِرْلوك هُولْمز .

صِحْتُ مُتَعَجِّباً : « ما الَّذي أتى بِكَ إلى هذا المَكانِ المُقَزِّزِ ؟!»

قالَ : « اِخْفِضْ صَوْتَكَ ، فَإنّي أسْتَطيعُ أنْ أسْمَعَكَ .» ثُمَّ أخْبَرَني أنَّهُ يُريدُ أنْ يَتَحَدَّثَ مَعي عَلى انْفِرادٍ ، وَطَلَبَ مِنّي أنْ أتَخَلَّصَ مِنْ صاحِبي . وَاقْتَرَحَ أنْ أرْسِلَهُ وَحْدَهُ إلى بَيْتِهِ في إحْدى العَرَباتِ الَّتي تَنْتَظِرُ بِالخارِجِ ، وَأكْتُبَ رِسالَةً إلى زَوْجَتي يُسَلِّمُها إلَيْها سائِقُ العَرَبَةِ ، وَأبَلِّغَها فيها بِأنّي قابَلْتُ هُولْمز ، وَسَأقْضي اللَّيْلَةَ مَعَهُ .

وَكَتَبْتُ الرِّسالَةَ لِزَوْجَتي في دَقائِقَ مَعْدودَةٍ ، وَ دَفَعْتُ حِسابَ هُويتْني ، ثُمَّ قُدْتُهُ إلى العَرَبَةِ وَاسْتَأذَنْتُهُ أنْ يَعودَ إلى البَيْتِ بِمُفْرَدِهِ ،

وَطلَبْتُ مِنَ السَّائِقِ أَنْ يُسَلِّمَ الرِّسالَةَ إلى زَوْجَتي . وَرَكِبَ الرَّجُلُ وَسارَتِ العَرَبَةُ .

بَعْدَ قَليلٍ جاءَ هُولمْز ، وَ بَدَأنا السَّيْرَ تارِكِيْنَ حانَةَ الذَّهَبِ خَلْفَنا. وَكانَ يَمْشي مُنْحَنِيَ القامَةِ ، وَفَجْأَةً رَفَعَ قامَتَهُ وَاعْتَدَلَ في مِشْيَتِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ مِنْ أَعْماقِ قَلْبِهِ ، وَ يَقولُ : « أَظُنُّكَ اعْتَقَدْتَ ، يا واطْسن ، أَنَّني أَصْبَحْتُ مُدْمِناً لِلأَفْيونِ ؟!»

أَجَبْتُهُ : « لَقَدْ دَهِشْتُ حينَما وَجَدْتُكَ في هذا المَكانِ .»

قالَ عَلى الفَوْرِ : « وَ أَنا كَذلِكَ دَهِشْتُ لَمّا رَأَيْتُكَ .» فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّني أَتَيْتُ لِكَيْ أَبْحَثَ عَنْ صَديقٍ .

قالَ : « أَمّا أَنا فَقَدْ أَتَيْتُ لِكَيْ أَبْحَثَ عَنْ عَدُوٍّ .»

لَمّا أَبْدَيْتُ لِهُولمْز دَهْشَتي قالَ : « إِنَّ المُجْرِمَ عَدُوّي ، وَ أَنا أَبْحَثُ عَنْ مُجْرِمٍ . لَقَدْ دَخَلَ السَّيِّدُ نِيفِيل سانْت كليرهذِهِ الحانَةَ ، وَ أَخْشى أَنْ لا يَتَمَكَّنَ مِنَ الخُروجِ مِنْها حَيًّا . فَخَلْفَ المَبْنى باب يُطِلُّ عَلى النَّهْرِ ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ عَدَداً كَبيراً مِنَ النَّاسِ قَدْ قُتِلوا في الحانَةِ وَأُلْقِيَتْ جُثَثُهُمْ في النَّهْرِ مِنْ خِلالِ هذا البابِ .»

سَكَتَ هُولمْز قَليلاً ثُمَّ قالَ : « لَوْ كانَ صاحِبُ الحانَةِ ، وَهُوَ

بَحّارٌ هِنْدِيٌّ ، لاحَظَ وُجودِيَ هُناكَ لَقَتَلَني في الحالِ ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنّي أَتَرَدَّدُ على حانَتِهِ لأَتَحَدَّثَ مَعَ زَبائِنِهِ مِنَ المُدْمِنينَ ؛ حَتّى أَتَعَرَّفَ عَلى أَسْرارِ بَعْضِ الجَرائِمِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ أَقْسَمَ عَلى الانْتِقامِ مِنّي .»

لَمّا بَعُدْنا عَنِ الحانَةِ أَطْلَقَ هُولمْز صَفيراً عالِياً ، رَأَيْتُ بَعْدَهُ ضَوْءاً أَصْفَرَ يَنْبَعِثُ مِنْ مَصابيحِ عَرَبَةٍ صَغيرَةٍ ، أَخَذَتْ تَقْتَرِبُ مِنّا إِلى أَنْ وَقَفَتْ بِجِوارِنا . وَ طَلَبَ هُولمْز مِنْ سائِقِها أَنْ يَنْصَرِفَ بَعْدَ أَنْ أَعْطاهُ قِطْعَةً مِنَ النُّقودِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ وَجَذَبَني مَعَهُ إِلى العَرَبَةِ قائِلاً: « إِنَّكَ سَوْفَ تَأْتي مَعي ، يا واطْسن ، بِلا شَكٍّ فَأَنا في حاجَةٍ مُلِحَّةٍ إِلَيْكَ . وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنَّ الغُرْفَةَ الَّتي أُقيمُ فيها بِبَيْتِ سانْت كلير بِها سَريرانِ .»

وَ لَمّا أَبْدَيْتُ دَهْشَتي لِوُجودِهِ في بَيْتِ ذلِكَ الرَّجُلِ قالَ : « لا تَدْهَشْ ! فَأَنا مَوْجودٌ في بَيْتِهِ لأَنّي مَشْغولٌ بِاخْتِفائِهِ .»

وَ لَمّا سَأَلْتُهُ عَنْ مَكانِ البَيْتِ ، أَخْبَرَني أَنَّهُ في مَدينَةِ لي بِمُقاطَعَةِ كِنْت ، وَ لا يَبْعُدُ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ كيلو مِتْراتٍ عَنْ لَنْدَن .

سارَتْ بِنا العَرَبَةُ وَسْطَ الظَّلامِ ، وَسادَ الصَّمْتُ بَيْنَنا بَعْضَ الوَقْتِ إِلى أَنْ بَدَأَ هُولمْز الحَديثَ ، فَقالَ : « لَقَدْ كُنْتُ أُفَكِّرُ فيما سَأَقولُهُ

لِتِلْكَ السَّيِّدَةِ ، عِنْدَما تُقابِلُني اللَّيْلَةَ عِنْدَ البابِ .» وَسَكَتَ بُرْهَةً ثُمَّ قالَ : « إِنَّني أَتَحَدَّثُ عَنْ زَوْجَةِ سانْت كلير .» ثُمَّ عادَ إِلى صَمْتِهِ ، فَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَقُصَّ عَلَيَّ قِصَّةَ هذا الرَّجُلِ .

قالَ هولمز : « إِنَّها قِصَّةٌ غَريبَةٌ . لَقَدِ اتَّخَذَ سانْت كلير لِنَفْسِهِ مُنْذُ خَمْسَةِ أَعْوامٍ بَيْتاً كَبيراً في مَدينَةِ لي ، وَكانَ يَعيشُ فيهِ كَالأَغْنياءِ ، وَ تَوَطَّدَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جيرانِهِ صَداقَةٌ مَتينَةٌ . وَ مُنْذُ عامَيْنِ تَزَوَّجَ ابْنَةَ أَحَدِ المُزارِعينَ في تِلْكَ الجِهَةِ ، وَ عُرِفَ عَنِ الرَّجُلِ أَنَّهُ يُديرُ عَمَلاً خاصًّا بِهِ في لَنْدَن ، فَكانَ يُغادِرُ بَيْتَهُ في الصَّباحِ وَ يَعودُ إِلَيْهِ في قِطارِ السَّاعَةِ الخامِسَةِ . وَ هُوَ رَجُلٌ مُسْتَقيمٌ يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ السَّابِعَةَ وَالثَّلاثينَ ، وَهُوَ زَوْجٌ طَيِّبُ القَلْبِ مَحْبوبٌ ، وَغَيْرُ مُتَوَرِّطٍ في مَشاكِلَ مالِيَّةٍ أَوْ غَيْرِها . وَفي يَوْمِ الاثْنَيْنِ الماضي ، ذَهَبَ إِلى لَنْدَن في وَقْتٍ مُبَكِّرٍ عَلى غَيْرِ عادَتِهِ ، وَأَخْبَرَ زَوْجَتَهُ أَنَّ لَدَيْهِ بَعْضَ الأَعْمالِ الهامَّةِ الَّتي يَوَدُّ إِنْجازَها في ذلِكَ اليَوْمِ ، وَ وَعَدَها بِأَنْ يَشْتَرِيَ لابْنِهِ لُعْبَةَ الحِجارَةِ الَّتي تُرَكَّبُ ، وَفي اليَوْمِ نَفْسِهِ تَسَلَّمَتِ الزَّوْجَةُ بَرْقِيَّةً مِنْ إِحْدى شَرِكاتِ المِلاحَةِ في لَنْدَن ، تُبَلِّغُها أَنَّ لَها طَرْداً قَيِّماً بِمَكاتِبِ الشَّرِكَةِ في لَنْدَن وَالَّتي تَقَعُ بِالقُرْبِ مِنْ شارِعِ فريسنو ، بِالقُرْبِ مِنْ شارِعِ سُوانْدام حَيْثُ قابَلْتَني اللَّيْلَةَ .

« تَوَجَّهَتِ السَّيِّدَةُ إِلى لَنْدَن بَعْدَ ظُهْرِ ذلِكَ اليَوْمِ ، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلى مَقَرِّ الشَّرِكَةِ عَقِبَ الانْتِهاءِ مِنْ شِراءِ الأَشْياءِ ، وَغادَرَتِ الشَّرِكَةَ بَعْدَ أَنْ تَسَلَّمَتِ الطَّرْدَ حَوالى السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ وَالنِّصْفِ ، وَسارَتْ مُتَباطِئَةً في شارِعِ سُوانْدام بُغْيَةَ أَنْ تَجِدَ عَرَبَةً تَنْقُلُها إِلى البَيْتِ . وَ اقْتَرَبَتِ السَّيِّدَةُ مِنْ مَبْنى الحانَةِ ، فَسَمِعَتْ فَجْأَةً صَرْخَةً مُدَوِّيَةً ، وَ نَظَرَتْ إِلى أَعْلى فَوَجَدَتْ زَوْجَها يَنْظُرُ إِلَيْها مِنْ نافِذَةٍ في الطَّابِقِ الأَوَّلِ لِلْمَبْنى ، وَبَدا كَأَنَّهُ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ لَها ، وَيَطْلُبُ مِنْها أَنْ تَصْعَدَ لِنَجْدَتِهِ . وَقالَتِ السَّيِّدَةُ إِنَّها رَأَتْ زَوْجَها بِوُضوحٍ ، وَ قَدْ لاحَظَتْ أَنَّهُ كانَ بِغَيْرِ ياقَةٍ أَوْ رِباطِ عُنُقٍ ، وَ لكِنَّهُ كانَ يَلْبَسُ مِعْطَفاً داكِنَ اللَّوْنِ مِثْلَ الَّذي لَبِسَهُ في الصَّباحِ ، وَأَنَّها تَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْئاً خَطِراً قَدْ حَدَثَ لَهُ ، فَقَدْ لاحَظَتْ يَداً تَجْذِبُهُ إِلى داخِلِ الغُرْفَةِ ، فَهُرِعَتْ إِلى المَبْنى لِتَصْعَدَ إِلى الطَّابِقِ العُلْوِيِّ لِنَجْدَةِ زَوْجِها وَلكِنَّ صاحِبَ الحانَةِ حالَ بَيْنَها وَ بَيْنَ ذلِكَ ، وَ دَفَعَها إِلى الخارِجِ بِمُساعَدَةِ خادِمِهِ .

« وَجَرَتِ السَّيِّدَةُ في الطُّرُقاتِ عَلى غَيْرِ هُدًى إِلى أَنْ صادَفَتْ ، لِحُسْنِ حَظِّها ، بَعْضَ رِجالِ الشُّرْطَةِ ، فَاسْتَغاثَتْ بِهِمْ وَ ذَهَبوا مَعَها إِلى الحانَةِ ، وَصَعِدوا إِلى الطَّابِقِ العُلْوِيِّ ، وَلكِنَّها لَمْ تَعْثُرْ لِزَوْجِها عَلى أَثَرٍ ، وَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ في الغُرْفَةِ غَيْرُ رَجُلٍ أَعْرَجَ قَبيحِ المَنْظَرِ

يَعيشُ فيها ، وَقَدْ أَقْسَمَ كَما أَقْسَمَ صاحِبُ الحانَةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ إِنْسانٌ آخَرُ . وَ لكِنَّ زَوْجَةَ سانْت كلِير لاحَظَتْ وُجودَ صُنْدوقٍ خَشَبِيٍّ صَغيرٍ عَلى المِنْضَدَةِ ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ وَكَسَرَتْ غِطاءَهُ فَإِذا بِداخِلِهِ مَجْموعَةٌ مِنَ الحِجارَةِ الَّتي تُرَكَّبُ ، وَالَّتي يَلْعَبُ بِها الأَطْفالُ ، فَتَذَكَّرَتِ اللُّعْبَةَ الَّتي وَعَدَ زَوْجُها بِأَنْ يُحْضِرَها لِطِفْلِهِما الصَّغيرِ ، عِنْدَ عَوْدَتِهِ في ذلِكَ اليَوْمِ .

« وَقامَ رِجالُ الشُّرْطَةِ بِفَحْصِ الغُرْفَةِ بِعِنايَةٍ ، وَكانَ بِها بابٌ يُؤَدِّي إِلى غُرْفَةِ نَوْمٍ تُطِلُّ عَلى النَّهْرِ . وَكانَ بِمُحاذاةِ النَّهْرِ شَريطٌ طَويلٌ مِنَ الأَرْضِ الجافَّةِ ، يَظْهَرُ عِنْدَما تَنْحَسِرُ مِياهُ النَّهْرِ بِفِعْلِ الجَزْرِ ، ثُمَّ يَخْتَفي حينَما تَغْمُرُهُ المِياهُ إِذا اشْتَدَّ المَدُّ . وَكانَ النَّهْرُ في ذلِكَ الحينِ في أَقْصى حالاتِ المَدِّ ، وَ لكِنَّ رِجالَ الشُّرْطَةِ لاحَظوا بُقَعًا مِنَ الدِّماءِ عَلى حافَةِ النّافِذَةِ . كَما تَناثَرَتْ بَعْضُ البُقَعِ عَلى أَرْضِ حُجْرَةِ النَّوْمِ مِمّا جَعَلَهُمْ يَشُكّونَ في وُجودِ جَريمَةٍ وَراءَ اخْتِفاءِ سانْت كلِير ، خاصَّةً بَعْدَ أَنْ عَثَروا عَلى بَعْضِ مَلابِسِهِ عَدا مِعْطَفِهِ ، وَلكِنْ لا يَزالُ المَوْقِفُ غامِضًا ، فَلَمْ تَظْهَرْ عَلى تِلْكَ المَلابِسِ عَلامَةٌ مِنْ عَلاماتِ العُنْفِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ احْتِمالٍ يَتَعَلَّقُ بِسانْت كلِير إِلّا أَنْ يَكونَ قَدْ خَرَجَ مِنَ النّافِذَةِ .

« وَلَمْ يَكُنْ صاحِبُ الحانَةِ عَلى وِفاقٍ مَعَ رِجالِ الشُّرْطَةِ ؛ لِما

يُسَبِّبُهُ لَهُمْ مِنْ مَشاكِلَ ، وَ مَعَ هذا لا يُعْتَقَدُ أَنَّهُ قَتَلَ سانْت كلِير ، لِأَنَّ السَّيِّدَةَ وَجَدَتْهُ أَسْفَلَ الدَّرَجِ بَعْدَ أَنْ رَأَتْ زَوْجَها بِثَوانٍ مَعْدوداتٍ . وَذَكَرَ الرَّجُلُ أَنَّهُ لا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ المَلابِسِ الَّتي وُجِدَتْ بِالطّابَقِ العُلْوِيِّ ، وَلا شَكَّ أَنَّ الرَّجُلَ الأَعْرَجَ الَّذي يُدْعى هيو بون هُوَ آخِرُ مَنْ شاهَدَ سانْت كلِير .

« وَ هيو بون هذا مُتَسَوِّلٌ يَعْرِفُهُ النّاسُ في لَنْدَن ، وَ يَتَّخِذُ لَهُ مَكانًا قُرْبَ بَنْكِ إِنْجِلْترا حَيْثُ يَتَظاهَرُ بِبَيْعِ عُلَبِ الثِّقابِ ، وَ يَضَعُ بِجانِبِهِ قُبَّعَةً قَذِرَةً يَرْمي لَهُ النّاسُ فيها قِطَعَ النُّقودِ . وَ لِهذا الرَّجُلِ مَظْهَرٌ غَريبٌ يَجْذِبُ الانْتِباهَ ؛ فَوَجْهُهُ شاحِبٌ ، وَ شَعْرُهُ أَحْمَرُ يَتَدَلّى عَلى رَقَبَتِهِ ، وَ عَيْناهُ بَرّاقَتانِ ، وَ شَفَتُهُ العُلْيا مُلْتَوِيَةٌ إِثْرَ حادِثٍ قَديمٍ ، وَلكِنَّهُ لَبِقٌ في حَديثِهِ . »

وَ أَبْدَيْتُ دَهْشَتي مِنْ أَنْ يَتَمَكَّنَ إِنْسانٌ أَعْرَجُ مِثْلُ بون مِنْ قَتْلِ شابٍّ صَحيحِ الجِسْمِ مِثْلِ سانْت كلِير ، وَلكِنَّ هولمز أَسْرَعَ قائِلاً : « إِنَّ هذا الأَعْرَجَ ، يا واطْسُن ، يَتَمَتَّعُ بِقُوَّةٍ هائِلَةٍ ، وَعِنْدَما كانَ رِجالُ الشُّرْطَةِ يَقومونَ بِتَفْتيشِهِ ، وَجَدوا بُقَعًا مِنَ الدَّمِ عَلى أَحَدِ كُمَّيْ قَميصِهِ . وَعَلَّلَ ذلِكَ بِأَنَّها نَتيجَةٌ لِجُرْحٍ في أُصْبُعِهِ ، وَكَشَفَ عَنْ ذلِكَ الجُرْحِ ، وَقالَ إِنَّهُ كانَ بِالنّافِذَةِ مُنْذُ وَقْتٍ قَريبٍ ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ تَكونَ بُقَعُ الدَّمِ الَّتي شوهِدَتْ عَلى النّافِذَةِ وَ عَتَبَتِها

قَدْ تَساقطَتْ مِنْ هذا الجُرْحِ . وَ أنْكرَ أنَّهُ يَعْرِفُ إنْسانًا يُسَمَّى سانْت كلير ، كَما أقْسَمَ بِأنَّ وُجودَ هذهِ المَلابِسِ في غُرْفَتِهِ يُعْتَبَرُ أمْرًا غامِضًا بالنِّسْبَةِ لَهُ أيْضًا ، وإذا كانَتِ السَّيِّدَةُ تَدَّعي أنَّها قَدْ رأَتْ زَوْجَها بِالنّافِذَةِ مُنْذُ قَليلٍ فَلا بُدَّ أنَّها كانَتْ تَحْلُمُ ، وَ إلّا فَهِيَ – وَ لا شَكَّ – مَجْنونَةٌ .

وَاقْتيدَ بون إلى مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ ، وَ واصَلَ بَعْضُ الرِّجالِ مُعايَنَةَ المَكانِ ، فَلَمّا انْحَسَرَتْ مِياهُ النَّهْرِ أخَذوا يَبْحَثونَ عَنِ الجُثَّةِ ، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا سِوى المِعْطَفِ . وَ لاحَظوا أنَّ كُلَّ جُيوبِهِ مَمْلوءَةٌ بِقِطَعِ النُّقودِ مِنْ فِئَةِ البِنْسِ وَ نِصْفِ البِنْسِ ، فَتَعَذَّرَ عَلى تَيّارِ المِياهِ أنْ يَجْرُفَهُ إلى داخِلِ النَّهْرِ لِثِقْلِهِ . وَرَأى رِجالُ الشُّرْطَةِ إمّا أنْ تَكونَ الجُثَّةُ قَدْ سُحِبَتْ وَحْدَها بِقُوَّةِ الجَزْرِ ، أوْ أنْ يَكونَ المُتَسَوِّلُ قَدْ قَذَفَ بِها عارِيَةً مِنَ النّافِذَةِ ، ثُمَّ أرادَ أنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ المَلابِسِ ؛ فَمَلأَ جُيوبَ المِعْطَفِ بِالنُّقودِ المَعْدِنِيَّةِ وَ قَذَفَ بِهِ في النَّهْرِ حَتّى يَغوصَ ، وَكانَ يوشِكُ أنْ يَفْعَلَ ذلِكَ بِبَقِيَّةِ المَلابِسِ ، لَوْلا أنَّهُ سَمِعَ وَقْعَ أقْدامٍ تَصْعَدُ الدَّرَجَ فَأسْرَعَ بِغَلْقِ النّافِذَةِ .

« إنَّني موقِنٌ مِنْ أنَّ السَّيِّدَةَ قَدْ رَأتْ زَوْجَها في الحانَةِ ، وَعَلَيَّ أنْ أتَبَيَّنَ السَّبَبَ الحَقيقِيَّ في وُجودِهِ ، وَالعَلاقَةَ بَيْنَ هذا المُتَسَوِّلِ وَاخْتِفاءِ هذا الرَّجُلِ . إنَّ المُشْكِلَةَ لَيْسَتْ سَهْلَةً ، يا واطْسُن .»

كانَتِ العَرَبَةُ تَسيرُ بِنا في الظَّلامِ ، وَلَمَحْتُ عَنْ بُعْدٍ ضَوْءًا يَنْبَعِثُ بَيْنَ الأشْجارِ ، فَقالَ هُولمز : « أنْظُرْ ! هذا بَيْتُ نيفيل سانْت كلير ، لَقَدِ اقْتَرَبْنا مِنْهُ . إنَّ خَلْفَ هذا المِصْباحِ الَّذي نَراهُ الآنَ تَجْلِسُ سَيِّدَةٌ تَنْتَظِرُ حُضورَنا في لَهْفَةٍ وَ قَلَقٍ .»

وَبَعْدَ قَليلٍ دَخَلْنا مَمَرّاتٍ ضَيِّقَةً ، وَلَمْ نَلْبَثْ أنْ وَقَفْنا أمامَ بَيْتٍ كَبيرٍ ، فَهُرِعَ الخادِمُ لِكَيْ يُمْسِكَ بِلِجامِ الحِصانِ وَهُوَ يَتَوَقَّفُ عَنِ السَّيْرِ . وَكانَ مَدْخَلُ البَيْتِ قَدْ فُتِحَ قَبْلَ وُصولِنا ، وَتَقَدَّمَتْ نَحْوَنا سَيِّدَةٌ جَميلَةٌ في مُقْتَبَلِ العُمْرِ تَلْبَسُ ثَوْبًا مِنَ الحَريرِ الأحْمَرِ ، وَكانَتْ هذِهِ السَّيِّدَةُ هِيَ زَوْجَةَ سانْت كلير .

وَيَبْدو أنَّها ظَنَّتْ أنّي زَوْجُها ، فَقالَتْ : « حَسَنٌ . أرى أنَّكَ قَدْ أتَيْتَ أخيرًا .» وَلكِنَّ هُولمز هَزَّ رَأسَهُ في أسَفٍ وَهُوَ يَقولُ : « لا ، يا سَيِّدَتي ! لَيْسَتْ ثَمَّةَ أخْبارٌ سارَّةٌ !»

وَحينَما لاحَظَ اضْطِرابَها أرْدَفَ قائِلاً : « وَكَذلِكَ لا توجَدُ أخْبارٌ سَيِّئَةٌ !»

وَدَعَتْنا زَوْجَةُ سانْت كلير إلى الدُّخولِ ، وَقَدَّمَني هُولمز إلَيْها قائِلاً : « هذا صَديقي الدُّكْتور واطْسُن . إنَّهُ كَثيرًا ما يُساعِدُني في حَلِّ القَضايا الَّتي أعالِجُها ، وَلِحُسْنِ حَظّي قابَلْتُهُ اللَّيْلَةَ صُدْفَةً .»

وَرَحَّبَتْ بِنا السَّيِّدَةُ ، وَ قادَتْنا إلى غُرْفَةِ الطَّعامِ ، حَيْثُ وَجَدْنا عَشاءً خَفيفاً أُعِدَّ لَنا . وَقالَتْ مُوَجِّهَةً كَلامَها إلى هُولمْز : « إنَّ لَدَيَّ بَعْضَ الأَسْئِلَةِ ، أَوَدُّ أَنْ تُجيبَ عَنْها بِصِدْقٍ . »

قالَ : « إنّي عَلى اسْتِعْدادٍ لِذلِكَ . »

سَأَلَتْهُ السَّيِّدَةُ : « هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ نيقِيل لا يَزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « إنّي لا أَعْتَقِدُ ذلِكَ . »

صاحَتْ : « إذاً فَقَدْ ماتَ ! »

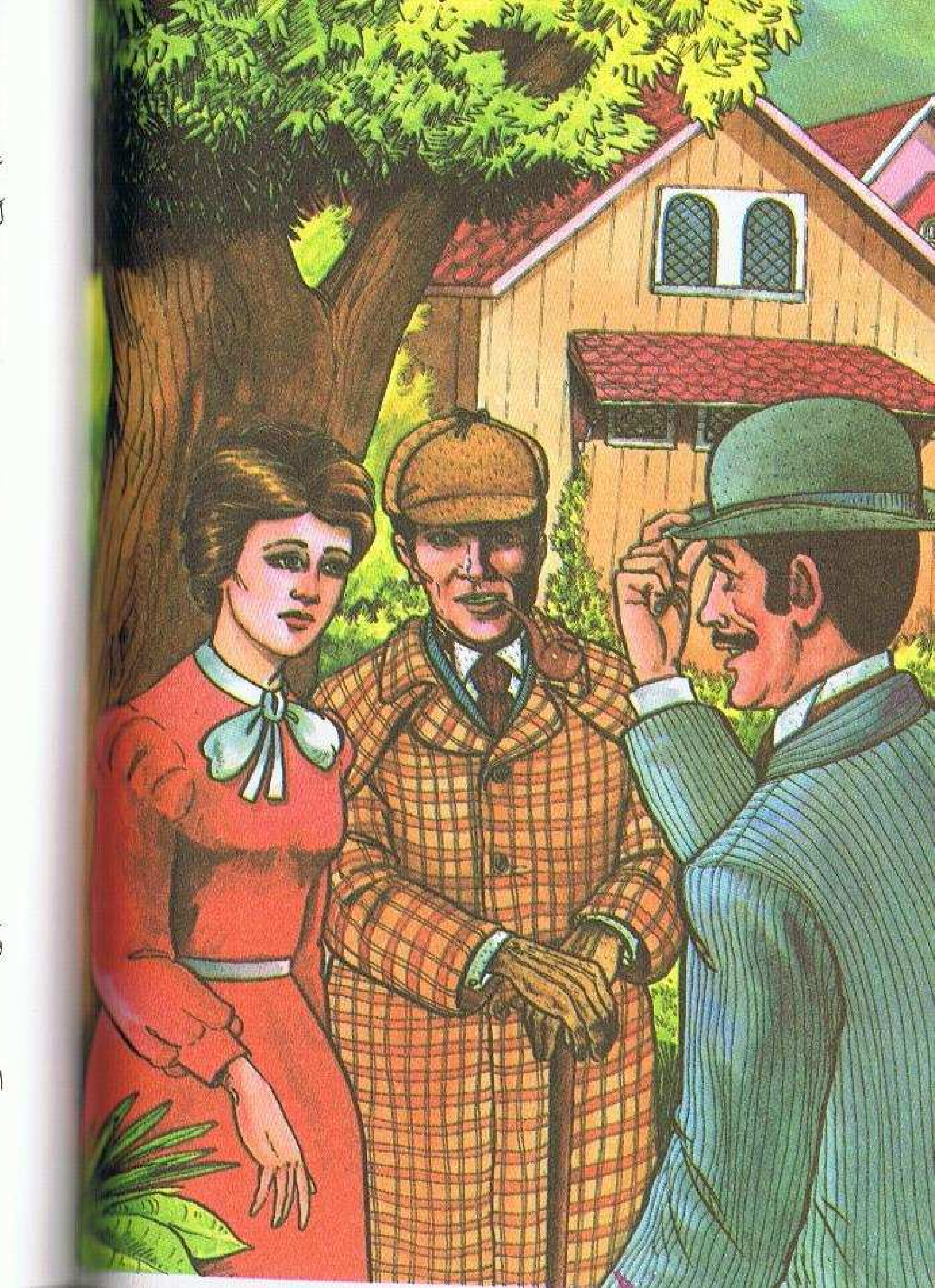
قالَ هُولمْز : « أُرَجِّحُ هذا . »

سَأَلَتْهُ : « في أَيِّ يَوْمٍ تَظُنُّ أَنَّهُ ماتَ ؟ »

أَجابَ : « يَوْمَ الاثْنَيْنِ . »

أَسْرَعَتِ السَّيِّدَةُ تَسْأَلُ : « إذاً كَيْفَ تُفَسِّرُ سِرَّ الخِطابِ الَّذي وَصَلَني مِنْهُ اليَوْمَ ؟! »

وَتَعَجَّبَ هُولمْز عِنْدَ سَماعِهِ هذا الخَبَرَ ، وَطَلَبَ مِنْها أَنْ تُرِيَهُ هذا الخِطابَ ، فَلَمّا أَحْضَرَتْهُ أَخَذَهُ بِلَهْفَةٍ ثُمَّ وَضَعَهُ عَلى المائِدَةِ ، وَأَخَذَ



يَتَفَحَّصُهُ بِدِقَّةٍ . وَكانَ الظَّرْفُ مِنَ النَّوْعِ البُنِّيِّ الرَّخيصِ ، وَيُشيرُ خاتَمُ البَريدِ المَوْجودُ عَلَيْهِ ، إلى أنَّهُ قَدْ أرْسِلَ صَباحَ ذلِكَ اليَوْمِ مِنْ غريڤسند في شَمالِ كِنْت .

قالَ هولمز بَعْدَ أنِ انْتَهى مِنْ فَحْصِ الخِطابِ : « إنَّ الخَطَّ الّذي كُتِبَ بِهِ العِنْوانُ على الظَّرْفِ رَديءٌ لِلْغايَةِ ! وَأعْتَقِدُ ، يا سَيِّدَتي ، أنَّهُ لَيْسَ خَطَّ زَوْجِكِ .»

فَوافَقَتْهُ على ذلِكَ قائِلَةً : « وَ لكِنَّ الخِطابَ نَفْسَهُ كُتِبَ بِخَطِّ زَوْجي ، وَ أنا موقِنَةٌ مِنْ ذلِكَ .»

قالَ هولمز : « أنْظُري ! يَبْدو أنَّ الاسْمَ قَدْ كُتِبَ بِالحِبْرِ الأسْوَدِ ، وَتُرِكَ لِيَجِفَّ بِبُطْءٍ ، أمّا العِنْوانُ فَيَكادُ يَكونُ رَمادِيَّ اللَّوْنِ ، وَمَعْنى هذا أنَّ قَليلاً مِنَ الرَّمْلِ قَدْ وُضِعَ على الكِتابَةِ حَتّى تَجِفَّ بِسُرْعَةٍ . وَهذا يَدُلُّ على أنَّ الشَّخْصَ الّذي كَتَبَ على الظَّرْفِ قامَ بِكِتابَةِ الاسْمِ أوَّلاً ، ثُمَّ انْتَظَرَ حَتّى عَرَفَ العِنْوانَ ، فَكَتَبَهُ بَعْدَ ذلِكَ .»

وَعادَ هولمز إلى فَحْصِ الخِطابِ ثُمَّ قالَ : « يَبْدو ، يا سَيِّدَتي ، أنَّ شَيْئاً ما قَدْ وُضِعَ مَعَ الخِطابِ داخِلَ الظَّرْفِ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « لَقَدْ وَجَدْتُ فيهِ خاتَمَ زَوْجي .»

قَرَأَ هولمز الخِطابَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وَ جاءَ فيهِ : « أوليڤيا ، يا أعَزَّ النّاسِ ، لا تَخافي عَلَيَّ ؛ فَإنّي بِخَيْرٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ سَيَكونُ على ما يُرامُ . لَقَدْ حَدَثَ خَطَأٌ يَحْتاجُ إلى بَعْضِ الوَقْتِ لِتَصْحيحِهِ ، فَلا تَقْلَقي وَ اصْبِري .»

قالَ هولمز بَعْدَ أنْ قَرَأَ الخِطابَ : « إنَّ يَدَ الشَّخْصِ الّذي أمْسَكَ هذِهِ الوَرَقَةَ كانَتْ قَذِرَةً ، كَما أنَّ الّذي أغْلَقَ الخِطابَ كانَتْ بِفَمِهِ آثارٌ مِنَ التَّبْغِ ، وَثَمَّةَ دَلائِلُ تُبَشِّرُ بِبَعْضِ الأمَلِ ، وَلكِنّي لا أعْتَقِدُ أنَّ الخَطَرَ قَدْ زالَ نِهائِيّاً .»

أحَسَّتِ السَّيِّدَةُ بِالأمَلِ يَتَجَدَّدُ لَدَيْها فَقالَتْ : « إذاً فَزَوْجي لا يَزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ !»

قالَ هولمز : « ما لَمْ يَكُنِ الشَّخْصُ الّذي كَتَبَ هذا الخِطابَ مُزَوِّراً بارِعاً . كَما أنَّ الخاتَمَ لا يُثْبِتُ شَيْئاً ، فَلَعَلَّهُ قَدْ أُخِذَ مِنْهُ . وَرُبَّما يَكونُ الخِطابُ قَدْ كُتِبَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ، وَلَمْ يُلْقَ في صُنْدوقِ البَريدِ إلّا اليَوْمَ . وَإذاكانَ الأمْرُ كَذلِكَ فَلا بُدَّ أنَّ بَعْضَ الأحْداثِ الهامَّةِ قَدْ وَقَعَتْ خِلالَ هذَيْنِ اليَوْمَيْنِ .»

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « أرْجوكَ ، يا سَيِّدُ هولمز ، لا تَجْعَلْني أفْقِدُ شَجاعَتي ؛ فَأنا أحِسُّ بِأنَّ زَوْجي -لا يَزالُ بِخَيْرٍ ، فَإنَّ العاطِفَةَ

المَوْجودَةَ بَيْننا تُشعِرُني – في الحالِ – بِأيِّ خَطَرٍ يَحْدُثُ لَهُ ؛ فَفي صَباحِ يَوْمِ الأَحَدِ الماضي جُرِحَ أُصبُعُهُ ، وَهُوَ في حُجْرَةِ النَّوْمِ ، وَكُنْتُ في غُرْفَةِ الطَّعامِ بِالطَّابَقِ الأَسْفَلِ ، وَلكِنّي أَدْرَكْتُ في الحالِ أَنَّ مَكْروهًا قَدْ حَدَثَ لَهُ ، فَصَعِدْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعَةً ، وَتَبَيَّنَ لي أَنّي مُصيبَةٌ فيما تَوَقَّعْتُهُ . » ثُمَّ خَتَمَتْ كَلامَها قائِلَةً : « هَلْ تَظُنُّ أَنْ يُقْتَلَ زَوْجي ، وَأَنا هُنا ، دونَ أَنْ أَشْعُرَ بِذلِكَ ؟! »

أَجابَ هُولْمز : « إِذا كانَ زَوْجُكِ ، يا سَيِّدَتي ، لا يَزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، وَقادِرًا عَلى أَنْ يَكْتُبَ الخِطاباتِ ، فَلِماذا يَظَلُّ بَعيدًا عَنْ بَيْتِهِ ؟ »

أَجابَتِ السَّيِّدَةُ بِأَنَّها لا تَعْرِفُ سَبَبًا لِذلِكَ ، فَعادَ يَسْأَلُها : « أَلَمْ يَذْكُرْ لَكِ شَيْئًا غَيْرَ عادِيٍّ وَهُوَ يُغادِرُ البَيْتَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ؟ »

نَفَتِ السَّيِّدَةُ أَنْ يَكونَ زَوْجُها قَدْ ذَكَرَ لَها شَيْئًا غَريبًا ، وَلِذلِكَ أَصابَتْها الدَّهْشَةُ عِنْدَما رَأَتْهُ بِالنّافِذَةِ ، في تِلْكَ الحانَةِ المَوْجودَةِ في شارِعِ سُوانْدام .

سَأَلَها هُولْمز : « هَلْ كانَتِ النّافِذَةُ مَفْتوحَةً عِنْدَما شاهَدْتِ زَوْجَكِ ؟ »

رَدَّتِ السَّيِّدَةُ بِالإِيجابِ ، فَعادَ يَسْأَلُها : « لِماذا لَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَيْكِ زَوْجُكِ حينَ رَآكِ ؟ »

قالَتْ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ يُريدُ ذلِكَ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ ؛ فَقَدْ سَمِعْتُهُ يَصْرُخُ وَهُوَ يُلَوِّحُ لي بِيَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَطْلُبُ النَّجْدَةَ . »

قالَ هُولْمز : « رُبَّما كانَتْ صَيْحَةَ دَهْشَةٍ ، وَرُبَّما لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ رُؤْيَتَكِ فَأَخَذَ يُلَوِّحُ بِيَدَيْهِ . »

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « هذا أَمْرٌ مُحْتَمَلٌ ، وَلكِنّي أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا قَدْ جَذَبَهُ إِلى الدّاخِلِ . »

قالَ هُولْمز : « قَدْ يَكونُ هُوَ الَّذي تَراجَعَ إِلى الدّاخِلِ ، وَ أَظُنُّكِ لَمْ تُلاحِظي وُجودَ أَيِّ إِنْسانٍ آخَرَ غَيْرِهِ بِالغُرْفَةِ . »

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « وَلكِنَّ هذا الأَعْرَجَ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ كانَ بِالغُرْفَةِ في ذلِكَ الحينِ ، أَمّا صاحِبُ الحانَةِ فَكانَ آنَذاكَ بِأَسْفَلِ الدَّرَجِ . »

سَأَلَها هُولْمز : « هَلْ كانَ زَوْجُكِ يَرْتَدي مَلابِسَهُ العادِيَّةَ ؟ » فَرَدَّتْ عَلَيْهِ بِالإِيجابِ ، وَبِأَنَّهُ كانَ بِغَيْرِ ياقَةٍ أَوْ رِباطِ عُنُقٍ .

سَأَلَها هُولْمز : « أَلَمْ يَذْكُرْ لَكِ شَيْئًا عَنْ شارِعِ سُوانْدام ؟ » فَأَجابَتْ بِالنَّفْيِ ، فَسَأَلَها : « أَلَمْ تُلاحِظي أَنَّهُ كانَ يَتَعاطى

الأفيونَ ؟» و نفتِ السيِّدةُ ذلكَ نفْياً قاطعاً .

وَلمّا انْتهى هُولمز مِن استِفْساراتِهِ طَلَبَ مِنَ السَّيِّدَةِ أنْ تُعِدَّ لَنا العَشاءَ ، قَبْلَ أنْ تَذْهبَ إلى الفِراشِ ، وَ قالَ : « إنّني أتوَقّعُ أنْ يكونَ الغَدُ مَشْحوناً بِالعملِ .» ولَمْ يَنَمْ هُولمز ، وَتِلْكَ كانَتْ عادَتُهُ عِنْدَما يَنْشَغِلُ بِإحْدى القَضايا الغامِضَةِ ، وَجَلَسَ في الفِراشِ مُسْتَنِداً إلى مَجْموعةٍ مِنَ الوَسائِدِ ، وَأخَذَ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ بِهُدوءٍ ، وَهُوَ يُحَمْلِقُ إلى سَقْفِ الحُجْرَةِ ، أمّا أنا فَسرْعانَ ما اسْتغْرقْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ .

وَاسْتيقَظْتُ صَباحَ اليَوْمِ التّالي ، فَوَجَدْتُ هُولمز لا يَزالُ جالِساً يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ . وكانَ الطَّقْسُ جَميلاً مُشْمِساً رَغْمَ كَثافَةِ الدُّخانِ الّذي يَنْبَعِثُ مِنَ التّبغِ المُحترِقِ .

قالَ هُولمز بَعْدَ أنْ أدرَكَ أنّني اسْتيْقَظْتُ : « هَلْ تُحِبُّ أنْ تُرافِقَني في هذِهِ السّاعَةِ المُبكّرَةِ ، يا واطْسن ؟»

قُلْتُ : « أجَلْ .» فَطَلَبَ مِنّي أنْ أرْتَدِيَ مَلابِسي في الوَقْتِ الّذي يَذْهَبُ فيهِ لإعْدادِ العَرَبَةِ ، وَقالَ : « لَقَدْ طَرَأتْ لِيَ الآنَ فِكْرَةٌ أرْغَبُ في اخْتِبارِ مَدى صِحَّتِها .» و واصلَ كَلامَهُ ضاحِكاً : « أعْتَقِدُ أنّي ، رَغْمَ غَبائي الّذي أسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الضَّرْبَ ، قَدْ تَمَكَّنْتُ

مِنْ تَفْسيرِ الغُموضِ الّذي يُحيطُ بِاخْتِفاءِ نيفيل سانْت كلير ، وفي يَدي الآنَ مِفْتاحُ هذا السِّرِّ !»

وَسَألْتُهُ – وأنا مُبْتَسِمٌ – عَنْ مَكانِ هذا المِفْتاحِ ؛ فَأشارَ إلى حَقيبَةٍ وُضِعَتْ بِجانِبِهِ وَ قالَ : « هُنا في هذِهِ الحَقيبَةِ .»

وَلَمّا لاحَظَ عَلاماتِ الدَّهْشَةِ تَرْتَسِمُ على وَجْهي قالَ : « ذَهَبْتُ وَأنْتَ نائِمٌ إلى دَوْرَةِ المِياهِ ، وَأخَذْتُ مِنْ هُناكَ مِفْتاحَ السِّرِّ ، وَ وَضَعْتُهُ في هذِهِ الحَقيبَةِ .»

تَرَكَني هُولمز وفي يَدِهِ الحَقيبَةُ ، وَبَعْدَ قَليلٍ سَمِعْتُ صَوْتَ العَرَبَةِ يَقْتَرِبُ مِنَ البابِ الخارِجِيِّ ، وَكُنْتُ قَدِ انْتَهَيْتُ مِنِ ارْتِداءِ ثِيابي ، فَغادَرْتُ الغُرْفَةَ مُسْرِعاً . وَما هِيَ إلّا لَحْظَةٌ حَتّى قَفَزْتُ إلى جِوارِ هُولمز ، وَأصْبَحْنا على الطَّريقِ المُوَصِّلِ إلى لَنْدَن . وَبَدَتِ البُيوتُ المُتَناثِرَةُ على الجانِبَيْنِ هادِئَةً صامِتَةً ، وَلَمْ نُشاهِدْ إلّا بَعْضَ العَرَباتِ البَطيئَةِ تَحْمِلُ الفاكِهَةَ وَالخُضَرَ إلى الأسْواقِ .

وَسرْعانَ ما وَصَلْنا إلى لَنْدَن ، وَكانَتِ الشَّوارِعُ خالِيَةً. و شاهَدْنا مِنَ النَّوافِذِ أناساً يَسْتَيْقِظونَ في تَراخٍ ، وَالنَّوْمُ لا يَزالُ يُداعِبُ أجْفانَهُمْ . وَعَبَرْنا النَّهْرَ على جِسْرِ وُوتَرْلو ، ثُمَّ اتَّجَهْنا إلى مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ الّذي يَقَعُ قَريباً مِنْهُ ، وَكانَ بِالبابِ رَجُلانِ أدّيا التَّحِيَّةَ إلى

هُولْمز ؛ لأنَّهما يَعْرِفانِهِ ، وَأَمْسَكَ أَحَدُهُما لِجامَ الحِصانِ ، بَيْنَما قادَنا الآخَرُ إلى الدّاخِلِ .

سَأَلَ هُولْمز رَجُلَ الشُّرْطَةِ الَّذي يُرافِقُنا : « مَنِ الضّابِطُ المُكَلَّفُ اليَوْمَ بِالعَمَلِ هُنا ؟»

قالَ الرَّجُلُ : « إنَّهُ برادْستريت ، يا سَيِّدي .»

وَ وَصَلْنا إلى غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ ، يَجْلِسُ بِها ضابِطٌ مُتَوَسِّطُ العُمْرِ ، بِجِوارِ مَكْتَبٍ عَلَيْهِ تِليفُون ، وَحَيّاهُ هُولْمز ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « إنّي أَوَدُّ أنْ أَتَحَدَّثَ إلَيْكَ في مَوْضوعٍ هامٍّ .»

وَأَبْدى الضّابِطُ اسْتِعْدادَهُ لِلاسْتِماعِ إلَيْهِ ، وَطَلَبَ مِنّا أنْ نَجْلِسَ، وَاتَّخَذَ كُلٌّ مِنّا مَقْعَداً .

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ أَتَيْتُ بِخُصوصِ المُتَسَوِّلِ الَّذي يُدْعى بون ، المُتَّهَمِ في قَضِيَّةِ اخْتِفاءِ سانْت كلير .»

قالَ الضّابِطُ : « إنَّنا جَميعاً مَشْغولونَ بِهذِهِ القَضِيَّةِ ، يا سَيِّدي .»

قالَ هُولْمز : « هَلْ هُوَ مَوْجودٌ لَدَيْكُم ؟»

أجابَ الضّابِطُ : « إنَّهُ مُحْتَجَزٌ لَدَيْنا ، وَهذا المُتَسَوِّلُ لَمْ يُسَبِّبْ لَنا

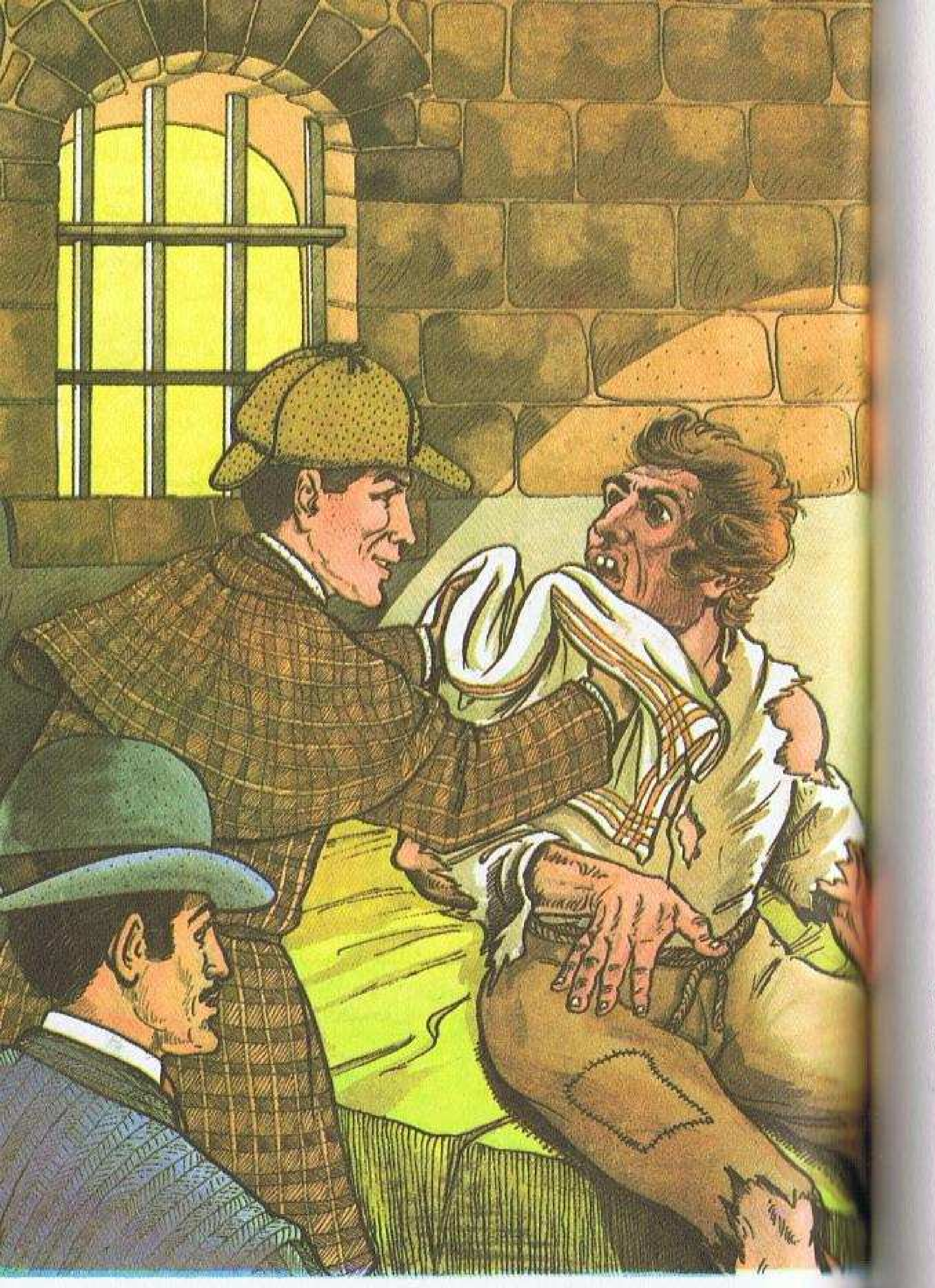
أَيَّةَ مَتاعِبَ ، غَيْرَ أنَّهُ قَذِرٌ لا يَعْبَأُ بِأنْ يُزيلَ ما عَلَيْهِ مِنْ قاذوراتٍ ، فَوَجْهُهُ مُتَّسِخٌ كَأنَّهُ عامِلٌ في مَنْجَمٍ فَحْمٍ !»

قالَ هُولْمز : « إنَّني شَديدُ الرَّغْبَةِ في رُؤْيَتِهِ .»

وافَقَ الضّابِطُ عَلى ذلِكَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أنْ يَتْرُكَ الحَقيبَةَ في الغُرْفَةِ وَيَذْهَبَ مَعَهُ ، وَلكِنَّ هُولْمز اسْتَأْذَنَ الضّابِطَ في أنْ يَأْخُذَ الحَقيبَةَ مَعَهُ ، فَلَمْ يَعْتَرِضْ . وَ قادَنا عَبْرَ مَمَرٍّ ضَيِّقٍ إلى بابٍ حَديدِيٍّ دَخَلْنا مِنْهُ إلى مَمَرٍّ طَويلٍ ، فَرَأَيْنا عَلى كِلا جانِبَيْهِ صَفّاً مِنَ الأَبْوابِ المُغْلَقَةِ .

قالَ الضّابِطُ وَهُوَ يُشيرُ إلى أَحَدِ الأَبْوابِ : « هذا هُوَ بابُ الغُرْفَةِ الَّتي حَجَزْنا فيها ذلِكَ المُتَسَوِّلَ . » ثُمَّ نَظَرَ مِنْ خِلالِ ثُقْبٍ في الجُزْءِ العُلْوِيِّ لِلْبابِ وَ قالَ : « إنَّهُ لا يَزالُ نائِماً ، وَ يُمْكِنُكَ أنْ تَراهُ بِوُضوحٍ .»

نَظَرْنا مِنَ الثُّقْبِ ، وَكانَ السَّجينُ يَغِطُّ في نَوْمٍ عَميقٍ وَ وَجْهُهُ مُتَّجِهٌ نَحْوَنا . وَكانَ يَبْدو مُتَوَسِّطَ الطّولِ وَيَرْتَدي مَلابِسَ رَثَّةً ، وَ في حالَةٍ بَشِعَةٍ مِنَ القَذارَةِ . وَكانَتْ شَفَتُهُ العُلْيا مُلْتَوِيَةً بِدَرَجَةٍ كَشَفَتْ عَنْ ثَلاثٍ مِنْ أَسْنانِهِ ، وَلَهُ شَعْرٌ أَحْمَرُ لامِعٌ يَتَدَلّى مِنْ رَأْسِهِ بِغَزارَةٍ ، وَ مُنْسَدِلاً عَلى عَيْنَيْهِ .



قالَ الضّابِطُ مُتهكِّماً وَهُوَ يُشيرُ إلى ثَقْبِ الباب : « إنَّهُ بلا شَكٍّ، تُحفَةٌ مِنَ الجَمالِ النّادِرِ !»

ضَحِكَ هُولمز قائِلاً : « أعْتَقِدُ أنَّهُ في حاجَةٍ إلى الاغْتِسالِ .» وَفَتَحَ الحَقيبَةَ الّتي مَعَهُ وَأخْرَجَ مِنْها مِنْشَفَةً مُبَلَّلَةً ، وَأخَذَها مَعَهُ وَنَحْنُ نَدْخُلُ الغُرْفَةَ ، وَأسْرَعَ هُولمز نَحْوَ السَّجينِ النّائِمِ ، وَأخَذَ يُمَرِّرُ المِنْشَفَةَ عَلى وَجْهِهِ بِقُوَّةٍ وَهُوَ يَقولُ : « دَعوني أُقَدِّمْ لَكُم نيفِيل سانْت كلير ، الّذي يَعيشُ في مَدينَةِ « لي » بِمُقاطَعَةِ كِنْت !»

وَكانَ لِلْمِنْشَفَةِ تَأْثيرٌ عَجيبٌ عَلى وَجْهِ الرَّجُلِ ، فَقَدْ أخَذَتْ تَتَطايَرُ مِنْ فَوْقِهِ قِشْرَةٌ كَأنَّها الوَرَقُ الرَّقيقُ . وَجَذَبَ هُولمز الرَّجُلَ مِنْ شَعْرِهِ الأحْمَرِ فَانْفَصَلَ الشَّعْرُ كُلُّهُ عَنْ رَأسِهِ؛ إذْ كانَ شَعْراً مُسْتَعاراً، ثُمَّ وَضَعَ المِنْشَفَةَ بِرِفْقٍ فَوْقَ فَمِ الرَّجُلِ ، ثُمَّ رَفَعَها فَتَطايَرَ الجُزْءُ المُلْتَوي مِنَ الشَّفَةِ العُلْيا .

وَهكَذا تَحَوَّلَ المُتَسَوِّلُ القَذِرُ إلى شابٍّ وَسيمٍ أسْوَدِ الشَّعْرِ ذي بَشَرَةٍ ناعِمَةِ المَلْمَسِ ، وَفَمٍ جَميلِ المَنْظَرِ .

وَجَلَسَ الرَّجُلُ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ ، وَكانَ النُّعاسُ لا يَزالُ بادِياً عَلَيْهِ، ثُمَّ تَنَبَّهَ فَجْأةً وَ أدْرَكَ ما يَدورُ حَوْلَهُ ، فَأخَذَ يَنْتَحِبُ وَ هُوَ يُخْفي وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ .

وَقفَ الضابِطُ يَنْظُرُ إلى سجينِه مَشْدوهًا ، وَ قالَ : « رَبّي ! ما هذا الّذي أرى ؟! إنَّهُ بِالتَّأكيدِ ذلِكَ الرَّجُلُ المَفْقودُ الّذي نَبْحَثُ عَنْهُ ؛ لَقَدْ عَرَفْتُهُ مِنَ الصّورَةِ المَوْجودَةِ لَدَيْنا .»

حاوَلَ السَّجينُ أنْ يَتَمالَكَ نَفْسَهُ ، ثُمَّ قالَ : « ما التُّهمَةُ المَنْسوبَةُ إلَيَّ ؟»

أجابَهُ الضّابِطُ : « لا يُمْكِنُ أنْ نُوَجِّهَ إلَيْكَ تُهْمَةً بَعْدَ أنِ انْكَشَفَ أمْرُكَ ، وَ هُوَ أعْجَبُ ما رَأيْتُ في حَياتي !»

قالَ الرَّجُلُ : « أنا نيڤيل سانْت كلير ، ولا توجَدُ جَريمَةٌ أعاقَبُ عَلَيْها ، وَاحْتِجازي هُنا يُعْتَبَرُ خَرْقًا لِلْقانونِ .»

قالَ هُولْمز : « كانَ عَلَيْكَ أنْ تَرْأَفَ بِزَوْجَتِكَ !»

قالَ الرَّجُلُ : « إنَّ زَوْجَتي لا تَهُمُّني كَثيرًا ، وَ لكِنْ كُلُّ ما يَشْغَلُني أنْ لا يَخْجَلَ مِنّي طِفْلي .»

وَجَلَسَ هُولْمز إلى جِوارِ سانْت كلير ، وَطَلَبَ مِنْهُ أنْ يَقُصَّ عَلَيْنا قِصَّتَهُ ، ما دامَتْ لَيْسَتْ هُناكَ ضَرورَةٌ لإرْسالِهِ لِلْمُحاكَمَةِ ، وَ وَعَدَهُ بِأنْ يُخْفِيَ أمْرَهُ عَنِ الصُّحُفِ كُلِّها .

قالَ الرَّجُلُ يَحْكي تَفاصيلَ حَياتِهِ : « كانَ أبي مُدَرِّسًا في

إحْدى مَدارِسِ مُقاطَعَةِ دِرْبيشاير ، الّتي تَلَقَّيْتُ فيها تَعْليمًا مُتَميِّزًا أثْناءَ طُفولَتي وَشَبابي . وَبَعْدَ تَخَرُّجي اشْتَغَلْتُ مُدَّةً بِالتَّمْثيلِ ، ثُمَّ عَمِلْتُ مُخْبِرًا صَحَفِيًّا لإحْدى الصُّحُفِ المَسائِيَّةِ في لَنْدَن .

« وَفي أحَدِ الأيّامِ طُلِبَ مِنّي القِيامُ بِتَحْقيقٍ صَحَفِيٍّ عَنِ التَّسَوُّلِ ، وَكانَتْ هذِهِ بِدايَةَ ما أقْدَمْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَخاطِرَ ؛ فَقَدْ رَأيْتُ أنَّ أفْضَلَ طَريقَةٍ لِجَمْعِ المَعْلوماتِ حَوْلَ هذِهِ الظّاهِرَةِ هِيَ أنْ أمارِسَ التَّسَوُّلَ وَلَوْ لِيَوْمٍ واحِدٍ . وَكانَتْ لَدَيَّ الخِبْرَةُ الكافِيَةُ لِتَغْييرِ مَلامِحي ، فَطَلَيْتُ وَجْهي بِالأصْباغِ ، وَثَبَّتُّ فَوْقَ فَمي شَفَةً مُلْتَوِيَةً ، وَ وَضَعْتُ شَعْرًا مُسْتَعارًا وَثِيابًا قَذِرَةً حَتّى تَغَيَّرَتْ مَلامِحي تَمامًا . واتَّخَذْتُ لِنَفْسي مَكانًا في شارِعٍ رَئيسِيٍّ في لَنْدَن ، وَتَظاهَرْتُ بِبَيْعِ عُلَبِ الكِبْريتِ ، وَلكِنّي كُنْتُ في الواقِعِ أتَسَوَّلُ مِنَ المارَّةِ . وَجَلَسْتُ في مَكاني هذا سَبْعَ ساعاتٍ ، وَلَمّا عُدْتُ إلى بَيْتي في المَساءِ ، دَهِشْتُ عِنْدَما وَجَدْتُ مَعي مَبْلَغًا كَبيرًا . وَكَتَبْتُ بِإتْقانٍ التَّحْقيقَ الصَّحَفِيَّ المَطْلوبَ ، وَقوبِلَ بِالإعْجابِ . ثُمَّ تَرَكْتُ الأمْرَ وَلَمْ أعُدْ أفَكِّرُ فيهِ .

« وَذاتَ يَوْمٍ وَقَّعْتُ بِإمْضائي عَلى وَرَقَةٍ ، أضْمَنُ فيها صَديقًا لي اسْتَدانَ خَمْسَةً وَعِشْرينَ جُنَيْهًا ، غَيْرَ أنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ سَدادَ هذا الدَّيْنِ ، فَأصْبَحْتُ في مَوْقِفٍ حَرِجٍ . وَفَجْأةً طَرَأَتْ لي فِكْرَةٌ غَريبَةٌ

تُمَكِّنُني مِنْ سَدادِ هذا المَبْلَغِ ، فَطَلَبْتُ مِنَ الصَّحيفَةِ إجازَةً لِمُدَّةِ أُسْبوعَيْنِ أمْضَيْتُها جالِساً في مَكاني ، أتَسَوَّلُ بِالطَّريقَةِ الَّتي مارَسْتُها مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ يَمْضِ أكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ أيّامٍ حَتّى جَمَعْتُ أكْثَرَ مِنَ المَبْلَغِ المَطْلوبِ ، وَسَدَّدْتُ الدَّيْنَ .

« وَكانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيَّ أنْ أعودَ مَرَّةً أخرى إلى عَمَلي الشّاقِّ بِالصَّحيفَةِ ، مُقابِلَ جُنَيْهَيْنِ أُسْبوعِيًّا ، في الوَقْتِ الَّذي أسْتَطيعُ فيهِ أنْ أجْمَعَ هذا المَبْلَغَ في يَوْمٍ واحِدٍ ، وَلَمْ يَكُنِ الأمْرُ يَتَطَلَّبُ مِنّي أكْثَرَ مِنْ أنْ أُغَيِّرَ مَلامِحي ، وَ أرْتَدِيَ مَلابِسَ قَذِرَةً ، وَأضَعَ بِجِواري قُبَّعَةً رَثَّةً . وَكانَ في هذا مَساسٌ بِكِبْرِيائي ، وَلكِنّي في النِّهايَةِ تَغَلَّبْتُ على نَفْسي ، وَتَرَكْتُ عَمَلي بِالصَّحيفَةِ ، وَاتَّخَذْتُ مَكاني بِالنّاصِيَةِ الَّتي كُنْتُ أجْلِسُ عِنْدَها . وَقَدِ اسْتَدَرَّ مَظْهَري البائِسُ عَطْفَ النّاسِ ، وَ سَرْعانَ ما امْتَلأَتْ جُيوبي بِالنُّقودِ. وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ سِرّي هذا سِوى رَجُلٍ واحِدٍ في لَنْدَن ، هُوَ ذلِكَ البَحّارُ الهِنْدِيُّ صاحِبُ حانَةِ الذَّهَبِ في شارِعِ سُوانْدام ، حَيْثُ كُنْتُ أُغَيِّرُ مَلامِحي كُلَّ صَباحٍ في تِلْكَ الحانَةِ ، وَ أعودُ إلَيْها في المَساءِ لِكَيْ أخْلَعَ مَلابِسَ التَّسَوُّلِ ، وَكانَ ذلِكَ نَظيرَ أجْرٍ أدْفَعُهُ إلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَكُنْتُ موقِناً مِنْ أنَّ الرَّجُلَ لَنْ يَبوحَ بِسِرّي ، لأنَّ المَنْفَعَةَ بَيْنَنا مُشْتَرَكَةٌ .

« وَكانَتْ لَباقَتي في الحَديثِ قَدْ جَعَلَتْ مِنّي شَخْصِيَّةً مَحْبوبَةً . وَأخَذَتِ النُّقودُ تَتَدَفَّقُ على قُبَّعَتي مِنْ رِجالِ الأعْمالِ ، الَّذينَ يَمُرّونَ بي ، حَتّى أصْبَحْتُ رَجُلاً ثَرِيّاً ، فَاشْتَرَيْتُ بَيْتاً كَبيراً في الرّيفِ ، وَأصْهَرْتُ إلى أُسْرَةٍ مُحْتَرَمَةٍ . وَلَمْ يَكُنْ أحَدٌ يَعْرِفُ المَصْدَرَ الحَقيقِيَّ لأمْوالي ، أمّا زَوْجَتي فَكانَتْ تَعْلَمُ أنّي أُديرُ عَمَلاً خاصّاً في لَنْدَن ، وَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ طَبيعَةَ هذا العَمَلِ .»

سَكَتَ الرَّجُلُ قَليلاً لِكَيْ يَسْتَريحَ ، ثُمَّ عادَ يَقولُ : « حَدَثَ مَساءَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ الماضي ، عِنْدَما كُنْتُ أقومُ بِتَغْييرِ مَلابِسي وَ مَلامِحي في الحانَةِ ، أنْ رَأَيْتُ زَوْجَتي فَجْأةً بِالطَّريقِ تَنْظُرُ إلَيَّ في دَهْشَةٍ ، فَسَبَّبَ لي ذلِكَ إزْعاجاً شَديداً ، فَصَرَخْتُ مِنْ حَرَجِ المَوْقِفِ وَأخْفَيْتُ وَجْهي بِيَدَيَّ ، وَ هُرِعْتُ إلى أسْفَلِ المَبْنى ، لِكَيْ أطْلُبَ مِنْ صاحِبِ الحانَةِ ، أنْ يَمْنَعَ أيَّ شَخْصٍ مِنَ الصُّعودِ إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، ثُمَّ عُدْتُ إلى غُرْفَتي ، وَخَلَعْتُ مَلابِسي وَارْتَدَيْتُ مَلابِسَ التَّسَوُّلِ مِنْ جَديدٍ ، وَلكِنّي سَمِعْتُ صَوْتَ زَوْجَتي تَتَحَدَّثُ ؛ فَأسْرَعْتُ بِتَغْييرِ مَلامِحِ وَجْهي ، وَ تَوَقَّعْتُ أنْ تُبْلِغَ الأمْرَ لِلشُّرْطَةِ . وَكُنْتُ أتَمَنّى أنْ لا يَعْثُرَ أحَدٌ على مَلابِسي الأصْلِيَّةِ ؛ فَمَلأْتُ الجُيوبَ بِقِطَعِ النُّقودِ ، وَفَتَحْتُ النّافِذَةَ . وَكانَتْ لي أُصْبَعٌ مَجْروحَةٌ عادَتْ تَنْزِفُ مِنْ جَديدٍ ، فَتَناثَرَ الدَّمُ على أرْضِ الحُجْرَةِ

وَنافذَتها . وَأَلْقيْتُ بِالمِعْطَفِ في النَّهْرِ فَغاصَ في الماءِ ، وَكُنْتُ أوشِكُ أنْ أقْذِفَ بِباقي المَلابِسِ ، بَيْدَ أنّي سَمِعْتُ وَقْعَ أقْدامِ رِجالِ الشُّرْطَةِ ، وَهُمْ يَصْعَدونَ إلى الطّابَقِ العُلْوِيِّ ، يَبْحَثونَ عَنْ نيفِيل سانْت كلير ، فَلَمْ يَجِدوا أمامَهُمْ سِوى بون ، ذَلِكَ المُتَسَوِّلِ المَعْروفِ في لَنْدَن ، فَأَلْقَوُا القَبْضَ عَلَيَّ بِتُهْمَةِ قَتْلِ زَوْجِ تِلْكَ السَّيِّدَةِ ؛ أيْ بِقَتْلِ نَفْسي ! وَمَعَ هذا كُنْتُ سَعيداً ، لأنَّ أحَداً لَمْ يَعْرِفْ حَقيقَةَ أمْري !»

وَصَمَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ مَضى يَقولُ : « كُنْتُ مُصَمِّماً عَلى أنْ لا يَعْرِفَني أحَدٌ ، فَفَضَّلْتُ أنْ أظَلَّ مُرْتَدِياً مَلابِسَ التَّسَوُّلِ ، وَكُنْتُ موقِناً مِنْ أنَّ زَوْجَتي سَوْفَ تَقْلَقُ لِغِيابي ، فَخَلَعْتُ خاتَمي وَكَتَبْتُ لَها رِسالَةً ، وَأَعْطَيْتُهُما لِصاحِبِ الحانَةِ لِتَوْصيلِهِما إلَيْها .»

قاطَعَهُ هُولْمز قائِلاً : « إنَّ زَوْجَتَكَ لَمْ تَتَسَلَّمْ هَذِهِ الرِّسالَةَ غَيْرَ أمْسِ .»

وَأَسِفَ الرَّجُلُ لِما سَبَّبَهُ لِزَوْجَتِهِ مِنْ مَتاعِبَ .

قالَ الضّابِطُ : « إنَّ رِجالَ الشُّرْطَةِ كانوا يُراقِبونَ صاحِبَ الحانَةِ ، وَيَبْدو أنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إرْسالِ الخِطابِ إلّا بِالأَمْسِ .» ثُمَّ اتَّجَهَ إلى سانْت كلير قائِلاً : « إنَّ حَياةَ التَّسَوُّلِ الَّتي تَعيشُها يَجِبُ أنْ تَتَوَقَّفَ

الآنَ ، وَإلّا فَإنَّنا سَوْفَ نُبْلِغُ الصُّحُفَ بِتَفاصيلِ هذِهِ القِصَّةِ !»

ثُمَّ نَظَرَ إلى هُولْمز قائِلاً : « إنَّكَ ، يا سَيِّدي ، قَدْ أرَحْتَ الشُّرْطَةَ مِنْ عَناءِ البَحْثِ عَنْ تَفْسيرٍ لِهذِهِ القِصَّةِ العَجيبَةِ ، وَلَكَ مِنّا جَزيلُ الشُّكْرِ عَلى الطَّريقَةِ النّاجِحَةِ الَّتي تَوَصَّلْتَ بِها لِحَلِّ هذا اللُّغْزِ .»

قالَ هُولْمز : « إنَّ هَذا لَمْ يُكَلِّفْني كَثيراً مِنَ العَناءِ ، فَقَدْ أدْرَكْتُ كُلَّ شَيْءٍ حينَما كُنْتُ جالِساً ، مُسْتَنِداً إلى الوَسائِدِ أُدَخِّنُ الغَلْيونَ طَوالَ اللَّيْلِ !» وَنَظَرَ إلَيَّ وَقالَ : « أعْتَقِدُ أنَّنا لَوْ أخَذْنا العَرَبَةَ الآنَ ، يا صَديقي واطْسُن ، وَتَوَجَّهْنا إلى بَيْتي فَإنَّنا سَنَصِلُ في وَقْتٍ مُناسِبٍ لِتَناوُلِ طَعامِ الإفْطارِ .»

إصْبَعُ المُهَنْدِسِ

إنَّ ما حَدَثَ لإصْبَعِ المُهَنْدِسِ هَذَرْلي في صَيْفِ عام ١٨٨٩ يُعَدُّ أمْرًا مُثيرًا لِلْغايَةِ، وَكُنْتُ آنَذاكَ في بِدايَةِ عَمَلي كَطَبيبٍ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ مَضى عَلى زَواجي زَمَنٌ طَويلٌ. وَكُنْتُ أسْكُنُ في مَنْزِلٍ لا يَبْعُدُ كَثيرًا عَنْ مَحَطَّةِ سِكَّةِ حَديدِ بادنْغتون. وَكانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيَّ عُمّالُ تِلْكَ المَحَطَّةِ لِعِلاجِهِمْ، وَكانَ مِنْ بَيْنِهِمْ حارِسٌ يَثِقُ كَثيرًا بِمَهارَتي؛ لِذلِكَ كانَ يَعْمَلُ عَلى إقْناعِ المَرْضى الَّذينَ يُصادِفُهُمْ بِزِيارَتي.

وَذاتَ صَباحٍ أبْلَغَتْني الخادِمَةُ بِأنَّ اثْنَيْنِ مِنْ عُمّالِ المَحَطَّةِ في انْتِظاري بِمَكْتَبي؛ فَارْتَدَيْتُ مَلابِسي عَلى عَجَلٍ وَأسْرَعْتُ لِمُقابَلَتِهِما، فَرَأيْتُ الحارِسَ يُغْلِقُ البابَ عَلى صاحِبِهِ وَيَتَقَدَّمُ نَحْوي مُبْتَسِمًا، وَهُوَ يَقولُ: « لَقَدْ جِئْتُ إلَيْكَ بِمَريضٍ جَديدٍ، وَقَدْ

حَرَصْتُ عَلى أن لا يُفْلِتَ مِنْ يَدي، فَجِئْتُ بِهِ فَوْرًا.» وَقَبْلَ أنْ أُوَجِّهَ الشُّكْرَ لَهُ غادَرَ البَيْتَ مُتَعَلِّلاً بِكَثْرَةِ أعْمالِهِ.

فَتَحْتُ بابَ الغُرْفَةِ فَوَجَدْتُ شابًّا في نَحْوِ الخامِسَةِ وَ العِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ، جالِسًا بِجِوارِ مَكْتَبي، وَقَدْ خَلَعَ قُبَّعَتَهُ وَ وَضَعَها بِجِوارِهِ، وَكانَتْ إحْدى يَدَيْهِ مَلْفوفَةً في مِنْديلٍ مُلَطَّخٍ بِالدَّمِ، وَكانَ شاحِبَ الوَجْهِ، في حالَةٍ شَديدَةٍ مِنَ الإعْياءِ، وَلكِنَّهُ لَمّا رَآني نَهَضَ لِتَحِيَّتي وَقالَ: « آسِفٌ لإزْعاجِكَ في تِلْكَ السّاعَةِ المُبَكِّرَةِ، وَلكِنّي مُضْطَرٌّ لِذلِكَ، فَقَدْ وَقَعَ لي حادِثٌ في اللَّيْلِ، وَكُنْتُ بَعيدًا عَنْ لَنْدَن فَفَضَّلْتُ العَوْدَةَ لِلْعِلاجِ.» فَطَلَبْتُ مِنْهُ أنْ يَجْلِسَ لِيَسْتَريحَ، ثُمَّ يَقُصَّ قِصَّتَهُ، فَقالَ: « عُدْتُ إلى لَنْدَن بِقِطارِ الصَّباحِ، وَ في مَحَطَّةِ بادنْغتون سَألْتُ عَنْ طَبيبٍ قَريبٍ فَاصْطَحَبَني ذلِكَ العامِلُ إلَيْكَ مُتَفَضِّلاً.» ثُمَّ أخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ بِطاقَةً عَرَفْتُ مِنْها أنَّ اسْمَهُ ڤيكْتور هَذَرْلي، وَ يَعْمَلُ مُهَنْدِسًا لِلطّاقَةِ المائِيَّةِ، وَمَكْتَبُهُ بِالمَنْزِلِ رَقْم ١٦ بِشارِعِ ڤيكْتوريا. وَحاوَلَ الرَّجُلُ أنْ يُواصِلَ كَلامَهُ، وَلكِنّي لاحَظْتُ أنَّهُ في حالَةِ إعْياءٍ شَديدَةٍ؛ فَأعْطَيْتُهُ كَأسًا مِنَ العَصيرِ. وَخَلَعْتُ المِنْديلَ عَنْ يَدِهِ، فَرَأيْتُ مَنْظَرًا تَقْشَعِرُّ لَهُ الأبْدانُ؛ فَقَدِ انْفَصَلَتْ إبْهامُهُ عَنْ يَدِهِ، وَظَهَرَ الجُرْحُ عَميقًا تَسيلُ مِنْهُ الدِّماءُ.

سَألْتُهُ عَمّا حَدَثَ، فَقالَ وَهُوَ يَكْتُمُ آلامَهُ: « إنَّ إصْبَعي قَدْ

قُطِعَتْ بِضَرْبَةِ فَأْسٍ مِنْ شَخْصٍ حاوَلَ أَنْ يَقْتُلَني .»

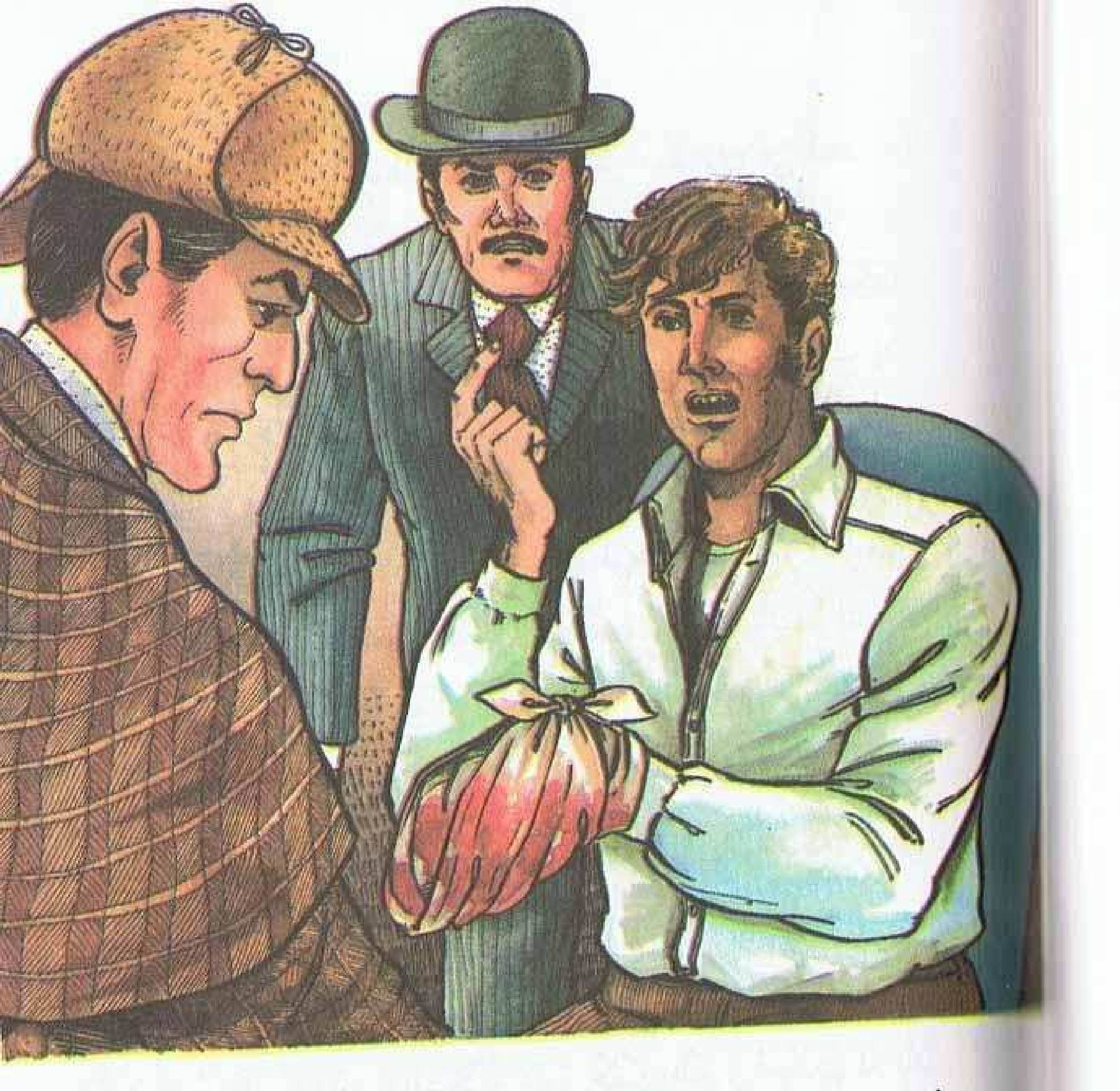
وَرَأَيْتُ أَنْ يُؤَجِّلَ حَديثَهُ حَتّى أَنْتَهِيَ مِنْ عِلاجِهِ . وَقُمْتُ لأُحْضِرَ ما يَلْزَمُهُ مِنْ دَواءٍ وَمُطَهِّرٍ لِتَضْميدِ جُرْحِهِ ، وَشَدَدْتُ يَدَهُ بِرِباطٍ طِبِّيٍّ مُحْكَمٍ .

اِسْتَسْلَمَ الشّابُّ حَتّى أَنْهَيْتُ عَمَلي ، ثُمَّ قالَ : « إِنّي أُفَضِّلُ أَنْ أُبْلِغَ الشُّرْطَةَ بِما حَدَثَ وَأَنا في هٰذِهِ الحالَةِ حَتّى يَثِقوا بِكَلامي ، فَأَنا لا أَمْلِكُ دَليلاً سِوى هٰذِهِ الأُصْبُعِ المَقْطوعَةِ .»

قُلْتُ : « أَنْصَحُكَ بِأَنْ تُقابِلَ صَديقي شِرْلوك هُولْمز ، قَبْلَ تَبْليغِ الشُّرْطَةِ .»

قالَ : « هٰذا رَأْيٌ صائِبٌ ، فَإِنّي أَعْلَمُ أَنَّ هُولْمز قادِرٌ عَلى اقْتِفاءِ أَثَرِ المُجْرِمينَ .» وَطَلَبَ مِنّي راجِياً أَنْ أُرافِقَهُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : « هَيّا نُسْرِعْ لِمُقابَلَتِهِ في مَنْزِلِهِ .»

اِسْتَأْذَنْتُ زَوْجَتي في الخُروجِ ، وَرَكِبْنا العَرَبَةَ الَّتي أَسْرَعَتْ بِنا إِلى شارِعِ بيكَر ، حَيْثُ يوجَدُ بَيْتُ صَديقي هُولْمز . وَ بَعْدَ قَليلٍ وَصَلْنا بَيْتَهُ فَوَجَدْناهُ جالِساً يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، وَيَتَصَفَّحُ إِحْدى صُحُفِ الصَّباحِ ، فَرَحَّبَ بِنا وَدَعانا لِتَناوُلِ طَعامِ الإِفْطارِ مَعَهُ . وَبَعْدَ إِفْطارِنا



أَبْلَغْتُهُ بِأَنَّ هَذَرْلي يَوَدُّ أَنْ يَقُصَّ عَلَيْهِ ما حَدَثَ لَهُ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ ، فَأَبْدى هُولْمز اسْتِعْدادَهُ لِذٰلِكَ ، وَ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَقُصَّ كُلَّ شَيْءٍ بِالتَّفْصيلِ ، ثُمَّ وَضَعَ بِجِوارِهِ كوباً مِنَ العَصيرِ ؛ لِكَيْ يَشْرَبَ مِنْهُ كُلَّما أَحَسَّ بِالتَّعَبِ ، فَشَكَرَهُ الشّابُّ عَلى كَرَمِهِ ، وَبَدَأَ يَتَكَلَّمُ .

قالَ : « أنا مُهَنْدِسٌ لِلطاقَةِ المائيَّةِ ، أعيشُ بِمُفْرَدي في لَنْدَن ، عَمِلْتُ في بَعْضِ الشَّرِكاتِ . وبَعْدَ وَفاةِ والِدَيَّ وَرِثْتُ مَبْلَغاً مِنَ المالِ ، وَفَضَّلْتُ أنْ أزاوِلَ بَعْضَ الأعْمالِ الحُرَّةِ ، وَاتَّخَذْتُ لي مَكْتَباً في شارِعِ ڤيكْتوريا . وَمَضى وَقْتٌ طَويلٌ وَلَمْ يَتَرَدَّدْ عَلى المَكْتَبِ إلّا عَدَدٌ قليلٌ مِنَ العُمَلاءِ ؛ فَبَدَأْتُ أشْعُرُ بِاليَأْسِ . وَأمْسِ حَضَرَ رَجُلٌ يُريدُ مُقابَلَتي ، وَعَرَفْتُ مِنْ بِطاقَتِهِ أنَّ اسْمَهُ الكابْتِن لايساندر سْتارْك ، فَطَلَبْتُ مِنْ مُساعِدي أنْ يُدْخِلَهُ فَوَجَدْتُهُ في نَحْوِ الأرْبَعين مِنْ عُمْرِهِ ، طَويلَ القامَةِ ، نَحيلَ الجِسْمِ ، لَهُ عَيْنانِ بَرّاقَتانِ . بادَرَني الرَّجُلُ فَوْرَ دُخولِهِ بِذِكْرِ اسْمي ، وَقالَ إنَّهُ يَعْلَمُ أنَّني مُهَنْدِسٌ ماهِرٌ قادِرٌ على كِتْمانِ السِّرِّ ، لأنَّني عَزَبٌ وَ أعيشُ بِمُفْرَدي .

« تَعَجَّبْتُ لِحَديثِهِ وَسَأَلْتُهُ : « ما عَلاقَةُ هذا بِالمَوْضوعِ الَّذي جِئْتَ مِنْ أجْلِهِ ؟! »

« أجابَ : « أنا في حاجَةٍ إلى مُهَنْدِسٍ يَكْتُمُ السِّرَّ ، وَ أعْتَقِدُ أنَّكَ قادِرٌ عَلى ذلِكَ . » فَشَكَرْتُهُ عَلى حُسْنِ ظَنِّهِ وَ تَعَهَّدْتُ لَهُ بِأنْ لا أبوحَ لأحَدٍ بِشَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ . عِنْدَئِذٍ اقْتَرَبَ الرَّجُلُ مِنّي ، وَ أخَذَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ لِيَتَأكَّدَ مِنْ أنَّ أحَداً لا يَتَنَصَّتُ عَلَيْنا ، ثُمَّ قالَ : « هَلْ يَكْفيكَ خَمْسونَ جُنَيْهاً مُقابِلَ عَمَلِكَ لَيْلَةً واحِدَةً . » وَفَرِحْتُ بِهذا العَرْضِ السَّخِيِّ وَ وافَقْتُ عَلَيْهِ .

« وَأضافَ سْتارْك : « إنَّ العَمَلَ لَنْ يَسْتَغْرِقَ أكْثَرَ مِنْ ساعَةٍ واحِدَةٍ . وَالمَطْلوبُ مِنْكَ فَحْصُ مِكْبَسٍ يَعْمَلُ بِقُوَّةِ المِياهِ ، وَ تُرْشِدُنا إلى أسْبابِ ما بِهِ مِنْ عُطْلٍ حَتّى نَتَمَكَّنَ مِنْ إصْلاحِهِ . »

« قُلْتُ : « هذا أمْرٌ سَهْلٌ . » وَ طَلَبَ مِنّي أنْ ألْحَقَ بِآخِرِ قِطارٍ مُتَّجِهٍ إلى قَرْيَةِ إيفورْد ، وَ سَيَكونُ بِانْتِظاري لاصْطِحابي إلى مَكانِ المِكْبَسِ . وَعَرَّفَني أنَّ هذِهِ القَرْيَةَ الصَّغيرَةَ لا تَبْعُدُ أكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ كيلو مِتْراتٍ عَنْ مَدينَةِ ريدِنْغ . وَسَألْتُهُ : « هَلْ يَبْعُدُ المَكانُ كَثيراً عَنْ مَحَطَّةِ السِّكَّةِ الحَديدِيَّةِ ؟ »

« أجابَ : « إنَّ بَيْتَنا مَوْجودٌ في مِنْطَقَةٍ ريفِيَّةٍ تَبْعُدُ عَنِ المَحَطَّةِ حَوالى عَشَرَةِ كيلو مِتْراتٍ . »

« قُلْتُ : « مَعْنى هذا أنَّني سَوْفَ أمْضي اللَّيْلَ مَعَكُمْ لِتَعَذُّرِ عَوْدَتي بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . »

« قالَ : « مِنَ السَّهْلِ تَيْسيرُ مَكانٍ لِنَوْمِكَ ، وَ هذا ما عَرَضْتُهُ عَلَيْكَ ، وَ لَكَ مُطْلَقُ الحُرِّيَّةِ في قَبولِهِ أوْ رَفْضِهِ . »

« وَأخْبَرْتُهُ بِأنَّني قَدْ قَبِلْتُ عَرْضَهُ ، وَ طَلَبْتُ إلَيْهِ أنْ يَصِفَ المِكْبَسَ وَ الأعْمالَ الَّتي يُسْتَخْدَمُ فيها .

« قالَ : « مُنْذُ بِضْعِ سَنواتٍ اشْتَرَيْتُ بَيْتاً وَ قِطْعَةَ أَرْضٍ ، يَبْعُدان حَوالى سِتَّةَ عَشَرَ كيلو مِتْرًا عَنْ مَدينَةِ ريدِنْغ . وَ قَدِ اكْتَشَفْتُ أَنَّ تُرْبَةَ أَحَدِ حُقولي تَحْتَوي عَلى تُرابِ القَصّارِ ؛ أَيْ تُرابِ التَّنْظيفِ ، وَ لِسوءِ حَظّي كانَ المَوْجودُ مِنْهُ في أَرْضي قَليلاً بِالنِّسْبَةِ لِلْمَوْجودِ في الحُقولِ المُجاوِرَةِ . وَكانَ جيراني يَجْهَلونَ أَنَّهُمْ يَمْتَلِكونَ مَصْدَرًا كَبيرًا لِلثَّراءِ يَفوقُ مَنْجَمَ ذَهَبٍ ، لِذلِكَ فَكَّرْتُ في شِراءِ هذِهِ الأَرْضِ . وَأَشارَ عَلَيَّ بَعْضُ أَصْدِقائي بِاسْتِخْلاصِ هذا التُّرابِ مِنْ أَرْضي ثُمَّ بَيْعِهِ لِأَحْصُلَ عَلى المالِ المَطْلوبِ . وَقَدْ بَدَأْنا العَمَلَ سِرًّا مُسْتَخْدِمينَ آلاتٍ مُخْتَلِفَةً ، مِنْ بَيْنِها مِكْبَسٌ يَعْمَلُ بِقُوَّةِ المِياهِ، وَهُوَ المِكْبَسُ الَّذي أُريدُ إِصْلاحَهُ .»

« وَخَتَمَ كَلامَهُ قائِلاً : « هذا هُوَ السِّرُّ الَّذي أَطْلُبُ مِنْكَ كِتْمانَهُ ؛ حَتّى لا يَتَسَرَّبَ إِلى جيرانِنا فَتَفْشَلَ خُطَّتُنا .»

« سَأَلْتُ ضَيْفي أَنْ يُوضِّحَ العَلاقَةَ بَيْنَ المِكْبَسِ وَ عَمَلِيَّةِ الحَفْرِ اللازِمَةِ لِاسْتِخْراجِ التُّرابِ مِنَ الأَرْضِ ، فَقالَ : « إِنَّنا نَسْتَخْدِمُ هذا المِكْبَسَ لِتَحْويلِ التُّرابِ إِلى قَوالِبَ مَضْغوطَةٍ ؛ حَتّى نَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِهِ دونَ أَنْ يَعْرِفَ الجيرانُ حَقيقَتَها . » ثُمَّ غادَرَ المَكْتَبَ وَهُوَ يُؤَكِّدُ أَنَّهُ سَوْفَ يَنْتَظِرُني حَوالى السّاعَةِ الحادِيَةَ عَشْرَةَ مَساءً ، في المَكانِ الَّذي ذَكَرَهُ لي .

« لَمّا خَرَجَ الكابْتِن ستارْك أَخَذْتُ أُفَكِّرُ في كَلامِهِ وَمَدى صِدْقِهِ ، وَ تَعَجَّبْتُ مِنْ إِصْرارِهِ عَلى أَنْ أَكْتُمَ سِرَّهُ ، غَيْرَ أَنّي في النِّهايَةِ وَجَدْتُ أَنَّ مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ لا أُضَيِّعَ المَبْلَغَ الَّذي وَعَدَني بِهِ ، فَطَرَحْتُ الهَواجِسَ جانِباً وَ تَناوَلْتُ طَعامَ العَشاءِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إِلى مَحَطَّةِ بادنْغتون في طَريقي إِلى إيفورد ، فَوَصَلْتُ بَعْدَ الحادِيَةَ عَشْرَةَ بِقَليلٍ . وَلَمْ يَكُنْ بِالقِطارِ غَيْري ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَداً إِلّا عامِلَ المَحَطَّةِ، وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ النُّعاسُ . وَحينَما خَرَجْتُ وَجَدْتُ الكابْتِن ستارْك في انْتِظاري ، فَأَمْسَكَني مِنْ يَدي وَدَفَعَني إِلى عَرَبَةٍ نَوافِذُها مُغْلَقَةٌ ، ثُمَّ أَشارَ إِلى السّائِقِ بِالانْطِلاقِ ...»

سَأَلَهُ هُولْمز مُقاطِعاً : « هَلْ كانَ يَجُرُّ العَرَبَةَ حِصانٌ واحِدٌ ؟»

أَجابَ : « أَجَلْ .»

سَأَلَهُ : « أَ كانَ مُتْعَباً ؟»

أَجابَ : « لا ، لَقَدْ كانَ الحِصانُ في غايَةِ النَّشاطِ .»

وَتابَعَ هَذَرلي قِصَّتَهُ قائِلاً : « سارَتِ العَرَبَةُ مُسْرِعَةً ما يَقْرُبُ مِنَ السّاعَةِ ، وَكُنّا طَوالَ الرِّحْلَةِ صامِتَيْنِ ، وَكانَ زُجاجُ العَرَبَةِ قاتِمَ اللَّوْنِ فَلَمْ أُشاهِدْ شَيْئاً مِنَ الطَّريقِ . وَمَضى الوَقْتُ بَطيئاً مُمِلًّا إِلى

أنْ توقّفتِ العربَةُ فأدْركْتُ أنّنا قدْ وصَلْنا إلى البيْتِ ، ونزلَ الكابْتن ستارْك مُسْرِعًا فتبِعْتُه ، ثُمَّ دفَعني إلى داخلِ البيتِ وأغْلقَ البابَ خلْفَنا بإحْكام . وكانَ الظّلامُ حالِكًا فأخذَ يبْحثُ عنْ ثِقابٍ ، ولكنّي رأيتُ ضوءًا خافتًا يقْترِبُ منّا ، و إذا بفتاةٍ جميلةٍ تحْمِلُ مصْباحًا في يدِها ، فأخذَهُ منها و أمرَها بأنْ تنْصرِفَ ، ثُمّ قادَني إلى غُرْفَةٍ وطَلَبَ إليّ أنْ أنْتظِرَهُ بِضْعَ دقائِقَ ، ثُمّ مضى في الظّلامِ .

« كانتِ الغُرْفةُ صغيرةً تتوسّطُها منضَدَةٌ مُسْتديرَةٌ ، تناثَرتْ فوْقَها بعْضُ الكُتُبِ الألْمانيّةِ ، فأخذْتُ أتصفّحُها ، وعرَفْتُ أنَّ منْ بيْنِها كتابيْنِ عنْ موْضوعاتٍ علْميّةٍ ، رغْمَ أنّني لا أعْرِفُ الألْمانيّةَ .

« وحاولْتُ أنْ أنْظُرَ إلى خارجِ المَبْنى ولكنّي لمْ أستَطِعْ ؛ إذْ كانَتِ النّوافِذُ مُغْلقَةً بأنْ ثُبّتتْ عليْها ألْواحٌ منَ الخشَبِ السّميكِ ؛ فبدأَ القلَقُ يُساوِرُني بسبَبِ الصّمْتِ الرّهيبِ الّذي يُخيّمُ على هذا المكانِ الرّيفيِّ المُنْعزِلِ ، وحاوَلْتُ أنْ أُسرّيَ عنْ نفْسي بالتّفْكيرِ في المَبْلغِ الّذي سوْفَ أتقاضاهُ .

« وبعْدَ بُرْهةٍ رأيْتُ البابَ يُفتَحُ ببُطْءٍ دونَ صوْتٍ ، وشاهَدْتُ الفتاةَ واقِفَةً وقدِ انْعكسَ على وجْهِها الجميلِ ضوْءٌ خافتٌ منَ المِصْباحِ . وكانتْ تتلفّتُ حوْلَها في قلَقٍ وخوْفٍ ، ولمّا رأتْني قالَتْ

هامِسةً : « اُخْرُجْ منْ هُنا بسُرْعةٍ قبْلَ أنْ يُصيبَكَ أذًى ! » فأخْبرْتُها بأنّني أنْجزُ المُهمّةَ الّتي جئْتُ منْ أجْلِها ، فقالَتْ مُتوسّلةً : « أرْجوكَ أنْ تخْرُجَ الآنَ قبْلَ أنْ يراكَ أحدٌ ، فإنّكَ لنْ تكْسبَ شيْئًا منْ وُجودِكَ هُنا ؟! » ولكنّني نظَرْتُ إليْها مُبْتسِمًا في غيْرِ اكْتِراثٍ ، فحاوَلَتْ إقْناعي مرّةً أخْرى بالخُروجِ قبْلَ فواتِ الأوانِ . ولمْ يكُنْ منْ طبيعَتي الهرَبُ منَ المتاعِبِ ، ففَضّلْتُ التّريُّثَ رغْمَ أنَّ كُلَّ شيْءٍ حوْلي كانَ يُثيرُ القلَقَ ، ثُمَّ سمِعْتُ صوْتَ بابٍ يُغْلَقُ في الطّابَقِ العُلْويِّ ، ثُمَّ تبِعَهُ وقْعُ أقْدامٍ على الدّرَجِ ، فهزّتِ الفتاةُ يديْها في يأْسٍ وترَكتْني واخْتفَتْ في الظّلامِ .

« دخَلَ الكابْتِن ستارْك الغُرْفةَ بصُحْبةِ رجُلٍ بدينٍ قصيرٍ تتدلّى منْ وجْهِهِ لحْيَةٌ صغيرَةٌ ، قدّمَهُ إليَّ قائِلاً : « هذا هُوَ السّيّدُ فيرغسون مُديرُ أعْمالي . لقَدْ سمِعْتُ هذا البابَ يُغْلَقُ منْذُ لحْظَةٍ ! »

« قُلْتُ : « لقدْ فتحْتُهُ لأتنسّمَ بعْضَ الهواءِ . » وأخْبرَني بأنّهُ سيَصْحبُني إلى الطّابَقِ العُلْويِّ لفحْصِ المِكْبسِ . ولمّا رآني مُتعجّبًا لوُجودِهِ داخِلَ المَبْنى قالَ : « إنّها تُحوّلُ التّرابَ بالضّغْطِ إلى قوالِبَ صغيرَةٍ ، ولا بأسَ منْ وُجودِها في البيْتِ . »

« وتوجّهْنا لكيْ نصْعدَ الدّرَجَ ، وكانَ الكابْتِن في المُقدّمةِ يحْمِلُ

مصباحاً في يده . وبدا المبنى القديم من الداخل متسعاً ، يسهل على الشخص الغريب أن يضل طريقه بين ممراته الضيقة ، وأبوابه الكثيرة المبعثرة على غير انتظام ، وكانت أرض الغرف والممرات عارية ، والجدران مشبعة بالرطوبة ، فزالت الألوان من بعض أجزائها .

« وحاولت أن أبدو هادئاً ، وأخذت أتأمل فيرغسون ، وكان صامتاً طوال الوقت ، واتسمت حركاته بالعصبية ، ولكني أيقنت من لهجته أنه مواطن إنجليزي . وتوقف سيرنا أمام باب حجرة منخفض قليلاً عن مستوى أبواب الحجرات الأخرى ، وفتح فيرغسون الباب ، ونظرت إلى الداخل فوجدت المكان ضيقاً ، فدخلت مع ستارك ، وبقي فيرغسون خارج الحجرة .

« قال الكابتن : « نحن الآن داخل المكبس ، وإذا أقدم أحد على تشغيله ونحن هنا ؛ فسيكون الأمر خطيراً علينا ؛ حيث إن سقفه هو الجزء المتحرك ، وهو يهبط بالتدريج وبقوة هائلة على أرض الحجرة المعدني . ولا يزال المكبس يعمل ، وإن فقد بعض قوته .» ثم رجاني أن أقوم بفحصه ثم أعرفه طريقة إصلاحه . وأخذت منه المصباح وبدأت أنظر إلى أجزائه ، وأدرت يد المكبس الموجودة خارج الغرفة ، فلما دارت تبينت تسرباً للمياه تسبب في

إضعاف الضغط ، فأعدت النظر لمعرفة سبب آخر ؛ فوجدت أحد الحواجز المطاطية قد تآكل ، ولم يعد قادراً على حجز المياه .

« وشرحت للرجلين ما شاهدت ، وكانا يسمعان إلي بانتباه شديد . ولكني رأيت أن أعيد فحص المكبس ؛ لأنني بدأت أشك في أن قصة تراب القصار أو تراب التنظيف حقيقية ، فدخلت الغرفة من جديد فلاحظت أن الجدران قد صنعت من الخشب ، أما الأرض فكانت حوضاً حديدياً مملوءاً بطبقة من مسحوق أحد المعادن . وعندئذ سمعت ألفاظ غضب بالألمانية خارج الحجرة ، ورأيت الكابتن أمامي والشرر يتطاير من عينيه ، وسألني : « لماذا دخلت المكبس مرة ثانية ، أيها الرجل ؟! وماذا تفعل هنا ؟»

« قلت وقد تحقق صدق ما كنت أشك فيه : « كان ينبغي أن تذكر لي حقيقة العمل الذي يؤديه المكبس ، قبل أن أفحصه .»

« وما أن فرغت من كلامي حتى رأيت سورة الغضب تشع من عينيه ، وقال متهكماً : « سأريك كل شيء !» وأسرع إلى الخارج، وأحكم غلق الباب بالمفتاح ، وتركني وحيداً داخل المكبس ، فأصابني الهلع وأخذت أصيح طالباً النجدة دون جدوى. وأحسست بيد تدير المكبس من الخارج ، وأخذ صفير المياه يرن في

أُذُنَيَّ حتّى تَسمَّرْتُ في مكاني مِنَ الخَوْفِ ، وَأدرَكْتُ أنّي هالِكٌ لا مَحالَةَ ! وَكانَ المِصْباحُ لا يَزالُ مَوضوعاً على الأَرْضِ ، فَنَظَرْتُ إلى أعْلى فَوَجَدْتُ السَّقْفَ يَتَحَرَّكُ هابِطاً إلى أسْفَلَ شَيْئاً فَشيئاً ، فَتَشَبَّثْتُ بِالبابِ مُحاوِلاً فَتْحَهُ ، وَلكِنَّهُ كانَ مُحكَمَ الغَلْقِ . وَأخَذْتُ أصيحُ مُتَوسِّلاً أنْ يُنْقِذوني مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ ، وَلكِنَّ صَوْتي كانَ يَتَلاشى إلى جانِبِ صَفيرِ المِكْبَسِ المُرْتَفِعِ . وَاقْتَرَبَ السَّقْفُ مِن رَأسي ، وَأحْسَسْتُ بِالمَوْتِ يَقْتَرِبُ مِنّي ، وَتَصوَّرْتُ اللَّحْظَةَ الّتي سَتُسْحَقُ فيها عِظامي وَتَتَفَتَّتُ تَحْتَ ضَغْطِ السَّقْفِ الثَّقيلِ .

وَفَجْأةً نَظَرْتُ إلى أحَدِ جُدْرانِ الحُجْرَةِ فَلَمَحْتُ خَيْطاً رَقيقاً مِن نورٍ خافِتٍ ، يَتَسَرَّبُ بَيْنَ ألْواحِ الجِدارِ الخَشَبيَّةِ ، فَانْدَفَعْتُ نَحْوَهُ بِكُلِّ قُوَّتي ، وَارْتَطَمْتُ بِلَوْحِ الخَشَبِ فَانْهارَ تَحْتَ وَطْأَةِ جَسَدي ، وَأحْدَثَ فَجْوَةً خَرَجْتُ مِنْها أَلْهَثُ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّقْفِ يَرْتَطِمُ بِالأرْضِ وَيَسْحَقُ تَحْتَهُ زُجاجَ المِصْباحِ . وَغِبْتُ عَنْ وَعْيِي ، ثُمَّ أفَقْتُ عَلى يَدٍ تَهُزُّني ، وَ وَجَدْتُ أمامي تِلْكَ الفَتاةَ الجَميلَةَ الّتي حَذَّرَتْني مِنْ قَبْلُ وَلَمْ أسْتَجِبْ لَها .

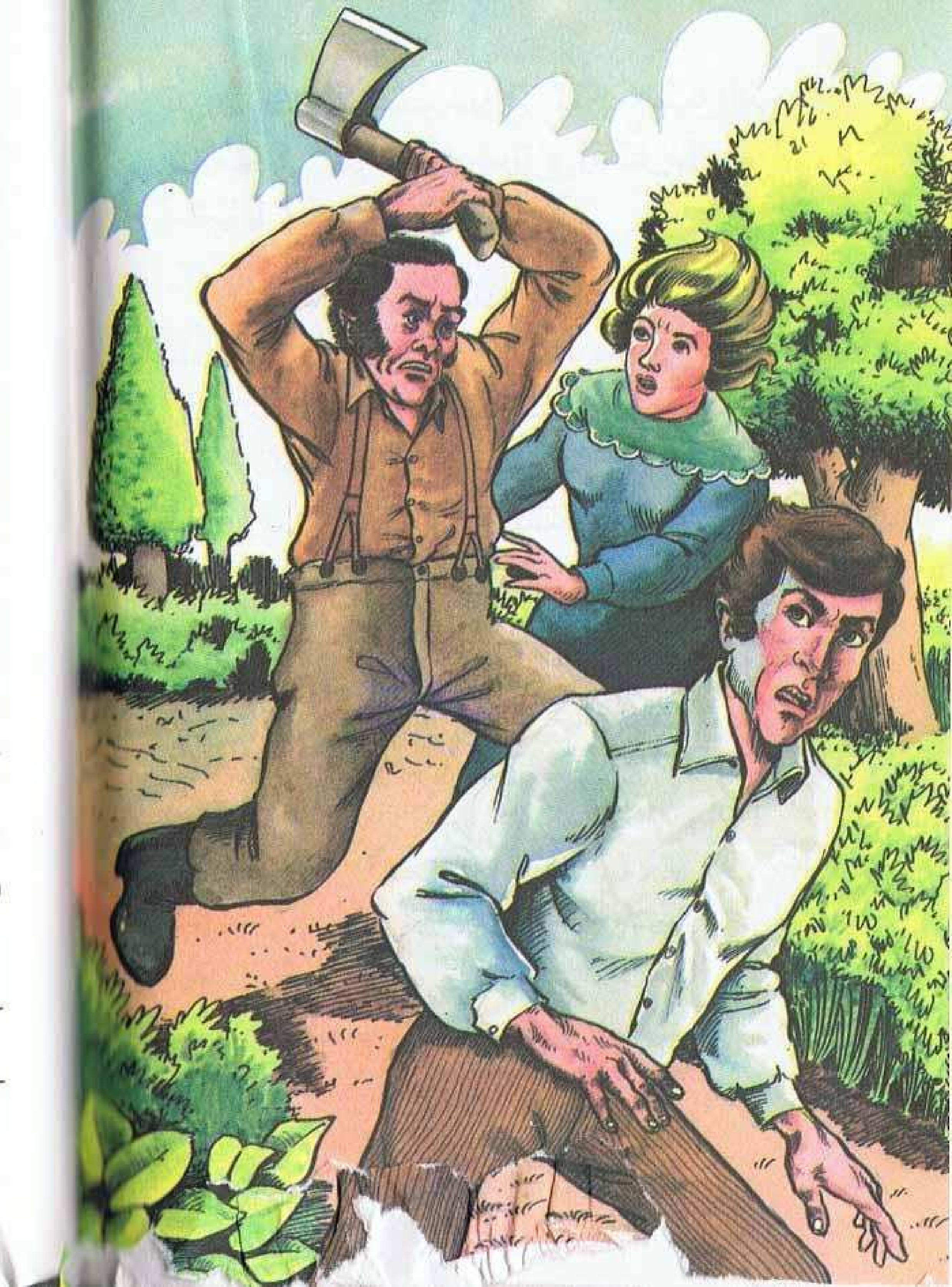
« قالَتْ لِيَ الفَتاةُ وَفي يَدِها المِصْباحُ : « هَيّا أسْرِعْ قَبْلَ أنْ تُفْلِتَ هذِهِ الفُرْصَةُ الثَّمينَةُ مِنْ يَدِكَ ! » وَمَدَّتْ لي يَدَها لِتُعاوِنَني

عَلى الوُقوفِ ، ثُمَّ مَشَيْتُ مَعَها عَبْرَ المَمَرّاتِ الضَّيِّقَةِ المُتَعَرِّجَةِ ، إلى أنْ وَصَلْنا إلى بابٍ فَتَحَتْهُ بِصُعوبَةٍ ، وَدَخَلْنا غُرْفَةَ نَوْمٍ لَها نافِذَةٌ زُجاجِيَّةٌ يَتَسَرَّبُ خِلالَها نورُ القَمَرِ .

« قالَتِ الفَتاةُ : « عَلَيْكَ أنْ تَقْفِزَ مِنْ هذِهِ النّافِذَةِ لِتَنْجُوَ بِنَفْسِكَ ! » وَكانَتِ النّافِذَةُ مُرْتَفِعَةً عَنِ الأرْضِ . وَفَجْأةً لَمَحْتُ الكابْتِن ستارْك يَتَقَدَّمُ نَحْوَنا وَقَدْ أمْسَكَ في يَدِهِ فَأساً ؛ فَأسْرَعْتُ إلى النّافِذَةِ وَفَتَحْتُها ، ثُمَّ نَظَرْتُ خَلْفي فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَتَقَدَّمُ نَحْوي ، فَتَعَلَّقَتِ الفَتاةُ بِرَقَبَتِهِ تُحاوِلُ أنْ تَمْنَعَهُ مِنَ اللَّحاقِ بي ، وَسَمِعْتُها تَقولُ : « أرْجوكَ أنْ لا تَفْعَلَ شَيْئاً ! لَقَدْ وَعَدْتَني بِذلِكَ بَعْدَ المَرَّةِ الأخيرَةِ . وَأنا واثِقَةٌ بِأنَّ هذا المُهَنْدِسَ لَنْ يَبوحَ بِشَيْءٍ . » وَ سَمِعْتُ ستارْك يَقولُ لَها : « إنَّكِ مَجْنونَةٌ وَ سَتَكونينَ سَبَباً في تَحْطيمِنا ! » ثُمَّ دَفَعَها جانِباً وَهُوَ يَقولُ : « اُتْرُكيني أتَخَلَّصْ مِنْهُ ؛ فَقَدْ عَرَفَ عَنّا الكَثيرَ ! » ثُمَّ قَذَفَني بِالفَأسِ بِكُلِّ ما لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ وَ أنا أحاوِلُ القَفْزَ إلى الحَديقَةِ ، وَهَوى حَدُّ الفَأسِ عَلى يَدي ، فَأحْسَسْتُ بِألَمٍ شَديدٍ ، وَرَأَيْتُ الدِّماءَ تَسيلُ بِغَزارَةٍ وَتُلَطِّخُ مَلابِسي ، غَيْرَ أنَّ الضَّرْبَةَ ساعَدَتْني عَلى أنْ أهْوِيَ بِجَسَدي إلى الحَديقَةِ . وَحاوَلْتُ الوُقوفَ بِصُعوبَةٍ وَأنا أسْتَنِدُ إلى شَجَرَةٍ بِجانِبي ، وَنَظَرْتُ إلى يَدي فَإذا بِإبْهامي قَدْ قُطِعَتْ ، فَأخْرَجْتُ مِنْديلاً وَلَفَفْتُ بِهِ الجُرْحَ ، ثُمَّ

أخَذْتُ أجْرِي بَيْنَ الأشْجارِ على غَيْرِ هُدًى، لعَلِّي أجِدُ مَنْ يُنْقِذُنِي . وَاشْتَدَّ بِيَ الإعْياءُ حَتّى سَقَطْتُ عَلى الأرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيَّ وَلَمْ أفْتَحْ عَيْنَيَّ إلا عَلى ضَوْءِ الفَجْرِ . وَحاوَلْتُ أنْ أسْتَجْمِعَ قُوايَ ، وَتَلَفَّتُّ حَوْلِي وَلكِنِّي لَمْ أجِدْ أثَرًا لِلْبَيْتِ أوِ الحَدِيقَةِ الَّتِي كُنْتُ فِيها . وَأدْرَكْتُ أنِّي قَرِيبٌ مِنْ مَحَطَّةِ السِّكَّةِ الحَدِيدِيَّةِ الَّتِي وَصَلْتُ إلَيْها فِي المَساءِ ، وَكِدْتُ أعْتَقِدُ أنَّ ما حَدَثَ لِي لَمْ يَكُنْ إلّا حُلْمًا مُزْعِجًا ، لَوْلا ما كُنْتُ أحِسُّ بِهِ مِنْ ألَمٍ شَدِيدٍ فِي يَدِي . وَبَعْدَ لَحظاتٍ قَلِيلَةٍ أخَذْتُ أسِيرُ مُتَحامِلاً عَلى نَفْسِي حَتّى وَصَلْتُ إلى المَحَطَّةِ ، وَ هُناكَ وَجَدْتُ عامِلاً أبْلَغَنِي بِأنَّ قِطاراً سَيَتَوَجَّهُ إلى رِيدِنْغ بَعْدَ خَمْسِ دَقائِقَ ، فَسَألْتُهُ إنْ كانَ يَعْرِفُ فِي تِلْكَ الجِهَةِ رَجُلاً بِاسْمِ الكابْتِنِ ستارْك ، فَأجابَ بِأنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ بِهذا الاسْمِ عَلى الإطْلاقِ . وَجاءَ القِطارُ ، وَكُنْتُ فِي حالَةِ إعْياءٍ شَدِيدَةٍ ، فَفَضَّلْتُ أنْ أذْهَبَ أوَّلاً إلى لَنْدَن لِتَضْمِيدِ جُرْحِي ، ثُمَّ أبْلِغَ الشُّرْطَةَ بَعْدَ ذلِكَ . وَقَدْ تَفَضَّلَ الدُّكْتور واطْسُن بِعَمَلِ الإسْعافاتِ اللّازِمَةِ لِي ، وَنَصَحَنِي بِالحُضُورِ إلَيْكُمْ .»

كُنّا نَسْتَمِعُ إلى هَذَرْلِي فِي صَمْتٍ وَ تَعَجُّبٍ ، وَ لَمّا انْتَهى مِنْ كَلامِهِ نَهَضَ هُولْمز ، وَأخَذَ يَبْحَثُ فِي رَفٍّ عَلَيْهِ كُتُبٌ وَمُجَلَّداتٌ حَتّى عَثَرَ عَلى مِلَفٍّ ، فَأخَذَهُ وَراحَ يُقَلِّبُ صَفَحاتِهِ وَهُوَ يَقُولُ :



« إنّي أحتَفِظُ في هذا المَلَفِّ بِقُصاصاتِ الصُّحُفِ الَّتي تَهُمُّني .» ثُمَّ أَرْدَفَ وَهُوَ يُشيرُ إلى وَرَقَةٍ : « أُنْظُرْ ! إنَّ هذا الإعْلانَ يَهُمُّكَ ، فَقَدْ ظَهَرَ في الصُّحُفِ مُنْذُ عامٍ تَقْريباً .» وَراحَ يَقْرأُ نَصَّهُ :

تغيب في التاسع من هذا الشهر السيد هايلنغ ، وهو في السادسة والعشرين من عمره ، ويعمل مهندسًا للطاقة المائية . فقد خرج من منزله في الساعة العاشرة مساءً ، ولم يعد ، ولم يسمع عنه أي خبر منذ ذلك الحين .

وَعَقَّبَ هُولمز على الإعْلانِ قائِلاً : « رُبَّما كانَ هذا المُهَنْدِسُ هُوَ آخِرَ مَنِ اسْتَدْعاهُ الكابْتِن لإصْلاحِ المِكْبَسِ قَبْلَكَ .»

صاحَ هَذَرْلي : « هذا ما أشارَتْ إلَيْهِ الفَتاةُ !»

قالَ هُولمز : « إنَّ الكابْتِن رَجُلٌ عَنيفٌ ، وَلا يَسْمَحُ لأيِّ إنْسانٍ بِأنْ يَقِفَ في طَريقِ مَصْلَحَتِهِ .» وَطَلَبَ مِنّا أنْ نَسْتَعِدَّ لِلذَّهابِ إلى سكُوتْلانْد يارْد ، ثُمَّ إلى قَرْيَةِ إيفورْد .

وَرَكِبْنا القِطارَ مَعاً مُتَّجِهينَ إلى تِلْكَ القَرْيَةِ الصَّغيرَةِ ، وَبِصُحْبَتِنا الضّابِطُ برادستريت مِن سكُوتْلانْد يارْد ، الَّذي أخْرَجَ مِنْ حَقيبَتِهِ خَريطَةً وَأَخَذَ يَتَفَحَّصُها ، ثُمَّ قالَ : « مِنَ الغَريبِ أنَّ المَكانَ الَّذي

ذَكَرَهُ هَذَرْلي لا يُمْكِنُ أنْ يَبْعُدَ ساعَةً عَنِ المَحَطَّةِ إذا ذَهَبْنا إلَيْهِ بِالعَرَبَةِ .» فَدَقَّقَ هُولمز النَّظَرَ في الخَريطَةِ ، وَقالَ : « أنْتَ مُصيبٌ في رَأْيِكَ ؛ فالتِّلالُ العالِيَةُ تُحيطُ بِالمِنْطَقَةِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَنا هَذَرْلي أنَّهُ أحَسَّ بِالعَرَبَةِ تَسيرُ في طَريقٍ مُرْتَفِعٍ .»

وَنَظَرَ إلى الخَريطَةِ مَرَّةً ثانِيَةً ثُمَّ قالَ : « ثَمَّةَ نُقْطَةٌ أُخْرى ، فَقَدْ فَهِمْتُ مِنْ كَلامِ هَذَرْلي أنَّ الجَوادَ الَّذي كانَ يَجُرُّ العَرَبَةَ ، كانَ نَشِطاً غَيْرَ مُجْهَدٍ ، وَمَعْنى هذا أنَّ المَسافَةَ الَّتي سارَها عِنْدَما جاءَ بِالكابْتِن إلى المَحَطَّةِ كانَتْ قَصيرَةً .»

وَنَظَرْتُ إلى هُولمز وَقَدْ أَحْسَسْتُ أنَّهُ يوشِكُ أنْ يَكْتَشِفَ غُموضَ هذِهِ الأَحْداثِ ، فَقُلْتُ : « إذاً كَيْفَ تُفَسِّرُ أنَّ المَسافَةَ مِنَ المَحَطَّةِ إلى المَكانِ قَدِ اسْتَغْرَقَتْ ساعَةً كَما قالَ هَذَرْلي ؟»

قالَ هُولمز : « الأَمْرُ بَسيطٌ لِلْغايَةِ ، فَالهَدَفُ الَّذي كانَ يَرْمي إلَيْهِ كابْتِن ستارك هُوَ تَضْليلُ هَذَرْلي ؛ حَتّى لا يَعْرِفَ مَوْقِعَ المَكانِ بِالتَّحْديدِ ؛ وَمِمّا يُؤَيِّدُ ذلِكَ أنَّهُ لَمّا هَرَبَ طَلَباً لِلنَّجاةِ وَجَدَ نَفْسَهُ قَريباً مِنَ المَحَطَّةِ ، رَغْمَ ما كانَ بِهِ مِنْ إعْياءٍ .»

سَكَتَ هُولمز قَليلاً ثُمَّ قالَ : « إنَّ أَغْلَبَ الظَّنِّ أنَّ هذا الشّابَّ قَدْ وَقَعَ في شِباكِ عِصابَةٍ لِتَزْييفِ النُّقودِ المَعْدِنِيَّةِ ، وَالمِكْبَسُ أكْبَرُ دَليلٍ

عَلى ذلِكَ .»

قالَ هذَرلي : « لَقَدْ راوَدَتْني هذِهِ الفِكْرَةُ عِنْدَما كُنْتُ أفْحَصُ الآلَةَ ، ورَأَيْتُ مَسحوقَ المَعْدِنِ يَمْلأُ الحَوْضَ ، وزادَتْ شُكوكي عِنْدَما بَدَأَ تَشْغيلُ المِكْبَسِ لِلقَضاءِ عَلَيَّ .»

قالَ الضّابِطُ مُعَقِّباً : « إنَّ الشُّرْطَةَ على عِلْمٍ بِوُجودِ مِثْلِ هذِهِ العِصابَةِ في مَكانٍ ما قُرْبَ مَدينَةِ ريدِنْغ ، وَلكِنَّنا لَمْ نَتَمَكَّنْ حَتّى الآنَ مِنْ ضَبْطِ أفْرادِها .»

وَعِنْدَما اقْتَرَبْنا مِنَ المَحَطَّةِ نَظَرْتُ مِنَ النّافِذَةِ ؛ فَرَأَيْتُ دُخاناً كَثيفاً يَتَصاعَدُ فَوقَ الأشْجارِ ، وَلَمّا وَقَفَ القِطارُ اقْتَرَبَ مِنّا ناظِرُ المَحَطَّةِ ، فَسَألَهُ الضّابِطُ : « ما هذا الدُّخانُ ؟»

أجابَ : « إنَّهُ حَريقٌ قَدْ شَبَّ أثْناءَ اللَّيْلِ في بَيْتٍ قَريبٍ مِنّا ، وَأعْتَقِدُ أنَّهُ قَدْ أتى عَلى البَيْتِ كُلِّهِ .»

سَأَلْتُ الرَّجُلَ عَنْ صاحِبِ هذا البَيْتِ ، فَقالَ : « إنَّهُ الدُّكْتورُ بيتْشَر .»

سَأَلَهُ هذَرْلي مُسْتَفْسِراً : « هَلْ هُوَ طَبيبٌ ألْمانيٌّ ؟»

أجابَ ناظِرُ المَحَطَّةِ : « لا ، يا سَيِّدي ، إنَّهُ مُواطِنٌ إنْجليزِيٌّ يُقيمُ

مَعَهُ رَجُلٌ أجْنَبِيٌّ نَحيلُ الجِسْمِ .»

وَتَرَكْنا المَحَطَّةَ مُسْرِعينَ في اتِّجاهِ الحَريقِ . وَهُناكَ رَأَيْنا رِجالَ المَطافِئِ يُحاوِلونَ السَّيْطَرَةَ عَلى النيرانِ دونَ جَدْوى ؛ فَقَدِ الْتَهَمَتِ المَبْنى ، وَلَمْ تَتْرُكْ مِنْهُ غَيْرَ بَعْضِ النَّوافِذِ المُشْتَعِلَةِ . وَصاحَ هذَرْلي : « هذا هُوَ البَيْتُ بِعَيْنِهِ ! وَهذِهِ هِيَ النّافِذَةُ الَّتي قَفَزْتُ مِنْها إلى الحَديقَةِ بَيْنَ هذِهِ الأشْجارِ !»

وَنَظَرَ هُولمز إلى الشّابِّ وَقالَ : « لَقَدْ أخَذْتَ بِثَأْرِكَ ، يا هذَرْلي ، وَمِمّا لا شَكَّ فيهِ أنَّ المِصْباحَ الَّذي سَحَقَهُ المِكْبَسُ ، تَسَبَّبَ في إشْعالِ النّارِ في جُدْرانِهِ الخَشَبِيَّةِ ، في الوَقْتِ الَّذي كانَ فيهِ ستارْك وَ صاحِبُهُ يَتَعَقَّبانِكَ . كُنْ عَلى حَذَرٍ ، أيُّها الفَتى ؛ فَقَدْ يَكونُ ستارْك بَيْنَ هذا الجَمْعِ الغَفيرِ ، وَمَعَ أنّي مُوقِنٌ مِنْ أنَّهُ قَدْ لاذَ بِالفِرارِ هُوَ وَأصْحابُهُ .»

وَكانَ مِنَ الواضِحِ أنَّ هذِهِ العِصابَةَ قَدِ انْتَقَلَتْ إلى مَكانٍ آخَرَ ، وَأخَذَتْ مَعَها ما تَبَقّى مِنْ نُقودٍ مُزَيَّفَةٍ ، وَأنَّ الشُّرْطَةَ لَمْ تَتَمَكَّنْ حَتّى الآنَ مِنْ مَعْرِفَةِ أيِّ شَيْءٍ عَنْ نَشاطِها .

وَلاحَظَ هُولمز – وَنَحْنُ نَسيرُ في طَريقِنا عائِدينَ إلى المَحَطَّةِ – وُجودَ آثارِ أقْدامٍ ، فَقالَ : « إنَّها أقْدامُ شَخْصَيْنِ ، أحَدُهُما امْرَأَةٌ كَما

يَبْدو مِنْ شَكْلِ أثَرِ الحِذاءِ عَلى الأرْضِ ، وَأعْتَقِدُ أنَّهُما قَدْ أرادا إنْقاذَ هَذَرْلي فَحَمَلاهُ إلى مَكانٍ قَريبٍ مِنْ مَحَطَّةِ السِّكَّةِ الحَديدِيَّةِ ، عِنْدَما كانَ فاقِدَ الوَعْيِ . وَبِذلِكَ فَسَّرَ هُولْمز سِرَّ وُجودِ هذا الشّابِّ قَريباً مِنَ المَحَطَّةِ عِنْدَما أفاقَ مِنْ غَشْيَتِهِ ، مُسْتَعيناً بِما ذَكَرَهُ هَذَرْلي مِنْ تَوَسُّلاتِ الفَتاةِ إلى الكابْتِنِ ستارْك بِأنْ لا يَقْتُلَهُ .

قالَ هَذَرْلي : « وا أسَفاهُ ! لَقَدْ فَقَدْتُ إبْهامي وَخَسِرْتُ خَمْسين جُنَيْهاً !»

نَظَرَ إلَيْهِ هُولْمز قائِلاً: « وَلكِنَّكَ نَجَوْتَ مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ ، واكْتَسَبْتَ خِبْرَةً لأحْداثٍ غَريبَةٍ لَنْ تَنْساها أبَداً !»

المَريضُ المُقيمُ

بَعْدَ وَفاةِ زَوْجَتي عامَ ١٨٩٤ ، رَأيْتُ أنْ أقيمَ مَعَ صَديقي هُولْمز في بَيْتِهِ بِشارِعِ بيكَر . وَفي مَساءِ يَوْمٍ مِنْ أيّامِ أكْتوبر (تَشْرين الأوَّل) زارَنا رَجُلٌ في نَحْوِ الثّالِثَةِ وَالثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَكانَ يَبْدو نَحيلَ الجِسْمِ مُجْهَداً ، وَقَدَّمَ نَفْسَهُ قائِلاً : « أنا الدُّكْتور بيرسي تريفيلْيان ، وَأقيمُ في المَنْزِلِ رَقْمِ ٤٠٣ بِشارِعِ بْروك .» وَ رَحَّبَ بِهِ هُولْمز وَ أبْدى اسْتِعْدادَهُ لِمُعاوَنَتِهِ فيما يَطْلُبُ .

سَألْتُهُ : « هَلْ ألَّفْتَ كِتاباً عَنْ داءِ تَخَشُّبِ الجِسْمِ ؟ » فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ الفَخْرِ وَالاعْتِزازِ ، وَقالَ : « أجَلْ ، أنا مُؤَلِّفُ هَذا الكِتابِ .» ثُمَّ أخْبَرَ هُولْمز بِأنَّهُ أتى طالِباً العَوْنَ وَالنَّصيحَةَ ، لأنَّ أحْداثاً غَريبَةً تَقَعُ في بَيْتِهِ مُنْذُ مُدَّةٍ ، وَ قَدْ بَلَغَتْ ذُرْوَتَها هذِهِ اللَّيْلَةَ .

اِعْتَدَلَ هُولْمز في جِلْسَتِهِ وَ أشْعَلَ غَلْيونَهُ ، وَ قالَ إنَّهُ عَلى اسْتِعْدادٍ

لِسَماعِ قِصَّتِهِ بِكُلِّ ما فيها مِنْ تَفاصيل .

قَصَّ الرَّجُلُ حِكايَتَهُ فَقالَ : « بَدَأْتُ حَياتي طَبيباً في أَحَدِ المُسْتَشْفَياتِ العامَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَتي أَنْ أَتَخَصَّصَ في فَرْعٍ مِنْ فُروعِ الطِّبِّ ، لأَنَّ ذَلِكَ يَتَطَلَّبُ أَمْوالاً كَثيرَةً لَمْ يَكُنْ في مَقْدوري تَوْفيرُها . وَلَكِنْ فَجْأَةً زارَني رَجُلٌ يُسَمّى بلسِنغتون ، ادَّعى أَنَّهُ يُقَدِّرُ مَهارَتي كَطَبيبٍ ، وَعَرَضَ عَلَيَّ أَنْ يَسْتَأْجِرَ لي بَيْتاً في شارِعِ بُروك ، لأَنَّهُ كانَ موقِناً مِنْ أَنّي أَفْتَقِرُ إِلى المالِ ، فَشَكَرْتُهُ عَلى هَذا العَرْضِ وَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ الَّذي مِنْ أَجْلِهِ أَقْدَمَ عَلى مُعاوَنَتي ، فَقالَ : « إِنَّني أَفْعَلُ هَذا لِمَنْفَعَتي الخاصَّةِ ، فَأَنا أَدَّخِرُ بِضْعَةَ آلافٍ مِنَ الجُنَيْهاتِ ، وَأَرْغَبُ في اسْتِثْمارِها عَنْ طَريقِكَ . »

وَتَعَجَّبْتُ مِنْ أَمْرِهِ وَسَأَلْتُهُ عَنِ الدَّوْرِ المَطْلوبِ مِنّي في عَمَلِيَّةِ الاسْتِثْمارِ هَذِهِ ، فَقالَ : « إِنّي أُريدُكَ أَنْ تَتَخَصَّصَ في عِلاجِ مَرْضى تَخَشُّبِ الجِسْمِ ، وَ سَوْفَ أُوَفِّرُ لَكَ المَكانَ المُناسِبَ وَأُزَوِّدُهُ بِالأَثاثِ وَالمُعَدّاتِ اللازِمَةِ ، وَهَذا كُلُّهُ نَظيرَ ثَلاثَةِ أَرْباعِ دَخْلِكَ مِنَ العَمَلِ . »

« وَكانَ العَرْضُ غَريباً ، وَلَكِنّي قَبِلْتُهُ . وَبَعْدَ بِضْعَةِ أَسابيعَ انْتَهَيْنا مِنْ إِعْدادِ البَيْتِ الَّذي اسْتَأْجَرْناهُ في شارِعِ بُروك ، وَأَبْدى بلسِنغتون رَغْبَتَهُ في أَنْ يَعيشَ مَعي في البَيْتِ نَفْسِهِ ، بِحُجَّةِ أَنَّهُ يَحْتاجُ إِلى

طَبيبٍ بِجانِبِهِ يَتَوَلّى رِعايَتَهُ ؛ لأَنَّهُ يُعاني مِنْ هُبوطٍ في القَلْبِ ، وَضَعْفٍ عامٍّ في جِسْمِهِ . وَشَغَلَ الرَّجُلُ حُجْرَتَيْنِ في الطّابَقِ العُلْوِيِّ ؛ واحِدَةً لِلنَّوْمِ وَالأُخْرى لِلاسْتِقْبالِ ، وَبَقيتُ أَنا وَعِيادَتي بِالطّابَقِ الأَرْضِيِّ .

« وَكانَ الرَّجُلُ غَريباً في طِباعِهِ ، يُفَضِّلُ أَنْ يَكونَ وَحيداً بِغَيْرِ أَصْدِقاءَ ، وَكانَ يَأْتي إِلى مَكْتَبي كُلَّ مَساءٍ لِيَعُدَّ النُّقودَ الَّتي حَصَلْتُ عَلَيْها ، ثُمَّ يَحْتَفِظَ لِنَفْسِهِ بِثَلاثَةِ أَرْباعِها وَيَتْرُكَ الرُّبْعَ الباقيَ لي . وَكانَ يَحْفَظُ نُقودَهُ في خِزانَةٍ حَديدِيَّةٍ يَضَعُها بِجِوارِهِ في حُجْرَةِ نَوْمِهِ .

« وَ بَعْدَ مُدَّةٍ تَزايَدَ عَدَدُ المَرْضى في عِيادَتي ، وَ زادَتْ أَمْوالُ الرَّجُلِ مِنَ النِّسْبَةِ الَّتي يَسْتَوْلي عَلَيْها مِنْ دَخْلي كُلَّ يَوْمٍ .

« وَذاتَ يَوْمٍ أَعْرَبَ لي عَنْ قَلَقِهِ بِسَبَبِ حَوادِثِ السَّرِقَةِ الَّتي تَجْتاحُ لَنْدَن ، وَأَبْدى رَغْبَتَهُ في وَضْعِ أَقْفالٍ جَديدَةٍ عَلى بابِ الخِزانَةِ لإِحْكامِ غَلْقِها ، وَكانَ في حالَةٍ شَديدَةٍ مِنَ القَلَقِ وَالاضْطِرابِ ، وَبَدا كَأَنَّهُ يَتَرَقَّبُ مَجْهولاً سَيَنْقَضُّ عَلَيْهِ ، فَلَزِمَ حُجْرَتَهُ وَأَغْلَقَ البابَ عَلَيْهِ . وَأَخَذَ يُراقِبُ الطَّريقَ مِنَ النّافِذَةِ لأَكْثَرَ مِنْ أُسْبوعٍ ، وَكادَتْ أَعْصابُهُ تَهْدَأُ ، لَوْلا ما حَدَثَ مُنْذُ يَوْمَيْنِ ؛ فَقَدْ تَسَلَّمْتُ خِطاباً بِدونِ

تَوْقيعٍ أَوْ تاريخٍ جاءَ فيهِ :

« عزيزي الدكتور تريفليان

أنا نبيل روسي أعيش في انجلترا . وقد داهمني مرض التخشب منذ عدة سنوات . وأرغب في زيارتك لأنني أعلم بمهارتك في علاج هذا المرض .

وسوف أحضر اليك غدا مساء في حوالى الساعة السادسة والربع . »

وَجاءَ النَّبيلُ الرُّوسِيُّ في الميعادِ الَّذي حَدَّدَهُ ، وَكانَ كَهْلاً نَحيلَ الجِسْمِ ، غَيْرَ أَنَّ مَنْظَرَهُ لَمْ يَكُنْ يَدُلُّ على أَنَّهُ مِنَ النُّبَلاءِ . وَكانَ يَتَّكِئُ إِلى شابٍّ وَسيمٍ طَويلِ القامَةِ ، عَريضِ المَنْكِبَيْنِ ، قَوِيِّ العَضَلاتِ . وَقالَ الشّابُّ بِلَهْجَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ : « أَنا آسِفٌ ، يا دُكْتور لِما أُسَبِّبُهُ مِنْ إِزْعاجٍ بِحُضوري مَعَ والِدي . » فَأَفْهَمْتُ الشّابَّ أَنَّ هذا لَيْسَ بِالأَمْرِ الغَريبِ ، وَسَأَلْتُهُ إِنْ كانَ يُفَضِّلُ أَنْ يَظَلَّ مَعَنا أَثْناءَ فَحْصِ والِدِهِ ، فَأَجابَني بِأَنَّهُ يُفَضِّلُ البَقاءَ في غُرْفَةِ الانْتِظارِ .

وَخَرَجَ الشّابُّ ، وَبَدَأْتُ أَقومُ بِواجِبي نَحْوَ المَريضِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَرَضِهِ وَتاريخِهِ وَما يَشْعُرُ بِهِ . وَكانَ الرَّجُلُ يُجيبُني بِلَهْجَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ ، وَبِكَلامٍ يَتَّسِمُ بِالغَباءِ . وَفَجْأَةً رَأَيْتُ عَضَلاتِ الرَّجُلِ قَدْ تَقَلَّصَتْ ،

وَتَجمَّدَ في مَقْعَدِهِ ، وَاتَّسَعتْ عَيْناهُ ، فَأَيْقَنْتُ أَنَّ نَوْبَةَ المَرَضِ قَدِ انْتابَتْهُ . وَكانَ لا بُدَّ مِنْ إِعْطائِهِ الدَّواءَ اللازِمَ لإِسْعافِهِ ، غَيْرَ أَنَّ زُجاجَةَ الدَّواءِ لَمْ تَكُنْ بِمَكْتَبي ، فَخَرَجْتُ لإِحْضارِها مِنَ الغُرْفَةِ المُجاوِرَةِ ، وَلَمّا عُدْتُ لَمْ أَجِدْ لِلْمَريضِ أَثَراً ، وَكانَ الشّابُّ قَدِ اخْتَفى أَيْضاً مِنْ غُرْفَةِ الانْتِظارِ .

« وَلَمْ يَكُنِ السَّيِّدُ بلسنغتون مَوْجوداً في البَيْتِ آنَذاكَ ، وَعِنْدَما عادَ آثَرْتُ أَنْ لا أُخْبِرَهُ بِشَيْءٍ مِمّا حَدَثَ ، وَاعْتَبَرْتُ الأَمْرَ مُنْتَهِياً ، وَلكِنّي فوجِئْتُ في السّاعَةِ السّادِسَةِ وَالرُّبْعِ مَساءً بِعَوْدَةِ الرَّجُلَيْنِ إِلى عِيادَتي ، وَاعْتَذَرَ المَريضُ عَمّا حَدَثَ بِالأَمْسِ ، وَقالَ : « عِنْدَما أَفَقْتُ مِنْ نَوْبَةِ المَرَضِ الَّتي انْتابَتْني بِالأَمْسِ في عِيادَتِكَ ، كُنْتُ عاجِزاً عَنِ التَّفْكيرِ ، وَ وَجَدْتُ نَفْسي في مَكانٍ غَريبٍ ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَخْرُجَ في الحالِ . » وَأَكْمَلَ الشّابُّ حَديثَ والِدِهِ فَقالَ : « حينَما وَجَدْتُ أَبي يَخْرُجُ مِنْ حُجْرَةِ الكَشْفِ اعْتَقَدْتُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِ انْتَهى ، فَعُدْتُ بِهِ إِلى المَنْزِلِ ، وَهُناكَ عَرَفْتُ مِنْهُ الحَقيقَةَ ، وَرَأَيْتُ أَنْ نَجيءَ إِلَيْكَ اليَوْمَ لِنُكْمِلَ العِلاجَ ، وَنَعْتَذِرَ عَمّا حَدَثَ . »

« وَقَبِلْتُ الاعْتِذارَ ، وَلَمْ أَجِدْ مانِعاً مِنْ إِكْمالِ فَحْصِ المَريضِ . وَعِنْدَما فَرَغْتُ مِنْ فَحْصِهِ ، كَتَبْتُ لَهُ الدَّواءَ اللازِمَ ، وَالنَّصائِحَ الَّتي يَجِبُ اتِّباعُها .

« وَكانَ السَّيِّدُ بلسِنْغتون خارِجَ البَيْتِ في ذَلِكَ الحين ، فَلَمّا عادَ وَدَخَلَ حُجْرَتَهُ سَمِعْتُهُ يَصيحُ غاضِباً : «« يا دُكْتور ! مَنِ الَّذي دَخَلَ حُجْرَتي وَأنا بِالخارِجِ ؟»» فَقُلْتُ : «« لا أحَدَ . ماذا حَدَثَ ؟»» فَقالَ «« لا تَكْذِبْ !»» وَطَلَبَ مِنّي أنْ أصْعَدَ إلَيْهِ . وَدَخَلْتُ مَعَهُ الحُجْرَةَ فَوَجَدْتُ آثارَ أحْذِيَةٍ تُلَطِّخُ السَّجّادَةَ ، كَما وَجَدْتُ الأثاثَ مُبَعْثَراً . وَفَكَّرْتُ في الأمْرِ فَرَجَّحْتُ أنْ يَكونَ الشّابُّ قَدْ دَخَلَ الحُجْرَةَ ، وَعَبَثَ بِمُحْتَوَياتِها في الوَقْتِ الَّذي كُنْتُ فيهِ أقومُ بِفَحْص والِدِهِ إذْ إنَّهُ لَمْ يَزُرْني اليَوْمَ إلا هَذانِ الرَّجُلانِ . غَيْرَ أنّي تَعَجَّبْتُ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ الَّذي انْتابَ بلسِنغتون ، فَالأمْرُ لَمْ يَحْتَمِلْ كُلَّ هَذِهِ الضَّجَّةِ ، خاصَّةً أنَّ خِزانَةَ النُّقودِ كانَتْ في مَكانِها ، وَلَمْ يَفْقِدِ الرَّجُلُ شَيْئاً مِنْ حُجْرَتِهِ . وَلَكِنَّ الخَوْفَ كانَ قَدِ اسْتَبَدَّ بِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَذْكُرُ اسْمَكَ ، يا سَيِّدُ هولمز ، وَلَمّا كُنْتُ أعْلَمُ عَنْكَ الكَثير رَأيْتُ أنْ أحْضُرَ لآخُذَكَ إلَيْهِ ؛ لِكَيْ تَهْدَأَ أعْصابُهُ .»

وَلَمْ يَقُلْ هولمز شَيْئاً ، وَنَهَضَ وَأحْضَرَ قُبَّعَتي وَ قُبَّعَتَهُ ، وَطَلَبَ مِنّي أنْ أرافِقَهُ مَعَ الدُّكْتور تريفِلْيان . وَسَرْعانَ ما كُنّا في الطَّريقِ إلى شارِعِ بروك حَيْثُ يَقَعُ البَيْتُ .

وَعِنْدَما وَصَلْنا فَتَحَ الطَّبيبُ البابَ ، فَسَمِعْنا صَوْتاً مِنَ الدّاخِلِ يَصيحُ مُحَذِّراً : « قِفوا مَكانَكُمْ وَإلّا أطْلَقْتُ النّارَ عَلَيْكُمْ !» فَرَدَّ

عَلَيْهِ تريفِلْيان مُعاتِباً : « ما هَذا الغَباءُ يا بلسِنْغتون !»

فَلَمّا أيْقَنَ الرَّجُلُ أنَّ القادِمينَ لَيْسوا أعْداءً لَهُ ، اعْتَذَرَ وَ وَضَعَ المُسَدَّسَ في جَيْبِهِ ، ثُمَّ دَعانا لِلصُّعودِ إلَيْهِ ، فَوَجَدْناهُ في حالَةٍ مِنَ الاضْطِرابِ يُرْثى لَها ، وَلَكِنَّهُ رَحَّبَ بِنا قائِلاً لِهولمز إنَّهُ في أشَدِّ الحاجَةِ إلَيْهِ ؛ لإنْقاذِهِ مِنْ خَطَرٍ مُحَقَّقٍ يُحْدِقُ بِهِ .

سَألَهُ هولمز : « هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرّوسِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قاما بِزِيارَةِ الطَّبيبِ ؟» فَنَفى ذَلِكَ . ثُمَّ دَعانا لِمُعايَنَةِ حُجْرَتِهِ ، وَأشارَ إلى الخِزانَةِ الحَديدِيَّةِ المَوْجودَةِ بِجِوارِ سَريرِهِ قائِلاً : « إنّي أحْتَفِظُ بِأمْوالي في هَذا المَكانِ ، لأنّي لا أثِقُ بِالبُنوكِ ، وَلا أحِبُّ التَّعامُلَ مَعَها ، وَلَكِنّي أخافُ مِنْ سَطْوِ اللُّصوصِ وَالمُجْرِمينَ . »

وَلَمْ يُعَقِّبْ هولمز عَلى كَلامِ بلسِنْغتون ، وَنَظَرَ إلَيْهِ نَظْرَةَ شَكٍّ كَأنَّهُ لا يُصَدِّقُ ما يَقولُ ، وَهَمَّ بِالانْصِرافِ فاسْتَوْقَفَهُ الرَّجُلُ سائِلاً : « ما هِيَ نَصيحَتُكَ يا سَيِّدي ؟»

أجابَهُ : « لَنْ أقولَ لَكَ شَيْئاً لأنَّكَ تُخْفي عَنّا الحَقيقَةَ ! » ثُمَّ نَظَرَ إلَيَّ وَقالَ : « هَيّا بِنا نَعودُ إلى البَيْتِ يا واطْسُن .»

خَرَجْنا مُسْرِعَيْنِ ، وَفي الطَّريقِ قالَ لي : «« أعْتَقِدُ أنَّ هَذا الرَّجُلَ

لهُ أعْداءٌ يُريدونَ الفَتْكَ بِهِ ، لِذَلِكَ فَهُوَ في حالَةِ رُعْبٍ وَاضْطِرابٍ.
وَأَعْتَقِدُ أَيْضا أَنَّ الشَّخْصَيْنِ اللَّذَيْنِ زارا تريڤِلْيان يُريدانِ إلْحاقَ الضَّرَرِ بِهِ لِسَبَبٍ سَنَعْرِفُهُ ، وَأَنَّهُما دَخَلا غُرْفَةَ الرَّجُلِ وَعَبَثا بِمُحْتَوَياتِها .»

قُلْتُ : « لَكِنَّ أَحَدَهُما كانَ مَريضاً .»

ضَحِكَ هُولْمز وَقالَ : « مِنَ السَّهْلِ ، يا واطْسُن ، أَنْ يَتَظاهَرَ أَيُّ فَرْدٍ بِأَنَّهُ مَريضٌ بِداءِ التَّخَشُّبِ .»

* * * *

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي أَيْقَظَني هُولْمز ، وَطَلَبَ مِنّي أَنْ أَسْتَعِدَّ لِلْخُروجِ مَعَهُ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ ، فَأَخْبَرَني بِأَنَّ الدُّكْتور تريڤِلْيان بَعَثَ بِرِسالَةٍ مُخْتَصَرَةٍ قالَ فيها : « أُحْضُرْ حالاً لأَمْرٍ هامٍّ !»

بَعْدَ قَليلٍ وَصَلْنا البَيْتَ ، فَاسْتَقْبَلَنا الدُّكْتور بِوَجْهٍ شاحِبٍ وَعَيْنَيْنِ زائِغَتَيْنِ ، وَقالَ : « حَدَثَ أَمْرٌ فَظيعٌ لِلْغايَةِ ؛ لَقَدْ شَنَقَ بلسِنْغتون نَفْسَهُ ! وَرِجالُ الشُّرْطَةِ مَوْجودونَ بِحُجْرَتِهِ لِلْمُعايَنَةِ وَالتَّحْقيقِ .»

وَطَلَبَ هُولْمز مِنْ تريڤِلْيان أَنْ يَقُصَّ عَلَيْهِ ما رَآهُ ، فَقالَ : « لَقَدْ عَثَرَتْ عَلَيْهِ الخادِمَةُ ، وَهِيَ تُحْضِرُ إِلَيْهِ الشّايَ في الصَّباحِ ، مُعَلَّقاً في حَبْلٍ يَتَدَلّى مِنْ مِشْبَكِ المِصْباحِ المُثَبَّتِ في سَقْفِ الحُجْرَةِ .



وَيَبْدو أنَّه وَقَفَ على خزانَتِهِ الحَديدِيَّةِ ، وَلَفَّ الحَبْلَ حَوْلَ عُنُقِهِ ثُمَّ رَكَلَ الخزانَةَ مِنْ تَحْتِهِ بِقَدَمِهِ ، فَضَغَطَ الحَبْلُ على عُنُقِهِ حَتّى فارَقَ الحَياةَ .»

دَخَلْنا الغُرْفَةَ فَوَجَدْنا ضابِطَ الشُّرْطَةِ يُدَوِّنُ مُلاحَظاتِهِ وَالجُثَّةُ تَتَأرْجَحُ مِنْ فَوْقِهِ ، فَسَأَلَهُ هولمز عَنْ رَأيِهِ في هَذا الحادِثِ ، فَقال : « أعْتَقِدُ أنَّ بلسِنْغتون قَدْ أصابَهُ الجُنونُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ فانْتَحَرَ !»

سَألَهُ هولمز : « هَلْ وَجَدْتَ شَيْئًا غَريبًا بِالحُجْرَةِ ؟»

أجابَ الضّابِطُ : « وَجَدْتُ أرْبَعَةَ أعْقابٍ مِنَ السّيجارِ .» وَقَدَّمَها إلى هولمز الّذي أخَذَ يُقَلِّبُها بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ سَألَ : « أيْنَ عُلْبَةُ السّيجارِ الخاصَّةُ بِبلسِنْغتون ؟»

أشارَ الضّابِطُ إلَيْها ، وَكانَتْ على المِنْضَدَةِ ، وَقالَ : « لَقَدْ وَجَدْتُها في جَيْبِ القَتيلِ .» فَفَتَحَها هولمز وَأخَذَ يَشُمُّ ما تَبَقّى بِها مِنْ تَبْغٍ ، وَقالَ : « هَذا النَّوْعُ مِنَ السّيجارِ كوبِيٌّ ، أمّا هَذِهِ الأعْقابُ فَهِيَ لِسيجارٍ هولَنْدِيٍّ .»

وَأخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ عَدَسَةً مُكَبِّرَةً وَأخَذَ يَفْحَصُ الأعْقابَ بِعِنايَةٍ، ثُمَّ قالَ : « إنَّ اثْنَيْنِ مِنْها وُضِعا في مَبْسَمٍ أثْناءَ التَّدْخينِ .» وَنَظَرَ إلى

الضّابِطِ الشّابِّ قائِلاً : « يا سَيِّدي ، إنَّ بلسِنْغتون قَدْ قُتِلَ وَلَمْ يَنْتَحِرْ !»

وَأنْكَرَ الضّابِطُ ذَلِكَ قائِلاً : « إنّي لا أوافِقُكَ رَأيَكَ ، يا سَيِّدُ هولمز ، فَالقَتَلَةُ عادَةً لا يَلْجَأونَ إلى اسْتِخْدامِ وَسيلَةِ الشَّنْقِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ ضَحاياهُمْ .»

قالَ هولمز : « إنَّ رَأيَكَ يَبْدو وَجيهًا ، وَلَكِنَّ هُناكَ سِرًّا سَوْفَ أعْرِفُهُ ، وَأرى أنَّ بلسِنْغتون شَنَقَهُ أعْداؤُهُ وَاسْتَخْدَموا هَذا الحَبْلَ الّذي اقْتُطِعَ مِنْ هَذا !» وَسَحَبَ مِنْ تَحْتِ السَّريرِ حَبْلاً طَويلاً مِنَ النَّوْعِ نَفْسِهِ المُلْتَفِّ حَوْلَ رَقَبَةِ القَتيلِ . وَعِنْدَئِذٍ قالَ تريڤِلْيان : « إنَّ صاحِبي كانَ يَحْتَفِظُ بِهَذا الحَبْلِ لِكَيْ يَسْتَخْدِمَهُ في الهَرَبِ مِنَ النّافِذَةِ ، إذا ما شَبَّ حَريقٌ عَلى سُلَّمِ البَيْتِ يَحولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الهُبوطِ إلى الطّابَقِ الأرْضِيِّ .»

وَفَحَصَ هولمز الأبْوابَ وَالنَّوافِذَ فَلَمْ يَجِدْ أثَرًا لاسْتِخْدامِ العُنْفِ ، فَقالَ لِلضّابِطِ : « يَبْدو أنَّ الجُناةَ دَخَلوا بِمُساعَدَةِ أحَدِ الخَدَمِ ، فَالأبْوابُ كُلُّها سَليمَةٌ .»

قالَ الدُّكْتور تريڤِلْيان : « لَقَدْ بَدَأتُ أفْهَمُ ، فَإنَّ أحَدَ الخَدَمِ الّذينَ يَعْمَلونَ هُنا قَدِ اخْتَفى اليَوْمَ .»

قالَ هولمز : « إنّي أعْتَقِدُ أنَّ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ ادَّعَيا أنَّهُما روسيّانِ هُما القاتِلانِ ، وَقَدْ تَمكَّنا مِنْ فَتْحِ بابِ هَذِهِ الحُجْرَةِ بِواسِطَةِ سِلْكٍ مَتينٍ اسْتَطاعا أنْ يُحرِّكا بِهِ المِفْتاحَ ، كَما هُوَ واضِحٌ مِنَ الأثَرِ الظّاهِرِ عَلى الفُتْحَةِ الخارِجيَّةِ لِلْبابِ ، وَلا بُدَّ أنَّهُما قَدِ اسْتَخْدَما مِنْديلاً لِتَكْميمِ فَمِ بلسِنْغتون لِمَنْعِهِ مِنَ الصِّياحِ ، ثُمَّ عَقَدا لَهُ ما يُشْبِهُ المُحاكَمَةَ وَالَّتي اسْتَغْرَقَتْ بَعْضَ الوَقْتِ ، مِمّا جَعَلَهُما يُدَخِّنانِ السِّيجارَ ، وَكانَ أحَدُهُما يَسْتَخْدِمُ مِبْسَماً . وَبَعْدَ انْتِهاءِ المُحاكَمَةِ أصْدَرا الحُكْمَ بِشَنْقِ الرَّجُلِ ، فَلَمّا أتَمّا تَنْفيذَ الحُكْمِ خَرَجا بِمُساعَدَةِ الخادِمِ الَّذي أغْلَقَ البابَ كالمُعْتادِ . »

وَطَلَبَ هولمز مِنَ الطَّبيبِ أنْ يُعْطِيَهُ صورَةً فوتوغْرافِيَّةً لِبلسِنْغتون، حَتّى يَتَمكَّنَ مِنِ اسْتِقْصاءِ الحَقائِقِ وَالتَّعَرُّفِ عَلى شَخْصِيَّتِهِ . وَغادَرَ رِجالُ الشُّرْطَةِ البَيْتَ ، بَعْدَ أنْ تَعَهَّدَ الضّابِطُ بِالبَحْثِ عَنِ الخادِمِ الهارِبِ وَإلْقاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ . وَعُدْتُ وَهولمز إلى مَنْزِلِنا لِتَناوُلِ طَعامِ الإفْطارِ . وَفي نَحْوِ السّاعَةِ الثّالِثَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ عُدْنا إلى شارِعِ بروك ، وَتَبِعَنا الضّابِطُ الَّذي بادَرَنا بِقَوْلِهِ : « لَقَدْ ألْقَيْنا القَبْضَ عَلى الخادِمِ الهارِبِ ، يا سَيِّدي ، وَهُوَ مُحْتَجَزٌ الآنَ في قِسْمِ الشُّرْطَةِ . »

قالَ هولمز : « لَقَدْ عَرَفْتُ القاتِلَيْنِ ، وَهُما بيدِيل وَ هايوِرْد . »

صاحَ الضّابِطُ مُتَعَجِّباً : « المُتَّهَمانِ بِالسَّطْوِ عَلى بَنْكِ وِرْثِنْغدون ؟! »

قالَ هولمز : « نَعَمْ ، وَكانَ بلسِنْغتون شَريكاً لَهُما ، وَاسْمُهُ الحَقيقِيُّ ساتُون . »

وَعِنْدَما لاحَظَ عَلاماتِ التَّعَجُّبِ تَرْتَسِمُ عَلى وَجْهي سَألَني : « ألَمْ تَسْمَعْ بِحادِثِ السَّطْوِ عَلى هَذا البَنْكِ ؟ إنَّهُ حادِثٌ مَشْهورٌ وَقَعَ مُنْذُ خَمْسَةَ عَشَرَ عاماً ؛ فَقَدْ هاجَمَهُ أرْبَعَةُ لُصوصٍ ، وَهُمْ بيدِيل وَهايوِرْد وَساتُون وَشَخْصٌ رابِعٌ اسْمُهُ كارْترايت . وَقَدْ تَمكَّنوا بَعْدَ قَتْلِ الحارِسِ ، مِنْ سَرِقَةِ سَبْعَةِ آلافِ جُنَيْهٍ ، وَ اعْتَبَرَتِ المَحْكَمَةُ ساتُون شاهِدَ إثْباتٍ ، وَصَدَرَ الحُكْمُ بِإعْدامِ كارْترايت لِقَتْلِهِ الحارِسَ ، وَبِحَبْسِ كُلٍّ مِنْ بيدِيل وَهايوِرد خَمْسَةَ عَشَرَ عاماً ، وَأطْلَقَتْ سَراحَ ساتُون لِمُعاوَنَتِهِ لِرِجالِ الشُّرْطَةِ ، وَأعْضاءِ المَحْكَمَةِ في كَشْفِ الجَريمَةِ . وَقَدْ رَأى ساتُون أنْ يُغَيِّرَ اسْمَهُ إلى بلسِنْغتون ، غَيْرَ أنَّ زَميلَيْهِ صَمَّما عَلى الانْتِقامِ مِنْهُ بَعْدَ خُروجِهِما مِنَ السِّجْنِ . »

هَذِهِ هِيَ الحَقيقَةُ الَّتي اكْتَشَفَها هولمز ، وَ الغَريبُ أنَّ القاتِلَيْنِ قَدْ هَرَبا عَلى ظَهْرِ سَفينَةٍ ، وَلَكِنَّها غَرِقَتْ بِهِما عَلى شَواطِئِ البُرْتُغالِ !

اِخْتِفاءُ اللَّيدي فرانْسيس كارْفاكْس

قالَ لي هولْمز عِنْدَما لَقيتُه ظُهرَ أحَدِ الأيّامِ : « إنَّكَ تَبدو اليَوْمَ ، يا واطْسُن ، أنيقًا مُنْتَعِشًا .»

قُلْتُ : « هَذا بِفَضْلِ حَمّامِ البُخارِ الَّذي اسْتَمْتَعْتُ بِهِ صَباحَ اليَوْمِ ، فَأنا كُلَّما أحْسَسْتُ بِالإجْهادِ ذَهَبْتُ إلى حَمّامٍ قَريبٍ مِنَ البَيْتِ .»

قالَ مُبْتَسِمًا : « إنّي أراكَ في حاجَةٍ إلى التَّغْييرِ لِكَيْ تَسْتَعيدَ نَشاطَكَ ، فَما رَأْيُكَ في رِحْلَةٍ مُمْتِعَةٍ إلى سويسْرا ، حَيْثُ تُقيمُ في أفْخَرِ الفَنادِقِ بِلوزان ، دونَ أنْ يُكَلِّفَكَ هذا شَيْئًا ؟»

فَرِحْتُ لِهَذا العَرْضِ السَّخِيِّ المُفاجِئِ ، وَسَأَلْتُهُ : « ما الَّذي دَعاكَ إلى إتاحَةِ هذِهِ الفُرْصَةِ لي ؟»

وَلَمْ يَرُدَّ ، بَلْ مَدَّ يَدَهُ في جَيْبِهِ وَأخْرَجَ مُذَكِّرَةً أخَذَ يُقَلِّبُ صَفَحاتِها ، ثُمَّ قالَ : « اِسْمَعْ ، يا واطْسُن ، إنَّ الطُّيورَ الوَديعَةَ لا تَسْلَمُ مِنَ الأذى ، كَما لا تَسْلَمُ العانِساتُ الثَّرِيّاتُ عِنْدَما يَلْتَفُّ حَوْلَهُنَّ الأوْغادُ مِنَ الرِّجالِ ، وَأخْشى أنْ تَكونَ اللَّيدي فرانْسيس كارْفاكْس قَدْ وَقَعَتْ في قَبْضَةِ أحَدِ الأشْرارِ !» وَصَمَتَ قَليلاً ثُمَّ قالَ : « إنَّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ هِيَ آخِرُ أفْرادِ أُسْرَةٍ نَبيلَةٍ . وَهِيَ لَيْسَتْ ثَرِيَّةً ، وَلَكِنَّها تَمْتَلِكُ مَجْموعَةً مِنَ الجَواهِرِ الإسْبانِيَّةِ النّادِرَةِ ، المُرَصَّعَةِ بِالماسِ وَ الأحْجارِ الكَريمَةِ ، تَحْمِلُها مَعَها أيْنَما ذَهَبَتْ . وَهِيَ جَميلَةٌ ، وَلَمْ تَبْلُغْ بَعْدُ الأرْبَعينَ مِنْ عُمْرِها ، وَلَها خادِمَةٌ عَجوزٌ تُدْعى الآنِسَةَ دوبْني ، تَعيشُ مَعَها في لَنْدَن ، وَقَدِ اتَّصَلَتْ هَذِهِ الخادِمَةُ بي أمْسِ وَأبْلَغَتْني بِأنَّ سَيِّدَتَها انْقَطَعَتْ أخْبارُها مُنْذُ خَمْسَةِ أسابيعَ ، وَأنَّ آخِرَ خِطابٍ وَصَلَها مِنْها قَدْ أُرْسِلَ مِنَ الفُنْدُقِ الَّذي كانَتْ تُقيمُ فيه بِلُوزان ، وَأنَّها اتَّصَلَتْ بِمُديرِ هَذا الفُنْدُقِ ؛ فَأبْلَغَها بِأنَّ سَيِّدَتَها غادَرَتِ الفُنْدُقَ دونَ أنْ تَذْكُرَ عُنْوانًا لَها .»

وَصَمَتَ هولْمز قَليلاً ثُمَّ واصَلَ حَديثَهُ : « إنَّ هَذِهِ الخادِمَةَ تَشْعُرُ بِالقَلَقِ عَلى سَيِّدَتِها ، وَقَدْ أبْلَغَتْ أقارِبَها بِذَلِكَ فَطَلَبوا مِنْها الاتِّصالَ بي ، وَإبْلاغي بِأنَّهُمْ عَلى اسْتِعْدادٍ لِتَقْديمِ ما يَلْزَمُ مِنْ مالٍ لِلْبَحْثِ عَنْها .»

سَأَلْتُ هُولمز : « هَلْ كانَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ تُراسِلُ أَحَداً في لَنْدَن غَيْرَ خادِمَتِها ؟»

أجابَ : « إنَّها كانَتْ عَلى اتِّصالٍ بِمُديرِ البَنْكِ الَّذي تَتَعامَلُ مَعَهُ ، وَقَدِ اتَّصَلْتُ بِهِ فَأَخْبَرَني بِأَنَّ آخِرَ مَبْلَغٍ سَحَبَتْهُ قَدْ حُوِّلَ إلى فَتاةٍ فَرَنْسِيَّةٍ تُدْعى ماري دِيفين ، عَلى أَحَدِ البُنوكِ في مَدينَةِ مونْبلييه بِفَرَنْسا ، وَعَلَيْكَ الآنَ ، يا واطْسُن ، أَنْ تَتَوَجَّهَ وَحْدَكَ إلى سويسْرا لِلْبَحْثِ عَنِ اللَّيدي فرانْسيس كارْفاكْس ، وَكُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَكونَ مَعَكَ لَوْلا أَنّي مَشْغولٌ هَذِهِ الأَيّامَ بِبَعْضِ الأُمورِ ، وَلا تَنْسَ أَنْ تَتَّصِلَ بي كُلَّما احْتَجْتَ إلى مَشورَةٍ .»

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ وَصَلْتُ إلى لُوزان وَأَقَمْتُ في الفُنْدُقِ الوَطَنِيِّ . وَأَخْبَرَني مُديرُ الفُنْدُقِ بِأَنَّ اللَّيدي فرانْسيس مَكَثَتْ عِنْدَهُمْ بِضْعَةَ أَسابيعَ ، وَكانَتْ مَحْبوبَةً مِنَ الجَميعِ لِرِقَّتِها وَجَمالِها ، وَأَنَّها كانَتْ تَحْتَفِظُ في غُرْفَتِها بِصُنْدوقٍ مُغْلَقٍ تَعْتَزُّ بِهِ ، كَما كانَتْ لَها خادِمَةٌ لَطيفَةٌ تُدْعى ماري دِيفين خَطَبَها أَحَدُ العامِلينَ بِالفُنْدُقِ ، وَتَعيشُ الآنَ في مَدينَةِ مُونْبلييه بِفَرَنْسا .

أَبْرَقْتُ إلى هُولمز بِما جَمَعْتُ مِنْ مَعْلوماتٍ ، وَأَنا فَخورٌ بِنَجاحي في تِلْكَ المُهِمَّةِ ، رَغْمَ أَنَّني كُنْتُ لا أَزالُ أَجْهَلُ سَبَبَ مُغادَرَةِ

اللَّيدي فرانْسيس لِلْفُنْدُقِ فَجْأَةً ، وَفي وَقْتٍ كانَ يَتَوَقَّعُ كُلُّ مَنْ عَرَفَها هُناكَ أَنَّها سَوْفَ تَمُدُّ إقامَتَها ؛ حَتّى تَزْدادَ اسْتِمْتاعاً بِبُحَيْرَةِ جِنيف .

وَتَحَدَّثْتُ إلى الشّابِّ الَّذي خَطَبَ الخادِمَةَ ماري دِيفين ، فَذَكَرَ لي أَنَّ رَجُلاً طَويلَ القامَةِ ، ذا لِحْيَةٍ كَثيفَةٍ ، قَدْ زارَ اللَّيدي فرانْسيس بِالفُنْدُقِ قَبْلَ رَحيلِها بِيَوْمَيْنِ ، وَقَدْ رَآهُ مَعَها قُرْبَ البُحَيْرَةِ ، وَكانَ يَتَحَدَّثُ إلَيْها حَديثاً جِدِّيّاً . وَفي اليَوْمِ التّالي حَضَرَ إلى الفُنْدُقِ وَطَلَبَ مُقابَلَتَها وَلَكِنَّها رَفَضَتْ ، وَغادَرَتِ الفُنْدُقَ مُباشَرَةً . وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذا الرَّجُلَ مُواطِنٌ إنْجليزِيٌّ ، وَهُوَ الَّذي تَسَبَّبَ في أَنْ تَتَصَرَّفَ هَذا التَّصَرُّفَ المُفاجِئَ . ثُمَّ سَأَلْتُ هَذا الشّابَّ عَنْ خَطيبَتِهِ ، فَأَخْبَرَني بِأَنَّها سافَرَتْ إلى مُونْبلييه ، وَأَعْطاني عُنْوانَها حَتّى يُمْكِنَني الاتِّصالُ بِها .

وَعَرَفْتُ مِنْ إحْدى شَرِكاتِ السِّياحَةِ أَنَّ اللَّيدي فرانْسيس قَدْ سافَرَتْ إلى مَدينَةِ بادِن – بادِن في أَلْمانيا ، فَقَرَّرْتُ اللَّحاقَ بِها . وَهُناكَ عَلِمْتُ مِنْ مُديرِ الفُنْدُقِ الإنْجليزِيِّ ، الَّذي نَزَلَتْ بِهِ لِمُدَّةِ أُسْبوعَيْنِ أَنَّها قَدْ تَعَرَّفَتْ هُناكَ عَلى أَحَدِ رِجالِ الدّينِ مِنْ نُزَلاءِ الفُنْدُقِ ، يُدْعى الدُّكْتور شليسنْغَر ، وَكانَ الرَّجُلُ مَريضاً وَيُمْضي مُعْظَمَ وَقْتِهِ إلى جانِبِ زَوْجَتِهِ ، في تَأْليفِ بَعْضِ الكُتُبِ الدّينِيَّةِ .

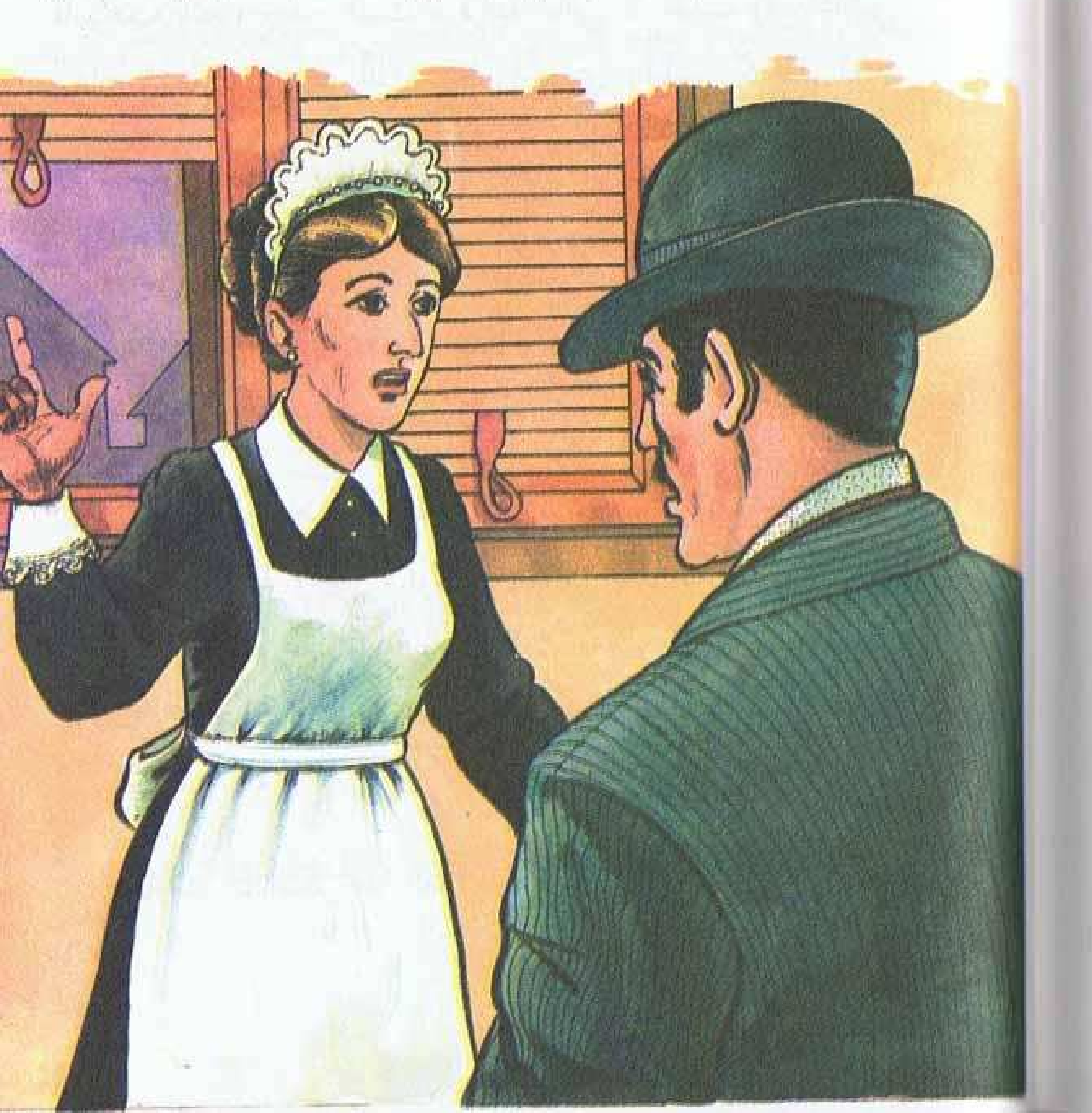
وَعلِمْتُ أيْضاً أنَّ الرَّجُلَ عادَ إلى لَنْدَن هُوَ وَزَوْجَتُهُ مُنْذُ ثَلاثَةِ أسابيعَ، وَ بِصُحْبَتِهِما اللَّيدي فرانْسيس .

وَ سَأَلْتُ مُديرَ الفُنْدُقِ عَنِ الخادِمَةِ الَّتي كانَتْ مَعَها ، فَقالَ : « لَقَدْ غادَرَتِ الفُنْدُقَ وَهِيَ تَبْكي حُزْناً عَلى فِراقِ سَيِّدَتِها ، وَأَقْسَمَتْ أنْ لا تَقومَ بَعْدَ الآنَ بِخِدْمَةِ أحَدٍ غَيْرِ سَيِّدَتِها . وَقَدْ جاءَ رَجُلٌ إنْجليزِيٌّ آخَرُ مُنْذُ أسْبوعٍ وَسَأَلَ عَنْها ، وَهُوَ رَجُلٌ غَريبٌ أشْبَهُ ما يَكونُ بِحَيَوانٍ بَرِّيٍّ . »

وَعِنْدَئِذٍ تَذَكَّرْتُ ما سَمِعْتُهُ عَنْ هَذا الرَّجُلِ الَّذي يُظَنُّ أنَّ اللَّيدي فرانْسيس غادَرَتْ لوزان بِسَبَبِهِ ، وَ تَخَيَّلْتُ أنَّهُ يُطارِدُها أيْنَما ذَهَبَتْ . وَبَدَأْتُ أخْشى عَلَيْها مِنْ هَذِهِ المُطارَدَةِ ، وَاسْتَبْعَدْتُ أنْ تُصابَ بِضَرَرٍ ما دامَتْ بِصُحْبَةِ الدُّكْتور شليسِنْغَر وَزَوْجَتِهِ .

وَأبْرَقْتُ إلى هُولمز بِما رَأيْتُ وَسَمِعْتُ ، فَأَجابَ بِبَرْقِيَّةٍ عَجيبَةٍ جاءَ فيها : « صِفْ لي أُذُنَ الدُّكْتور شليسِنْغَر اليُسْرى – هُولمز . » لَمْ أَجِدْ تَعْليلاً لِهَذِهِ البَرْقِيَّةِ ، وَاعْتَقَدْتُ أنَّهُ يَمْزَحُ ، وَلَكِنّي تَوَجَّهْتُ إلى مُونْبلييه وَقابَلْتُ الخادِمَةَ ماري ديڤين ، الَّتي أخْبَرَتْني بِأنَّ سَيِّدَتَها اللَّيدي فرانْسيس كانَتْ تُعامِلُها مُعامَلَةً حَسَنَةً ، وَلَكِنَّها تَغَيَّرَتْ نَحْوَها فَجْأةً إلى دَرَجَةِ أنِ اتَّهَمَتْها بِالسَّرِقَةِ . وَسَأَلْتُها عَنِ المَبْلَغِ

الَّذي حُوِّلَ بِاسْمِها ، فَقالَتْ إنَّهُ هَدِيَّةٌ مِنْ سَيِّدَتِها بِمُناسَبَةِ قُرْبِ زَواجِها . فَسَأَلْتُها عَنِ الرَّجُلِ الَّذي زارَها في لُوزان ، فَعَرَفْتُ مِنْها أنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُهَذَّباً في التَّعامُلِ مَعَ سَيِّدَتِها ، وَتَعْتَقِدُ أنَّهُ هُوَ الَّذي تَسَبَّبَ في رَحيلِها عَنْ لُوزان . وَفَجْأةً تَوَقَّفَتْ عَنِ الحَديثِ وَنَظَرَتْ مِنَ النّافِذَةِ ، وَقالَتْ بِلَهْجَةٍ مُضْطَرِبَةٍ : « أُنْظُرْ يا سَيِّدي ! هَذا هُوَ



الرَّجُلُ الَّذي كُنّا نَتَحَدَّثُ عَنْهُ الآنَ . إنَّهُ خارِجَ الدّارِ .»

نَظَرْتُ مِنَ النّافِذَةِ ، فَشاهَدْتُ رَجُلاً طَويلَ القامَةِ ، لَهُ لِحيَةٌ كَثَّةٌ، يَسيرُ بِبُطْءٍ وَسَطَ الطَّريقِ وَهُوَ يُدَقِّقُ النَّظَرَ في أَرْقامِ البُيوتِ المُصْطَفَّةِ عَلى الجانِبَيْنِ . وَكانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ بَيْتِ ماري ديڤين، فَأَسْرَعْتُ بِالخُروجِ مِنَ البَيْتِ ، فَرَأَيْتُهُ أَمامي ، فَقُلْتُ وَقَدِ انْتابَتْني مَشاعِرُ الغَضَبِ : « أَظُنُّ أَنَّكَ مُواطِنٌ إنجليزيٌّ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟»

رَدَّ بِصَوْتٍ خَشِنٍ : « ما شَأْنُكَ أَيُّها الرَّجُلُ ؟ اِبْتَعِدْ عَنّي !»

وَلَكِنّي تابَعْتُ كَلامي : « ما اسْمُكَ ؟» وَلَمْ يَعْبَأْ بي ، وَواصَلَ سَيْرَهُ فَلَحِقْتُ بِهِ وَأَمْسَكْتُهُ مِنْ كَتِفِهِ قائِلاً : « أَيْنَ اللَّيدي فرانسيس كارْفاكْس ؟ ماذا فَعَلْتَ بِها ؟ وَلِماذا تَتَعَقَّبُها ؟»

زَمْجَرَ الرَّجُلُ غاضِباً ، وَانْقَضَّ عَلَيَّ بِقُوَّةٍ مُطْبِقاً يَدَيْهِ حَوْلَ عُنُقي حَتّى كِدْتُ أَفْقِدُ وَعْيي ، لَوْلا أَنْ أَنْقَذَني مِنْهُ عامِلٌ فَرَنْسِيٌّ كانَ بِالطَّريقِ ، وَضَرَبَهُ عَلى يَدَيْهِ بِعَصاً كانَتْ مَعَهُ . وَرَأى الرَّجُلُ أَنَّهُ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ يَتْرُكَني وَيَمْضِيَ لِحالِهِ ، وَاتَّجَهَ نَحْوَ بَيْتِ ماري ديڤين ثُمَّ دَخَلَهُ مِنْ بابِهِ .

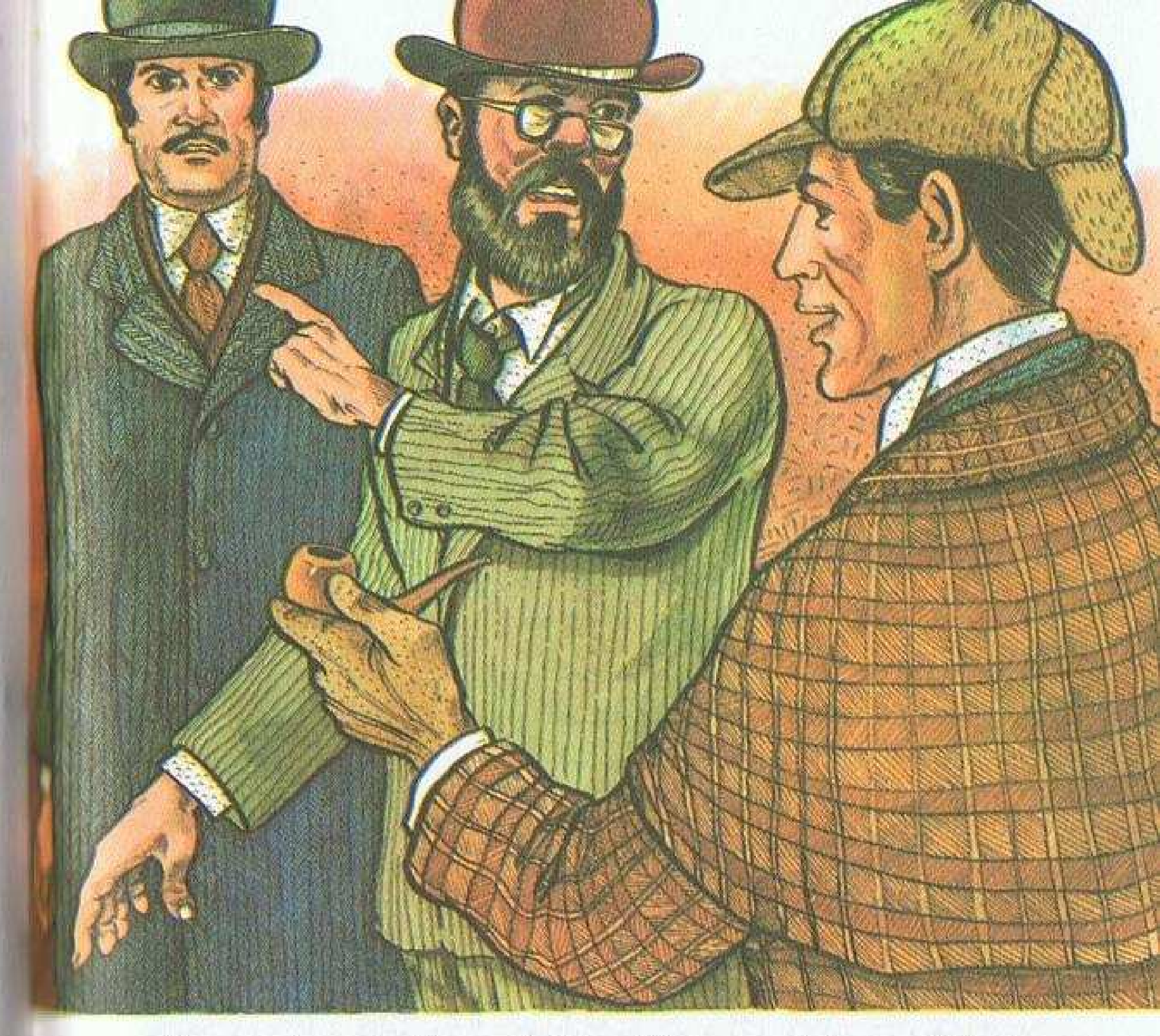
وَحاوَلْتُ أَنْ أَشْكُرَ هَذا العامِلَ الفَرَنْسِيَّ الَّذي أَنْقَذَني مِنْ قَبْضَةِ

هَذا الوَحْشِ المُفْتَرِسِ ، وَلَكِنْ سَرْعانَ ما فَطِنْتُ إِلى أَنَّ هَذا العامِلَ لَمْ يَكُنْ سِوى شِرْلُوك هُولمز نَفْسِهِ ، الَّذي قالَ مُبْتَسِماً : « لَقَدْ أَخْطَأْتَ هَذِهِ المَرَّةَ يا واطْسُن ! وَعَلى أَيَّةِ حالٍ سَوْفَ نَرْحَلُ اللَّيْلَةَ مَعاً بِقِطارِ المَساءِ إِلى لَنْدَن .» ثُمَّ اصْطَحَبَني إِلى الفُنْدُقِ الَّذي أُقيمُ فيهِ، حَيْثُ خَلَعَ المَلابِسَ الَّتي كانَ يَتَخَفّى فيها ، وَارْتَدى مَلابِسَهُ العادِيَّةَ . وَسَأَلْتُهُ لِماذا حَضَرَ إِلى مونبلييه فَأَجابَ : « رَأَيْتُ أَنْ أَحْضُرَ بِنَفْسي لِمُعاوَنَتِكَ ، وَتَوَقَّعْتُ أَنْ تَكونَ هَذِهِ المَدينَةُ هِيَ هَدَفَكَ الأَخيرَ في هَذِهِ الرِّحْلَةِ .» وَأَخْبَرَني بِأَنَّهُ يَنْتَظِرُ رَجُلاً كَلَّفَهُ بِجَمْعِ بَعْضِ المَعْلوماتِ عَنِ اللَّيدي فرانسيس لَعَلَّها تُفيدُنا في مُهِمَّتِنا .

وَبَعْدَ قَليلٍ حَضَرَ الرَّجُلُ الَّذي يَنْتَظِرُهُ هُولمز ، فَإِذا بِهِ الرَّجُلُ نَفْسُهُ الَّذي تَشاجَرْتُ مَعَهُ في الطَّريقِ . وَقَدَّمَهُ هُولمز إِلَيَّ قائِلاً : « هَذا هُوَ السَّيِّدُ فيليب غرين .» وَبَدا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لا يَسْتَلْطِفُ وُجودي مَعَهُما ، وَالْتَفَتَ إِلى هُولمز وَقالَ : « لَقَدْ تَسَلَّمْتُ بَرْقِيَّتَكَ ، يا سَيِّدي ، وَلَكِنْ ما سَبَبُ وُجودِ هَذا الرَّجُلِ مَعَكَ ؟»

أَجابَهُ هُولمز : « إِنَّهُ صَديقي القَديمُ الدُّكْتور واطْسُن ، لَعَلَّكَ سَمِعْتَ بِهِ .»

نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَيَّ وَقالَ مُعْتَذِراً : « إِنّي آسِفٌ ! لَقَدْ فَقَدْتُ صَوابي،



يا دُكتور واطْسُن ، عِنْدما اتَّهمْتني بِإلْحاقِ الضَّرَرِ بِاللّيدي فرانْسيس .» ثُمَّ نَظَرَ إلى هُولمز وسَأَلَهُ : « كَيْفَ عَلِمْتَ أنّي لا أزالُ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ؟ وَكَيْفَ عَرَفْتَ عُنْواني حَتّى تُبْرِقَ إليَّ ؟»

أجابَهُ : « أخْبَرَتْني بِذَلِكَ الآنِسَةُ دوبْني ، خادِمَةُ اللّيدي فرانْسيس ، وَهِيَ تَعْرِفُكَ حَقَّ المَعْرِفَةِ مُنْذُ أيّامِ الشَّبابِ ، وَقَبْلَ أنْ تُهاجِرَ إلى

جَنوبِ إفْريقِيَّةَ .»

تَحدَّثَ فيليب غرين عَنِ العَلاقَةِ الّتي تَرْبِطُهُ بِاللّيدي فرانْسيس ، فَقالَ إنَّهُ يُحِبُّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ مُنْذُ سَنَواتٍ طَويلَةٍ ، وَكانَتْ تُبادِلُهُ حُبّاً بِحُبٍّ ، غَيْرَ أنَّهُ كانَ فَقيراً وَصاحِبَ نَزَواتٍ ؛ فَصَمَّمَ عَلى الهِجْرَةِ إلى جَنوبِ إفْريقِيَّةَ لِكَي يُكَوِّنَ لِنَفْسِهِ ثَرْوَةً مُناسِبَةً ، وَيُهَذِّبَ سُلوكَهُ . وَظَلَّتِ اللّيدي فرانْسيس تَنْتَظِرُهُ ، رافِضَةً الزَّواجَ بِغَيْرِهِ ، وَلَمّا عادَ وَجَدَها قَدْ سافَرَتْ إلى لُوزان ، وَلَحِقَ بِها وَلَكِنَّها صَدَّتْهُ . ثُمَّ غادَرَتْ لُوزان إلى بادِن – بادِن ، فَتَبِعَها إلى هُناكَ ، إلا أنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ لَها عَلى أثَرٍ ، فَجاءَ إلى مونْبلْييه لِمُقابَلَةِ ماري ديڤين ، الّتي كانَتْ تَخْدِمُها في لُوزان ، لَعَلَّهُ يَجِدُ لَدَيْها ما يُفيدُهُ في مَعْرِفَةِ أخْبارِ المَرْأةِ الّتي يُحِبُّها .

وَ وَعَدَهُ هُولمز بِأنَّهُ ، سَيَبْذُلُ قُصارى جَهْدِهِ لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اخْتِفاءِ هَذِهِ السَّيِّدَةِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ العَوْدَةَ إلى لَنْدَن تارِكاً لَهُ عُنْوانَهُ ، حَتّى يَتَمَكَّنَ مِنْ الاتِّصالِ بِهِ إذا ما احْتاجَ إلَيْهِ .

وَعُدْنا إلى لَنْدَن ، فَوَجَدْنا بِالبَيْتِ بَرْقِيَّةً مُرْسَلَةً مِنْ مُديرِ الفُنْدُقِ في بادِن – بادِن ، تَقولُ : « مَقْطوعَةٌ وَلَيْسَتْ مُنْتَظِمَةً .»

سَأَلْتُ هُولمز عَنْ مَعْنى هَذِهِ البَرْقِيَّةِ ، فَقالَ إنَّها رَدٌّ عَلى سُؤالٍ عَنْ

شَكْلِ أُذُنِ الدُّكْتور شليسنغر . وَقَدْ سَأَلَني مِنْ قَبْلُ السُّؤالَ نَفْسَهُ ، وَلَمْ أَرُدَّ عَلَيْهِ لاِعْتِقادي أَنَّهُ كانَ يَمْزَحُ .

قالَ هولمز : « إِنَّ هَذِهِ البَرْقِيَّةَ بالِغَةُ الأَهَمِّيَّةِ ، فالآنَ تَأَكَّدْتُ أَنَّ ما يُسَمّى بِالدُّكْتور شليسنغر لَيْسَ إِلّا المُجْرِمَ العالَمِيَّ هَنْري پيترز القادِمَ من أُسْتراليا . وَهَذا المُجْرِمُ الخَطيرُ يَسْتَدْرِجُ العانِساتِ الثَّرِيّاتِ وَيَسْلُبُ أَمْوالَهُنَّ تَحْتَ سِتارِ الدّينِ ، وَتُساعِدُهُ في النَّشاطِ الإِجْرامِيِّ امْرَأَةٌ تَدَّعي أَنَّها زَوْجَتُهُ . »

وَرَأى هولمز أَنَّ الأَمْرَ يَسْتَدْعي سُرْعَةَ الحَرَكَةِ لإِنْقاذِ تِلْكَ السَّيِّدَةِ المِسْكينَةِ ؛ فاتَّصَلَ بِسكوتلانديارْد حَتّى يَكونَ لَدى الشُّرْطَةِ عِلْمٌ بِما تَوَصَّلَ إِلَيْهِ مِنْ مَعْلوماتٍ ، حَوْلَ اخْتِفاءِ اللَّيدي فرانْسيس كارْفاكْس .

وَذاتَ يَوْمٍ عَلِمَ هولمز مِنْ أَحَدِ المُرابينَ المُتَّصِلينَ بِهِ ، أَنَّ رَجُلاً قَدْ رَهَنَ لَدَيْهِ قِطْعَةً ثَمينَةً مِنَ الجَواهِرِ الإِسْبانِيَّةِ . وَطَلَبَ هولمز مِنْ ذَلِكَ المُرابي أَنْ يَصِفَ لَهُ أُذُنَ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ ، غَيْرَ أَنَّ هولمز وَجَدَ بارِقَةَ أَمَلٍ ، وَرَجَّحَ أَنْ يَكونَ هُوَ المُجْرِمَ الخَطيرَ پيترز ، الَّذي يَدَّعي أَنَّهُ الدُّكْتور شليسنغر .

وَطَلَبَ هولمز مِنْ فيليب غرين ، الَّذي يُحِبُّ اللَّيدي فرانْسيس ،

أَنْ يُراقِبَ مَتْجَرَ المُرابي ؛ فَقَدْ يَعودُ ذَلِكَ الرَّجُلُ لِكَيْ يَرْهَنَ قِطْعَةً أُخْرى مِنَ الحُلِيِّ ، فَوافَقَ وَانْصَرَفَ . وَانْقَطَعَتْ أَخْبارُهُ يَوْمَيْنِ ، إِلى أَنْ جاءَ في اليَوْمِ الثّالِثِ وَأَخْبَرَنا بِأَنَّهُ تَعَرَّفَ عَلى بَيْتِ المُجْرِمِ ، فَسَأَلَهُ هولمز أَنْ يُوَضِّحَ كَلامَهُ ، فَقالَ : « مُنْذُ ما يَقْرُبُ مِنْ ساعَةٍ جاءَتْ إِلى مَتْجَرِ المُرابي امْرَأَةٌ لِكَيْ تَرْهَنَ قِطْعَةً أُخْرى مِنَ المُجَوْهَراتِ ، وَقَدْ تَبِعْتُها بَعْدَ أَنْ غادَرَتِ المَتْجَرَ فَوَجَدْتُها تَدْخُلُ مَتْجَرَ مُتَعَهِّدٍ لِدَفْنِ المَوْتى ، وَسَمِعْتُها تَقولُ لِصاحِبِهِ : « لَقَدْ تَأَخَّرْتَ عَلَيْنا ! » فَقالَ : « مَعْذِرَةً عَنِ التَّأْخيرِ ! سَأَصِلُ بَعْدَ قَليلٍ ، لأَنَّ مَقاييسَ صُنْدوقِ المَيِّتِ الَّتي أَعْطَيْتِ لَنا اسْتَغْرَقَتْ في الصُّنْعِ وَقْتاً أَطْوَلَ مِنْ غَيْرِها . » وَتَبِعْتُ السَّيِّدَةَ إِلى بَيْتِها ، وَعَرَفْتُ العُنْوانَ بِالتَّحْديدِ . »

وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ وَرَقَةً أَعْطاها إِلى هولمز ، الَّذي طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُكْمِلَ حَديثَهُ ، فَقالَ : « وَقَفْتُ أُراقِبُ البَيْتَ عَنْ بُعْدٍ ، وَكانَتِ النَّوافِذُ مُغْلَقَةً ، وَرَأَيْتُ عَرَبَةَ نَقْلٍ تَحْمِلُ شَيْئاً لَمْ أَتَبَيَّنْهُ في أَوَّلِ الأَمْرِ ، وَلَكِنْ سُرْعانَ ما أَدْرَكْتُ أَنَّهُ صُنْدوقٌ لِلْمَوْتى ، أَنْزَلَهُ الرِّجالُ مِنَ العَرَبَةِ وَأَدْخَلوهُ البَيْتَ ، بَعْدَ أَنْ فَتَحَتْ لَهُمْ تِلْكَ السَّيِّدَةُ الَّتي كُنْتُ أَتْبَعُها . »

وَخَتَمَ غرين كَلامَهُ قائِلاً : « لِهَذا أَسْرَعْتُ ، يا سَيِّدي ، بِالمَجيءِ

إلَيْكَ .»

وَالْتَقَطَ هُولمز مِنْ فَوْقِ مَكْتَبِهِ وَرَقَةً ، وَكَتَبَ عَلَيْها بِضْعَ كَلِمات، ثُمَّ طَواها وَسَلَّمَها لِلسَّيِّدِ غرين قائِلاً : « عَلَيْكَ أَنْ تَتَوَجَّهَ فوراً بِهٰذِهِ الوَرَقَةِ إلى سكُوتْلانْد يارْد .» ثُمَّ أَضافَ : « لَقَدْ طَلَبْتُ مِنَ الجِهاتِ المَسْؤولَةِ هُناكَ إِذْنَ تَفْتيشٍ ، يا واطْسُن ، فَالأَمْرُ يَبْدو خَطيراً لِلْغايَةِ .»

وَ سادَ الاعْتِقادُ بَيْنَنا أَنَّ صُنْدوقَ المَوْتى قَدْ أُعِدَّ لِلّيدي فرانْسيس، الَّتي قُتِلَتْ أَوْ توشِكُ أَنْ تُقْتَلَ . وَطَلَبَ مِنّي هُولمز أَنْ أُسْرِعَ مَعَهُ إلى بَيْتِ المُجْرِمِ لَعَلَّنا نُنْقِذُ الضَّحِيَّةَ قَبْلَ الفَتْكِ بِها . وَفي العَرَبَةِ قالَ إِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ پيترز قَدِ احْتالَ عَلى السَّيِّدَةِ ، بَعْدَ أَنْ أَوْهَمَها بِأَنَّهُ رَجُلُ دينٍ حَتّى تَثِقَ بِهِ ، وَجَعَلَها تَتَخَلَّصُ مِنْ خادِمَتِها في بادِن – بادِن . ثُمَّ جاءَ بِها إلى لَنْدَن وَاسْتَأْجَرَ شَقَّةً مَفْروشَةً حَبَسَها بِداخِلِها، وَقَطَعَ صِلَتَها بِالعالَمِ الخارِجِيِّ لِكَيْ يَسْتَوْلِيَ عَلى ما تَمْلِكُهُ مِنْ أَمْوالٍ وَجَواهِرَ ، ثُمَّ يَقْتُلَها .

وَفي الطَّريقِ مَرَرْنا بِمَتْجَرِ مُتَعَهِّدِ دَفْنِ المَوْتى ، فَرَأى هُولمز أَنْ نَتَوَقَّفَ لِلسُّؤالِ عَنْ ميعادِ تَشْييعِ الجِنازَةِ ، فَعَلِمْنا أَنَّهُ في السّاعَةِ الثّامِنَةِ مِنْ صَباحِ الغَدِ .

وَ واصَلْنا السَّيْرَ إلى العُنْوانِ الَّذي حَدَّدَهُ لَنا غرين ، وَتَوَقَّفَتِ العَرَبَةُ أَمامَ البَيْتِ فَنَزَلْنا ، وَطَلَبَ هُولمز مِنَ السّائِقِ أَنْ يَنْصَرِفَ . ثُمَّ دَقَّ جَرَسَ البابِ فَفَتَحَتْ لَنا سَيِّدَةٌ طَويلَةُ القامَةِ ، وَسَأَلَتْنا عَمّا نُريدُ ، فَأَجابَها هُولمز : « أُريدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إلى الدُّكْتور شليسِنْغَر .»

قالَتْ : « لا يوجَدُ هُنا شَخْصٌ بِهٰذا الاسْمِ .»

وَحاوَلَتْ إِغْلاقَ البابِ فَمَنَعَها هُولمز ، وَقالَ : « أُريدُ مُقابَلَةَ الرَّجُلِ الَّذي يَسْكُنُ هٰذا البَيْتَ .»

تَرَدَّدَتِ السَّيِّدَةُ قَليلاً ، ثُمَّ قالَتْ : « تَفَضَّلْ ؛ فَزَوْجي لا يَخْشى مُقابَلَةَ أَيِّ إِنْسانٍ !»

وَقادَتْنا إلى غُرْفَةِ الجُلوسِ وَقالَتْ : « سَوْفَ يَحْضُرُ إِلَيْكُمُ السَّيِّدُ پيترز بَعْدَ قَليلٍ .» وَغادَرَتِ الغُرْفَةَ ، فَهَمَسَ هُولمز في أُذُني : « إِنَّنا نَسيرُ في الطَّريقِ الصَّحيحِ . إِنَّ اسْمَ الرَّجُلِ پيترز .»

وَجاءَ الرَّجُلُ ، وَكانَ طَويلَ القامَةِ ، أَصْلَعَ الرَّأْسِ ، عابِسَ الوَجْهِ ، وَبادَرَنا بِقَوْلِهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ أَخْطَأْتُمُ المَكانَ أَيُّها السّادَةُ !» وَقاطَعَهُ هُولمز قائِلاً : « أنا شِرْلُوك هُولمز ، وَأَنْتَ هَنْري پيترز الَّذي اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ في بادِن – بادِن اسْمَ الدُّكْتور شليسِنْغَر .»



قالَ الرَّجُلُ ساخِراً : « إنَّ هَذا لا يُخيفُني ، يا سَيِّدُ هُولمز ! فَماذا تُريدُ مِنّي ؟» سَأَلَهُ هُولمز: « ماذا فَعَلْتَ بِاللَّيدي فرانْسِيس كارْفاكْس، الّتي كانَتْ مَعَكَ في بادِن – بادِن ؟»

ثُمَّ خَفَضَ صَوْتَهُ قائِلاً: « أكونُ شاكِراً لَوْ أَرْشَدْتَنا عَنْ مَكانِها !»

أجابَ : « لَقَدْ تَعَرَّفْنا على هَذِهِ السَّيِّدَةِ هُناكَ ، وَكانَتْ مُسْرِفَةً فَأَنْفَقَتْ كُلَّ ما لَدَيْها مِنْ مالٍ ، فَاضْطُرِرْتُ إلى أنْ أُقْرِضَها مِئَةَ جُنَيْهٍ ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ سَدادَ الدَّيْنِ فَأَعْطَتْنا بَدَلاً مِنْهُ بَعْضَ الجَواهِرِ عَديمَةِ القيمَةِ ، ثُمَّ عادَتْ مَعَنا إلى لَنْدَن حَيْثُ تَرَكَتْنا في مَحَطَّةِ فيكْتوريا ، وَلَمْ نَسْمَعْ عَنْها شَيْئاً حَتّى الآنَ .»

قالَ هُولمز: « سَوْفَ أَتَوَلّى البَحْثَ عَنْها بِنَفْسي ، وَسَنَبْدَأُ بِتَفْتيشِ بَيْتِكَ هَذا !»

قالَ الرَّجُلُ : « إنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ ذَلِكَ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، لأَنَّكَ لا تَحْمِلُ إِذْناً رَسْمِيّا بِالتَّفْتيشِ .»

وَشَهَرَ هُولمز مُسَدَّسَهُ وَ قالَ : « سَأُكْمِلُ مُهِمَّتي سَواءٌ أَرَدْتَ أَوْ لَمْ تُرِدْ ! » ثُمَّ أَشارَ إلَيَّ بِأُصْبُعِهِ قائِلاً : « هَذا صَديقي واطْسُن ، وَهُوَ رَجُلٌ خَطيرٌ يَحْمِلُ سِلاحاً أَيْضاً !»

وَرأى الرَّجُلُ أنَّ مِنَ الأفْضَلِ أنْ يكونَ لَطيفاً مَعَنا ، فَقادَنا إلى الغُرْفَةِ المُجاوِرَةِ حَيْثُ وَجَدْنا صُنْدوقَ المَوْتى ، مَوْضوعاً فَوْقَ مِنضَدَةٍ عالِيَةٍ ، فَطَلَبَ هُولمز مِنَ الرَّجُلِ أنْ يَفْتَحَهُ ، فَاعْتَرَضَ قائِلاً : « إنَّ بِداخِلِهِ جُثْمانَ سَيِّدَةٍ عَجوزٍ ، كانَتْ تَعْمَلُ خادِمَةً عِنْدَ زَوْجَتي مِنْ زَمَنٍ ، وَقَدْ عَلِمْنا بِمَرَضِها فَطَلَبْنا مِنَ المُسْتَشْفى الَّذي كانَتْ تُقيمُ فيهِ أنْ نَنْقُلَها إلى بَيْتِنا ، حَيْثُ نَتَوَلّى عِلاجَها بِأنْفُسِنا ، وَكَلَّفْنا أحَدَ الأطِبّاءِ بِرِعايَتِها ، وَلَكِنَّها تُوُفِّيَتْ أمْسِ . وَنَحْنُ الآنَ نَسْتَعِدُّ لِتَشْييعِ جِنازَتِها . » وَفَتَحَ الرَّجُلُ الصُّنْدوقَ ، وَكانَ بِداخِلِهِ جُثْمانُ سَيِّدَةٍ عَجوزٍ ضَئيلَةِ الجِسْمِ ، فَتَنَفَّسْنا الصُّعَداءَ لِأنَّها لَمْ تَكُنِ اللَّيدي فرانْسيس .

وَتَوَجَّهْنا إلى المُسْتَشْفى لِنَتأكَّدَ مِمّا قالَهُ الرَّجُلُ ، وَقابَلْنا الطَّبيبَ المُعالِجَ ، وَعَرَفْنا مِنَ المَعْلوماتِ الَّتي حَصَلْنا عَلَيْها صِدْقَ كَلامِ پيترز .

وَعُدْتُ مَعَ هُولمز إلى بَيْتِهِ لِكَيْ نَسْتَريحَ ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ ساهِراً طَوالَ اللَّيْلِ يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، كَعادَتِهِ كُلَّما صادَفَ مُشْكِلَةً . وَفي الصَّباحِ الباكِرِ أيْقَظَني وَهُوَ يَقولُ : « إنَّ السّاعَةَ ، يا واطْسُن ، تَقْتَرِبُ مِنْ ميعادِ تَشْييعِ الجِنازَةِ ، فَهَيّا نُسْرِعْ إلى بَيْتِ پيترز . »

وَرَكِبْنا العَرَبَةَ وَأسْرَعَتْ بِنا إلى البَيْتِ ، فَوَصَلْنا في اللَّحْظَةِ الَّتي

كانَ فيها رِجالُ مُتَعَهِّدِ دَفْنِ المَوْتى يُحاوِلونَ إخْراجَ الصُّنْدوقِ مِنَ البَيْتِ ، فَنَزَلَ هُولمز مِنَ العَرَبَةِ مُسْرِعاً ، وَاعْتَرَضَ الرِّجالَ قائِلاً : « عودوا بِهَذا الصُّنْدوقِ إلى الدّاخِلِ ! » وَ ظَهَرَ پيترز وَ هُوَ يَزْمَجِرُ قائِلاً : « ما هَذا ؟! لَيْسَ لَكَ أيُّ حَقٍّ ، يا سَيِّدي ، في إصْدارِ الأوامِرِ ! »

قالَ هُولمز « إنَّ الصُّنْدوقَ لَنْ يُسْمَحَ لَهُ بِالخُروجِ قَبْلَ تَفْتيشِهِ مِنْ جَديدٍ ! »

رَدَّ عَلَيْهِ پيترز ساخِراً : « وَلَكِنَّكَ لا تَحْمِلُ إذْناً رَسْمِيّاً بِالتَّفْتيشِ ! »

وَما كادَ الرَّجُلُ يَنْتَهي مِنْ كَلامِهِ ، حَتّى رَأيْنا ضابِطاً مِنْ شُرْطَةِ سكوتْلاند يارْد ، يُلَوِّحُ بِوَرَقَةٍ في يَدِهِ قائِلاً : « هَذا هُوَ إذْنُ التَّفْتيشِ الَّذي طَلَبْتَهُ مِنّا أمْسِ ، يا سَيِّدْ هُولمز ، وَنَحْنُ نَشْكُرُكَ عَلى صادِقِ مُعاوَنَتِكَ لَنا . »

وَتَقَدَّمَ الضّابِطُ وَفَتَحَ غِطاءَ الصُّنْدوقِ ، فَفاحَتْ حَوْلَنا رائِحَةُ غازٍ مُخَدِّرٍ ، شُبِّعَتْ بِهِ قِطْعَةُ قُماشٍ وُضِعَتْ عَلى وَجْهِ سَيِّدَةٍ شابَّةٍ جَميلَةٍ ، غائِبَةٍ عَنْ وَعْيِها . وَمَدَدْتُ يَدي وَأزَحْتُ القِناعَ عَنْ وَجْهِها ، وَأخَذْتُ أحَرِّكُهُ بِرِفْقٍ ، ثُمَّ أمْسَكْتُ يَدَها فَأحْسَسْتُ بِنَبَضاتِ قَلْبِها تَتَوالى بِانْتِظامٍ ؛ فَقُلْتُ وَالسَّعادَةُ تَمْلأُ وَجْهي : « إنَّ السَّيِّدَةَ لا تَزالُ

على قَيْدِ الحَياةِ ! لَقَدْ جِئْنا في الوَقْتِ المُناسِبِ وأَنْقَذْناها مِنْ مَوْتٍ مُحقَّقٍ !» وَأجْرِيَتْ لَها الإسْعافاتُ اللازِمَةُ ، وَجاءَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ السَّيِّدُ غرين ، وَ نَظَرَ إلى وَجْهِ السَّيِّدَةِ قائِلاً: « إنَّها اللَّيدي فرانسِيس. حَمْداً لِلَّهِ وشُكْراً !» وَحينَما أَوْشَكَتْ أنْ تُفيقَ إلى وَعْيِها ، أخْرَجْناها مِنَ الصُّنْدوقِ ، وَ فوجِئْنا بِجُثْمانِ السَّيِّدَةِ العَجوزِ تَحْتَها .

نَظَرَ هُولمز إليَّ وَقالَ : « لَقَدْ كُنْتُ غَبِيّاً ، يا واطْسُن ! لأني لَمْ أَتبيَّنْ إلّا صَباحَ اليَوْمِ مَعْنى قَوْلِ مُتَعهِّدِ دفْنِ المَوْتى ، حينَما قالَ لِلسَّيِّدَةِ إنَّ صُنْعَ صُنْدوقِ المَوْتى قَدِ استَغْرَقَ وَقْتاً أطْوَلَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَمَعْنى هَذا أنَّ الصُّنْدوقَ لَمْ يَكُنْ عاديًّا لأنَّهُ أعِدَّ لِشَخْصَيْنِ ؛ هُما السَّيِّدَةُ العَجوزُ الَّتي فارَقَتِ الحَياةَ ، وَاللَّيدي فرانْسِيس الَّتي خُدِّرَتْ لِكَيْ تَموتَ مَوْتاً بَطيئاً .»

أمّا پيترز وَصاحِبَتُهُ فَلَمْ نَعْثُرْ لَهُما عَلى أَثَرٍ ، وَيَبْدو أنَّهُما هَرَبا عِنْدَما شاهَدا الضّابِطَ يُلَوِّحُ بِالإِذْنِ الرَّسْمِيِّ بِالتَّفْتيشِ .

ثلاثة بِاسْمِ غارِيدب

ذاتَ يَوْمٍ كانَ هُولمز جالِساً في اسْتِرْخاءٍ يُدَخِّنُ غَليونَهُ ، وَفَجْأةً قالَ : « إلَيْكَ ، يا واطْسُن ، فُرْصَةً تُمَكِّنُكَ مِنَ الحُصولِ عَلى بَعْضِ المالِ !»

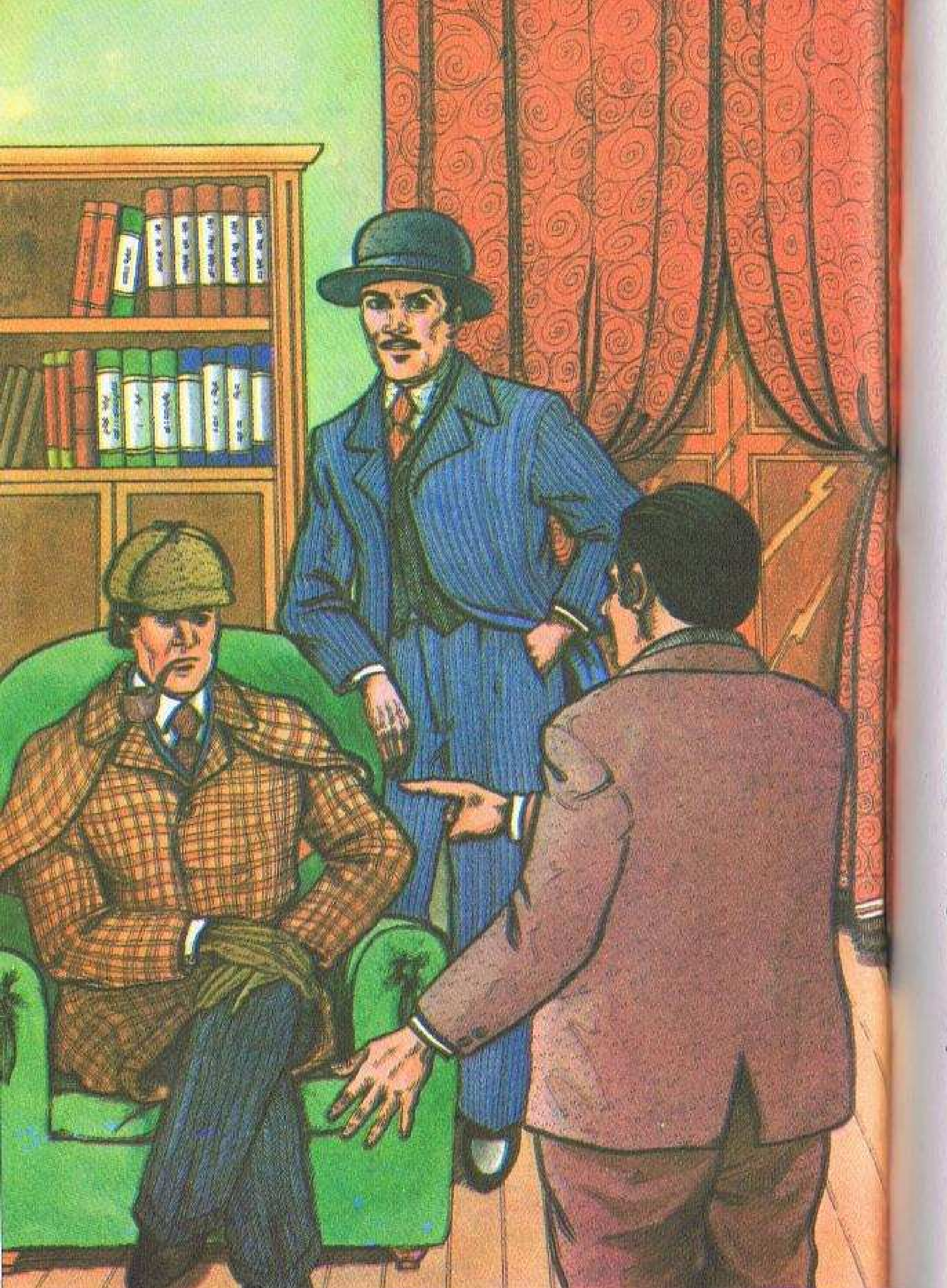
سَأَلْتُهُ : « ما هِيَ ؟»

أجابَني : « ما عَلَيْكَ سِوى أنْ تَبْحَثَ مَعي عَنْ رَجُلٍ اسْمُهُ غارِيدِب .»

سَأَلْتُهُ : « ما العَلاقَةُ بَيْنَ هَذا الاسْمِ وَ المالِ ؟»

أجابَني : « لا تَتَعَجَّلْ ، فَسَوْفَ يَحْضُرُ الآنَ رَجُلٌ تَعْرِفُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ .»

رَأَيْتُ دَليلَ التِّليفوناتِ عَلى المِنْضَدَةِ ، فَأَخَذْتُ أَبْحَثُ فيهِ عَنْ



هذا الاسْمِ ، وَلِحُسْنِ حَظِّي عَثَرْتُ عَلَيْهِ في إحْدى الصَّفَحاتِ ، فَصِحْتُ فَرِحاً : « وَجَدْتُهُ يا هُولمز ! »

وَتَناوَلَ الدَّليلَ مِنْ يَدي وَنَظَرَ فيهِ ، ثُمَّ قالَ : « آسِفٌ ! فَهذا اسْمُ الرَّجُلِ الَّذي سَيَحْضُرُ الآنَ ، إنَّهُ ناثان غارِيدِب . »

وَبَعْدَ قَليل دَخَلَتْ عَلَيْنا الخادِمَةُ تَحْمِلُ بِطاقَةً تَناوَلْتُها مِنْها ، وَقَرَأتُ الاسْمَ المُدَوَّنَ عَلَيْها « جُون غارِيدِب ، مُحامٍ في كنساس بِأمْريكا » فانْتابَني شُعورٌ بِالفَرَحِ وَصِحْتُ : « هذا هُوَ الاسْمُ الَّذي تَبْحَثُ عَنْهُ ، يا هُولمز ، فَهُوَ غَيْرُ المُدَوَّنِ في دَليلِ التَّليفوناتِ . » ولكِنَّهُ نَظَرَ إلَيَّ وَ قالَ مُبْتَسِماً : « آسِفٌ ! فَقَدْ سَمِعْتُ بِصاحِبِ هذِهِ البِطاقَةِ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ أكُنْ أتَوَقَّعُ زِيارَتَهُ الآنَ ، وَعَلَيْكَ أنْ تَبْحَثَ عَنْ ثالِثٍ بِالاسْمِ نَفْسِهِ .

وَسَرْعانَ ما دَخَلَ الرَّجُلُ ، وَكانَ قَصيرَ القامَةِ قَوِيَّ البِنْيَةِ حادَّ البَصَرِ ، وَراحَ يَنْظُرُ إلَيْنا ، ثُمَّ قالَ وَهُوَ يُشيرُ إلى هُولمز : « أنْتَ السَّيِّدُ هُولمز ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ لَقَدْ عَرَفْتُكَ مِنَ الصّورَةِ الَّتي تَنْشُرُها لَكَ الصُّحُفُ . »

وَطَلَبَ مِنْهُ هُولمز أنْ يَجْلِسَ ، وَلكِنَّ الرَّجُلَ اسْتَمَرَّ يَقولُ: « أعْتَقِدُ أنَّ ثَمَّةَ خِطاباً قَدْ وَصَلَكَ مِنْ شَخْصٍ يُدْعى السَّيِّدَ ناثان غارِيدِب . »

وَتناولَ هُولمز مِلفًّا مِنْ فَوْقِ المِنْضَدَةِ ، ثُمَّ قالَ : « أنْتَ إذاً السَّيِّدُ جُون غارِيدِب ، المُحامي الأمْريكيُّ المَذْكورُ في هذا الخِطابِ ؟»

قالَ الرَّجُلُ : « نَعَمْ .»

وَسأَلَهُ هُولمز عَنِ السَّيِّدِ ناثان غارِيدِب ، وَعَنْ سَبَبِ عَدمِ حُضورِهِ مَعَهُ . وَبَدا عَلى الزّائِرِ شَيْءٌ مِنَ الضّيقِ وَهُوَ يَقولُ : « إنّي أَتَعَجَّبُ لِهذا الرَّجُلِ ! وَلا أعْرِفُ لِماذا لَجَأَ إلَيْكَ في هذا المَوْضوعِ الّذي لا شَأنَ لَكَ بِهِ ! فَعِنْدَما اتَّصَلْتُ بِهِ صَباحَ اليَوْمِ عَلِمْتُ بِالخِطابِ الّذي أَرْسَلَهُ إلَيْكَ ، لِهذا أَسْرَعْتُ بِالمَجيءِ لِمُقابَلَتِكَ قَبْلَ أنْ يَحْضُرَ .»

رَدَّ عَلَيْهِ هُولمز بِصَوْتٍ هادِئٍ : « لا داعِيَ لِهذا القَلَقِ ، يا سَيِّدي ، إنَّ الرَّجُلَ أَرادَ أنْ يَضْمَنَ لِنَفْسِهِ النَّجاحَ فَلَجَأَ إلَيَّ .»

هَدَأَ الرَّجُلُ ثُمَّ قالَ : « إنَّني لا أُريدُ أنْ تَتَدَخَّلَ الشُّرْطَةُ في أَعْمالِنا ، وَما دُمْتَ مُسْتَعِداً لِمُعاوَنَتِنا في البَحْثِ عَنْ رَجُلٍ بِاسْمِ غارِيدِب فَلا بَأسَ في ذلِكَ .»

وَ وَعَدَ هُولمز الرَّجلَ بِأنْ يَبْذُلَ قُصارى جَهْدِهِ لِمُعاوَنَتِهِ هُوَ وَصاحِبِهِ ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أنْ يَقُصَّ عَلَيْهِ القِصَّةَ حَتّى يَكونَ عَلى عِلمٍ

بِالحَقائِقِ المُتَعَلِّقَةِ بِها . وَسَكَتَ الرَّجُلُ قَليلاً ثُمَّ قالَ وَهُوَ يُشيرُ إلَيَّ : « مِنَ الأفْضَلِ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، أنْ تُعَرِّفَني بِصاحِبِكَ هذا لِكَي أَتَمَكَّنَ مِنَ الكَلامِ بِاطْمِئْنانٍ . »

قالَ هُولمز : « إنَّهُ صَديقي الدُّكْتور واطْسُن ، أ لَمْ تَسْمَعْ ؟ إنَّهُ يُساعِدُني في جَميعِ القَضايا الّتي أتَوَلّاها ، فَلا تَخَفْ !»

وَاطْمَأَنَّ الرَّجُلُ وَقالَ : « حَسَنٌ .» وَأَخَذَ يَحْكي قِصَّتَهُ ، فَقالَ : «كانَ يَعيشُ في وِلايَةِ كنساس بِأَمْريكا رَجُلٌ يُسَمّى غارِيدِب ، كَوَّنَ لِنَفْسِهِ ثَرْوَةً طائِلَةً عَنْ طَريقِ بَيْعِ وَشِراءِ العَقاراتِ وَالأَراضي الزِّراعِيَّةِ ، وَاشْتَغَلَ بِتِجارَةِ القَمْحِ ، فَتَضاعَفَتْ ثَرْوَتُهُ ، وَ اشْتَرى مَزْرَعَةً ضَخْمَةً اسْتَغَلَّها في تَرْبِيَةِ الأَغْنامِ وَالماشِيَةِ وَالاتِّجارِ فيها ، حَتّى أَصْبَحَ مِنْ رِجالِ الأَعْمالِ المَرْموقينَ في وِلايَةِ كنساس . غَيْرَ أنَّهُ كانَ وَحيداً إذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَقارِبُ يَرِثونَهُ ، وَكانَ مُعْتَزًّا بِاسْمِهِ الغَريبِ اعْتِزازاً شَديداً :

« وَذاتَ يَوْمٍ زارَني في مَكْتَبي وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ الفَرَحِ وَالابْتِهاجِ ، وَقالَ إنَّهُ سَعيدٌ لأنَّهُ يَلْتَقي لأَوَّلِ مَرَّةٍ في حَياتِهِ بِرَجُلٍ آخَرَ يَحْمِلُ اسْمَهُ . وَطَلَبَ مِنّي بِإلْحاحٍ أنْ أَبْحَثَ لَهُ عَنْ رِجالٍ آخَرينَ يَحْمِلونَ نَفْسَ الاسْمِ ، غَيْرَ أنّي اعْتَذَرْتُ لَهُ حينَئِذٍ لانْشِغالي بِالمُحاماةِ الّتي تَسْتَنْفِدُ كُلَّ وَقْتي .»

وَسكَتَ الرَّجُلُ هُنيهَةً ، ثُمَّ واصلَ الكَلامَ : « وَمُنْذُ عام تَقْريباً ماتَ هذا الثَّريُّ ، وَتَركَ وَصيَّةً قَسَّمَ فيها أمْلاكَهُ إلى ثَلاثَةِ أجْزاءٍ مُتَساوِيَةٍ ، خَصَّصَ أحَدَها لي بِشَرْطِ أنْ أجِدَ شَخْصَيْنِ آخَرَيْنِ يَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهُما اسْمَ غاريدِب ؛ لِيَحْصُلا عَلى الجُزْءَيْنِ الباقِيَيْنِ . وَتَبْلُغُ قيمَةُ كُلِّ جُزْءٍ مِنْ هذِهِ الأجْزاءِ الثَّلاثَةِ خَمْسَةَ مَلايينَ مِنَ الدّولاراتِ . وَاشْتَرَطَ أنْ لا تُنَفَّذَ هذِهِ الوَصيَّةُ إلّا بَعْدَ العُثورِ عَلى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ .»

وَسكَتَ الرَّجُلُ لِيَرْشُفَ قَليلاً مِنَ الشّاي الَّذي قُدِّمَ لَهُ ، ثُمَّ عادَ يَقولُ : « وَهكَذا تَرَكْتُ ، يا سَيِّدي ، عَمَلي في المُحاماةِ ، وَأخَذْتُ أتَجَوَّلُ بَحْثاً عَنْ رَجُلَيْنِ يَحْمِلانِ اسْمَ غاريدِب ، بَعْدَ أنْ يَئِسْتُ مِنْ وُجودِهِما في أمْريكا . وَصادَفَني الحَظُّ هُنا في بَلَدِكُمْ ؛ فَقَدْ عَثَرْتُ عَنْ طَريقِ دَليلِ التِّليفوناتِ عَلى شَخْصٍ اسْمُهُ غاريدِب ، فَأسْرَعْتُ مُنْذُ يَوْمَيْنِ إلى زِيارَتِهِ ، وَحَكَيْتُ لَهُ القِصَّةَ فَفَرِحَ لِهذِهِ المُفاجَأةِ السّارَّةِ ، وَ وَعَدَ بِأنْ يَتَعاوَنَ مَعي في البَحْثِ عَنِ الرَّجُلِ الثّالِثِ . وَقَدْ عَلِمْتُ مِنْهُ اليَوْمَ أنَّهُ اتَّصلَ بِكَ ، وَأنَّكَ قَدْ أبْدَيْتَ لَهُ الاسْتِعْدادَ لِتَقْديمِ العَوْنِ ، وَلِهذا فَإنّي أعِدُكَ بِتَحَمُّلِ جَميعِ النَّفَقاتِ الَّتي سَوْفَ تَتَكَبَّدُها .»

وَنَظَرَ هُولمز إلَيَّ ثُمَّ قالَ : « إنَّها قِصَّةٌ طَريفَةٌ يا واطْسُن ! » ثُمَّ نَظَرَ

إلى الرَّجُلِ قائِلاً : « أقْتَرِحُ أنْ تَبْدأ خُطَّتَكَ بِنَشْرِ إعْلانٍ في الصُّحُفِ .»

أسْرَعَ الرَّجُلُ يَقولُ : « لَقَدْ فَعَلْتُ هذا ، يا سَيِّدُ هُولمز ، مُنْذُ مُدَّةٍ، وَلكِنَّني لَمْ أصِلْ إلى أيَّةِ نَتيجَةٍ .»

وَأبْدى هُولمز أسَفَهُ لِذلِكَ قائِلاً : « لَقَدْ تَكَبَّدْتَ ، يا سَيِّدُ غاريدِب، المَشَقَّةَ بِحُضورِكَ إلى هُنا مِنْ وِلايَةِ كنساس دونَ جَدْوى . وَلَقَدْ كانَ لي في تِلْكَ الوِلايَةِ صَديقٌ يُدْعى الدُّكْتور ستار ، كانَ عُضْواً في مَجْلِسِ الوِلايَةِ مُنْذُ عامِ ١٨٩٠ ، وَلكِنّي عَلِمْتُ أخيراً أنَّهُ ماتَ .»

قالَ غاريدِب : « إنّي أعْرِفُ هذا الرَّجُلَ خَيْرَ مَعْرِفَةٍ ، فَقَدْ كانَ فاضِلاً ، يُحِبُّهُ الجَميعُ ، وَقَدْ أسِفَ النّاسُ لِوَفاتِهِ .»

وَتَرَكَنا الرَّجُلُ وَخَرَجَ بَعْدَ أنْ وَعَدَ بِالاتِّصالِ بِنا كُلَّما جَدَّ جَديدٌ.

جَلَسَ هُولمز صامِتاً يُدَخِّنُ غَلْيونَهُ ، ثُمَّ قالَ : « إنّي لأتَعَجَّبُ لِهذا الرَّجُلِ ! وَأعْتَقِدُ أنَّهُ خَدَعَنا بِأكاذيبِهِ . إنَّهُ يَعيشُ في إنْجِلْترا مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ ، وَقَدْ عَرَفْتُ ذلِكَ مِنْ طِرازِ مَلابِسِهِ ، وَإنْ كانَتْ لَهْجَةُ حَديثِهِ تَدُلُّ عَلى أنَّهُ مُواطِنٌ أمْريكيٌّ . وَمِنْ ناحِيَةٍ أخْرى تَبَيَّنْتُ أنَّهُ كاذِبٌ

عِنْدَما اخْتَرَعْتُ لَهُ قِصَّةَ صَديقي ستار ، فَأنا لا أعْرِفُ رَجُلاً بِهذا الاِسْمِ عَلى الإطْلاقِ ، وَلكِنَّهُ وافَقَني وَادَّعى صِلَتَهُ بِهذا الرَّجُلِ المَزْعومِ ! أمّا ادِّعاؤُهُ بِأنَّهُ قَدْ أعْلَنَ في الصُّحُفِ فَهذا أيْضاً مَحْضُ افْتِراءٍ . لأنَّكَ تَعْلَمُ ، يا واطْسُن ، أنّي أتابِعُ كُلَّ ما يُنْشَرُ في الصُّحُفِ بِدِقَّةٍ ، لأنَّ هذا كَثيراً ما يُفيدُني في كَشْفِ أسْرارِ الجَرائِمِ .»

وَسَكَتَ هولْمز قَليلاً ثُمَّ عادَ يَقولُ : « إنَّ الَّذي يُحَيِّرُني حَقّا هُوَ تِلْكَ القِصَّةُ الَّتي رَواها هذا الرَّجُلُ ، عَنْ ذلِكَ الأمْريكيِّ الثَّرِيِّ الَّذي يُدْعى غارِيدِب ، وَعَلى أيَّةِ حالٍ فَإنّي لا أُصَدِّقُهُ ، وَأعْتَقِدُ أنَّ وَراءَهُ خُطَّةً يُحاوِلُ أنْ يَحيكَ خُيوطَها الآنَ لاِرْتِكابِ جَريمَةٍ ، وَأرى أنْ نَتَّصِلَ بِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذي يُدْعى ناثان غارِيدِب ، وَكُلُّ ما أرْجوهُ أنْ لا يَكونَ هُوَ الآخَرُ كاذِباً .»

وَطَلَبَ مِنّي هولْمز أنْ أتَّصِلَ بِالرَّجُلِ تِليفونِيًّا ، فَرَدَّ عَلَيَّ بِصَوْتٍ ضَعيفٍ قائِلاً : « نَعَمْ . أنا ناثان غارِيدِب ! ماذا تُريدونَ ؟ وَمَنْ أنْتُمْ ؟»

وَشَرَحْتُ لَهُ الغَرَضَ مِنْ هذِهِ المُكالَمَةِ ، فَأبْدى رَغْبَتَهُ في أنْ يَتَحَدَّثَ إلى هولْمز الَّذي تَناوَلَ السَّمّاعَةَ مِنّي ، وَبَدَأ الكَلامَ مَعَهُ ،

وَسَمِعْتُهُ يَقولُ : « أعْتَقِدُ أنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ ؟ تَقولُ إنَّكَ اتَّصَلْتَ بِهِ مُنْذُ يَوْمَيْنِ فَقَطْ ؟! شَيْءٌ جَميلٌ حَقًّا أنْ تَظْفَرَ بِخَمْسَةِ مَلايينَ مِنَ الدّولاراتِ ! إذًا سَوْفَ أجِدُكَ بِمُفْرَدِكَ في البَيْتِ هذا المَساءَ . حَسَنٌ ! سَوْفَ أحْضُرُ وَمَعي صَديقي الدُّكْتور واطْسُن . نَعَمْ ، هذا المَساءَ في السّاعَةِ السّادِسَةِ . طَبْعًا لا تُخْبِرْ هذا المُحامِيَ الأمْريكِيَّ بِزِيارَتي هذِهِ . مَعَ السَّلامَةِ .»

وَحَلَّ المَساءُ ، وَكانَ الجَوُّ جَميلاً ، فَتَوَجَّهْنا إلى ذلِكَ الحَيِّ العَتيقِ ، حَيْثُ يوجَدُ بَيْتُ ناثان غارِيدِب . وَسَرْعانَ ما تَوَصَّلْنا إلى البَيْتِ عَنْ طَريقِ العُنْوانِ المَكْتوبِ في الخِطابِ ، الَّذي أرْسَلَ إلى هولْمز .

كانَ المَبْنى مُشَيَّداً بِالحِجارَةِ الحَمْراءِ الدّاكِنَةِ عَلى طِرازِ القَرْنِ الثّامِنَ عَشَرَ ، وَبِهِ مَدْخَلٌ واسِعٌ يَنْتَهي بِسُلَّمٍ عَريضٍ مِنَ الرُّخامِ الأبْيَضِ ، وَعُلِّقَتْ عَلى الجُدْرانِ لافِتاتٌ كُتِبَتْ عَلَيْها أسْماءُ السُّكّانِ ، وَمِنْ بَيْنِها واحِدٌ بِاسْمِ ناثان غارِيدِب . وَطَرَقَ هولْمز البابَ، الَّذي سَرْعانَ ما فَتَحَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ ، وَكانَ مُتَقَدِّمًا في السِّنِّ ، طَويلَ القامَةِ مُنْحَنِيَ الظَّهْرِ ، أصْلَعَ الرَّأْسِ ، غائِرَ العَيْنَيْنِ ، لَهُ لِحْيَةٌ كَلِحْيَةِ الجَدْيِ . وَرَحَّبَ الرَّجُلُ بِنا ، وَقادَنا إلى داخِلِ الدّارِ ، وَهُوَ يَعْتَذِرُ لأنَّ الخادِمَةَ قَدْ غادَرَتِ البَيْتَ مُنْذُ قَليلٍ ، وَهُوَ يَعيشُ بِمُفْرَدِهِ .

كانَتِ الغُرْفَةُ الَّتي قادَنا إلَيْها واسِعَةً ، مُكَدَّسَةً بِالصَّناديقِ الزُّجاجِيَّةِ وَالخَزائِنِ المَمْلوءَةِ بِالنَّباتاتِ المُجَفَّفَةِ ، وَالعِظامِ الَّتي طالَ عَلَيْها الزَّمَنُ ، وَقِطَعٍ مِنَ الأَحْجارِ ذاتِ الأَلْوانِ المُخْتَلِفَةِ ، إلى جانِبِ بَعْضِ الطُّيورِ وَالفَراشاتِ المُحَنَّطَةِ . وَكانَ بِوَسَطِ الغُرْفَةِ مِنْضَدَةٌ كَبيرَةٌ تَناثَرَتْ فَوْقَها بَعْضُ الكُتُبِ وَالمَناظيرِ المُكَبِّرَةِ ، وَصُنْدوقٌ بِهِ بَعْضُ العُمْلاتِ المَعْدِنِيَّةِ القَديمَةِ ، وَآخَرُ بِهِ آلاتٌ مِنَ العَصْرِ الحَجَرِيِّ ، وَإِناءٌ بِهِ أَزْهارٌ جَميلَةُ المَنْظَرِ. وَتَعَجَّبْنا لِتَنَوُّعِ الهِواياتِ الَّتي كانَتْ تَحْظى بِاهْتِمامِ هذا الرَّجُلِ المُسِنِّ ، وَالَّتي مِنْ أَجْلِها كَرَّسَ حَياتَهُ وَعَزَلَ نَفْسَهُ عَنِ المُجْتَمَعِ المُحيطِ بِهِ .

وَتَحَدَّثَ الرَّجُلُ عَنْ هذِهِ الهِواياتِ الَّتي تُكَلِّفُهُ الكَثيرَ مِنَ المالِ وَالجُهْدِ ، وَالَّتي لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَعيشَ بِدونِها ، وَقالَ : « إنَّ الأَمَلَ الَّذي أَدْخَلَهُ المُحامي الأَمْريكِيُّ إلى قَلْبي ، قَدْ مَلأَني فَرَحاً ، فَإِذا حَصَلْتُ عَلى المالِ الَّذي وُعِدْتُ بِهِ فَسَوْفَ أَقْتَني مَجْموعاتٍ أُخْرى قَيِّمَةً ، تُضَمُّ إلى ما عِنْدي . إنَّني موقِنٌ مِنْ أَنَّ هذا الأَمْريكِيَّ لا يَكْذِبُ عَلَيَّ وَلا يَخْدَعُني ، وَعَلى أَيَّةِ حالٍ فَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَتَّصِلَ بِكَ لِلاسْتِعانَةِ بِمَشورَتِكَ ، يا سَيِّدُ هولْمز .»

قالَ هولْمز : « فَعَلْتَ حَسَناً ، يا سَيِّدي .»

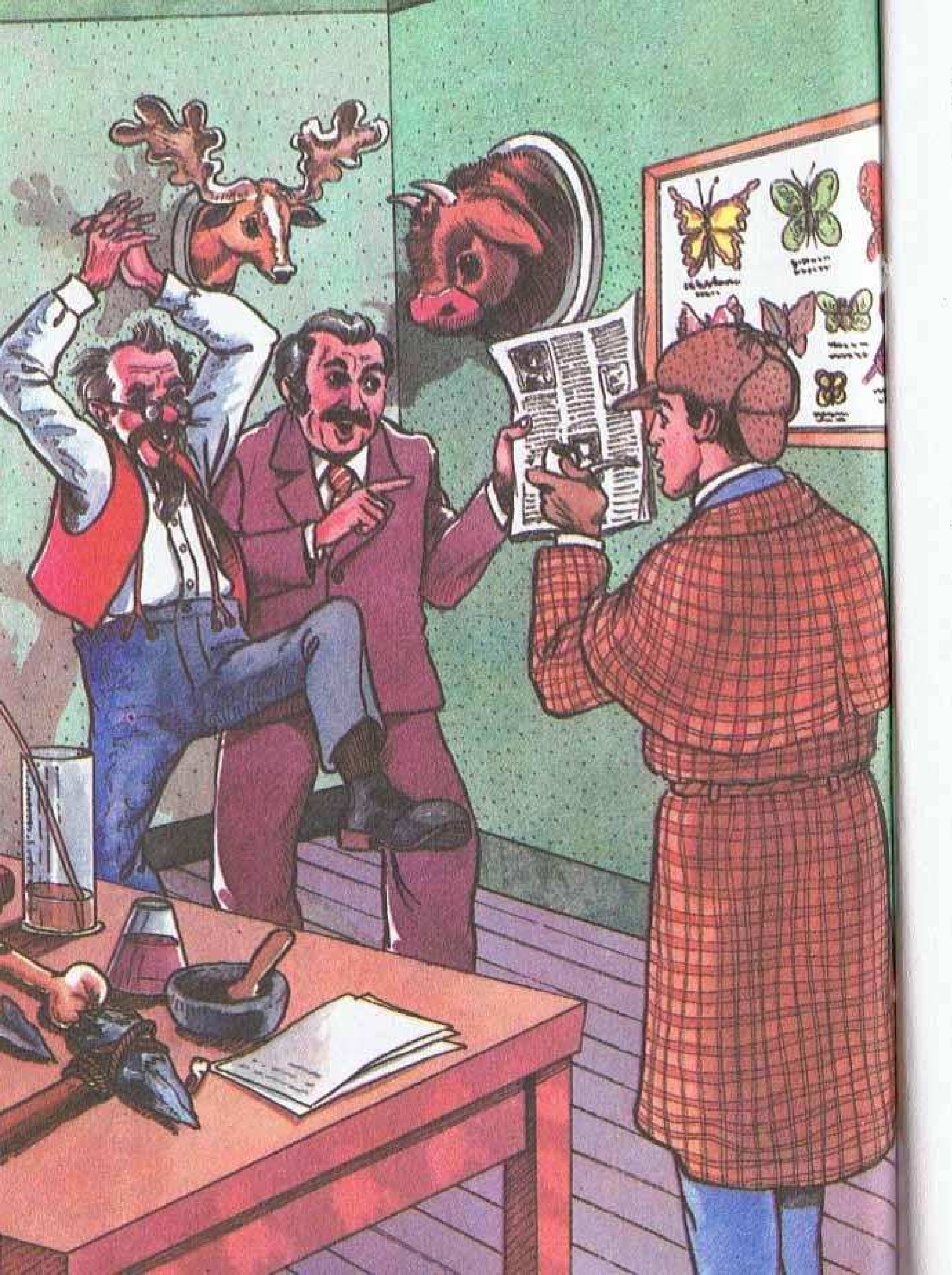
وَ واصَلَ السَّيِّدُ ناثان غاريدِب الحَديثَ فَقالَ : « لَقَدْ وَعَدَني السَّيِّدُ جون غاريدِب بِشِراءِ حِصَّتي في الوَصِيَّةِ عِنْدَما يَتِمُّ تَنْفيذُها ، وَتَعَهَّدَ بِأَنْ يَدْفَعَ لي خَمْسَةَ مَلايينَ مِنَ الدّولاراتِ ثَمَناً لَها ، وَهذا عَرْضٌ سَخِيٌّ وَمُناسِبٌ لي ، إذْ إنَّني لا أَوَدُّ أَنْ أَتْرُكَ هِواياتي هذِهِ لِكَيْ أُسافِرَ إلى أَمْريكا لإِدارَةِ مُمْتَلَكاتي ، كَما أَنّي لا أُحِبُّ أَنْ أَتْرُكَ هذا البَيْتَ القَديمَ ، أَوْ أُغادِرَ وَطَني مَهْما كانَتِ الظُّروفُ .»

وَكانَ مِنَ الواضِحِ أَنَّ السَّيِّدَ ناثان غاريدِب عَلى أَتَمِّ الاسْتِعْدادِ لاحْتِمالِ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ المَصاعِبِ ؛ لِلْعُثورِ عَلى الشَّخْصِ الثّالِثِ الَّذي يَحْمِلُ اسْمَ غاريدِب ، حَتّى يَتَمَكَّنَ مِنَ الحُصولِ عَلى الثَّرْوَةِ الَّتي وُعِدَ بِها . وَنَظَرَ إلَيْهِ هولْمز نَظْرَةَ اسْتِفْسارٍ ، ثُمَّ قالَ : « أَوَدُّ أَنْ أَسْتَفْسِرَ مِنْكَ ، يا سَيِّدُ غاريدِب ، عَنْ بَعْضِ الأَشْياءِ الَّتي لَمْ تَذْكُرْها في خِطابِكَ الَّذي بَعَثْتَ بِهِ إلَيَّ ، فَأَنْتَ بِالطَّبْعِ لَمْ تَكُنْ لَكَ سابِقُ مَعْرِفَةٍ بِهذا المُحامي الأَمْريكِيِّ .»

قالَ الرَّجُلُ : « فِعْلاً ، فَقَدْ تَعَرَّفْتُ عَلَيْهِ يَوْمَ الثُّلاثاءِ الماضي حينَ قَدِمَ لِمُقابَلَتي .»

سَأَلَهُ هولْمز : « هَلْ تَحَدَّثَ إلَيْكَ عَنْ زِيارَتِهِ لي صَباحَ اليَوْمِ .»

أَجابَ الرَّجُلُ : « أَجَلْ . وَمِنَ الغَريبِ أَنَّهُ غَضِبَ مِنّي حينَ



ذَكَرْتُ لَهُ أَنِّي اتَّصَلْتُ بِكَ بِشَأْنِ هذا المَوْضوعِ ، وَاعْتَبَرَ ذلِكَ إِهانَةً كَبيرَةً لَهُ . وَلكِنَّهُ لَمّا عادَ مِنْ عِنْدِكَ بَدا مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ ، فَأَيْقَنْتُ أَنَّهُ قَدِ اطْمَأَنَّ إِلَيْكَ .»

أَخَذَ الرَّجُلُ يُجيبُ عَنِ الأَسْئِلَةِ الَّتي وَجَّهَها إِلَيْهِ هُولمز ، فَقالَ إِنَّهُ يَعيشُ عيشَةً آمِنَةً بِمُفْرَدِهِ في هذا البَيْتِ مُنْذُ خَمْسِ سَنَواتٍ ، وَلا يَخْشى أَنْ يَنْقَضَّ عَلَيْهِ اللُّصوصُ ، لأَنَّهُ لا يَمْلِكُ غَيْرَ هذِهِ المَجْموعاتِ العِلْمِيَّةِ الَّتي لا تَسْتَرْعي انْتِباهَهُمْ . وَأَسْهَبَ الرَّجُلُ في الحَديثِ عَنْ هِواياتِهِ إِلى أَنْ سَمِعْنا دَقّاتٍ عَلى البابِ ، فَقامَ وَفَتَحَهُ فَإِذا بِالمُحامي الأَمْريكِيِّ يَنْدَفِعُ إِلى الدّاخِلِ مُمْسِكاً بِيَدِهِ صَحيفَةً يُلَوِّحُ بِها في فَرَحٍ وَابْتِهاجٍ ، وَيَقولُ : « أَبْشِرْ ، يا سَيِّدُ غاريدب ! لَقَدْ أَصْبَحْتَ فِعْلاً مِنَ الأَثْرِياءِ ، وَكُلِّلَتْ مُهِمَّتُنا بِالنَّجاحِ !» ثُمَّ وَجَّهَ الكَلامَ إِلى هُولمز قائِلاً : « نَحْنُ نَشْكُرُكَ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، فَإِنَّنا لَمْ نَعُدْ في حاجَةٍ إِلى مُعاوَنَتِكَ ، بَعْدَ أَنْ وَجَدْنا الرَّجُلَ الَّذي نَبْحَثُ عَنْهُ .»

وَأَشارَ بِيَدِهِ إِلى إِعْلانٍ ، طَلَبَ مِنّا أَنْ نَقْرَأَهُ ، وَقَدْ جاءَ فيهِ :

هَوارد غاريدب – لِصِناعَةِ الآلاتِ الزِّراعِيَّةِ : المَحاريثُ البُخارِيَّةُ وَاليَدَوِيَّةُ وَعَرَباتُ المُزارِعينَ – بِرْمِنْغهام .

وَغمرَ الفرحُ صاحبَ الدّارِ فَأخذَ يَصيحُ : « هذا رائعٌ ! لَقَدْ أصْبَحْتُ غنياً ! أَسْرِعْ بِربِّكَ بِالاتِّصالِ بِهِ .»

قالَ الأمْريكِيُّ : « لَقَدْ كَتَبْتُ فِعلاً إِلَيْهِ ، وَأَبْلَغْتُهُ بِأَنَّكَ سَوفَ تَتوجَّهُ إلى بِرْمِنْغهام غَداً مساءً لِمُقابَلَتِه .»

وَعادَ صاحبُ الدّارِ إلى هُدوئِهِ ، وَقالَ بِدَهْشَةٍ : « أ تُريدُني أنْ أتوجَّهَ لِمُقابَلَةِ هذا الرَّجُلِ ؟»

أجابَ الأمْريكيُّ : « وَما الغرابَةُ في هذا ؟ إنَّكَ مُواطِنٌ إنْجليزيٌّ، لكَ احْترامُكَ في المُجْتَمعِ ، وَسَوْفَ يُصدِّقُكَ في الحالِ، أمّا أنا فَأجْنَبِيٌّ ، وَمِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِ أنْ يُصدِّقَ ما أقولُهُ عَنْ تِلْكَ القِصَّةِ الغَريبَةِ . وَعلى أيَّةِ حالٍ كُنْتُ أودُّ أنْ أذْهَبَ مَعَكَ غَداً ، غَيْرَ أنّي مَشْغولٌ بِدَرجَةٍ كَبيرَةٍ ، وَلكِنْ سَوْفَ أحاوِلُ أنْ ألْحَقَ بِكَ مَتى انْتَهَيْتُ مِنْ أعْمالي .»

وَحاوَلَ السَّيِّدُ ناثان غاريدب أنْ يَعْتَذِرَ ، وَلكِنَّ الأمْريكِيَّ ألَحَّ عَلَيْهِ ، وَقالَ : « إنّها مُهِمَّةٌ سَهْلَةٌ . عَلَيْكَ أنْ تُقابِلَ الرَّجُلَ وَتَحْكِيَ لَهُ القِصَّةَ ، وَتَأْخُذَ مِنْهُ إقْراراً كِتابِياً بِوُجودِهِ عَلى قَيْدِ الحَياةِ ، وَهذا شَيْءٌ بَسيطٌ بِالقِياسِ إلى ما تَحمَّلْتُهُ أنا مِنْ مَشَقَّةٍ ، لِلْبَحْثِ عَنْ شَريكَيْنِ لِكَيْ تُنفَّذَ الوَصِيَّةُ .»

قالَ هُولمز : « إنَّ السَّيِّدَ جُون غاريدب مُصيبٌ .»

عِنْدَئِذٍ قالَ صاحِبُ الدّارِ إنَّهُ سَوفَ يَقومُ بِهذِهِ المُهِمَّةِ ، ما دامَتْ تَهْدِفُ إلى تَحْقيقِ أمَلِهِ في الثَّرْوَةِ . فَطَلَبَ مِنْهُ هُولمز أنْ يُبَلِّغَهُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ بِما أسْفَرَتْ عَنْهُ هذِهِ الرِّحْلَةُ .

وَقالَ الأمريكِيُّ إنَّهُ سَوْفَ يَحْضُرُ في اليَوْمِ التّالي لِمُصاحَبَةِ ناثان غاريدب إلى المَحطَّةِ لِتَوْديعِهِ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ في الخُروجِ وَغادَرَ البَيْتَ .

وَدَعانا السَّيِّدُ ناثان غاريدب إلى مُشاهَدَةِ مَجْموعاتِهِ العِلْمِيَّةِ ، وَلكِنَّ هُولمز اعْتَذَرَ لِضيقِ الوَقْتِ ، وَ وَعَدَ بِأنْ يَحْضُرَ في اليَوْمِ التّالي لِرُؤْيَتِها أثْناءَ غِيابِهِ في رِحْلَتِهِ إلى بِرْمِنْغهام ، فَوافَقَ الرَّجُلُ وَ وَعَدَنا بِإبْلاغِ خادِمَتِهِ بِأنْ تَسْمَحَ لَنا بِدُخولِ البَيْتِ أثْناءَ غِيابِهِ . وَطَلَبَ هُولمز مِنْهُ أنْ يَدُلَّهُ عَلى المَكْتَبِ الَّذي اسْتَأْجَرَ مِنْهُ هذا المَكانَ ، لأنَّهُ مُهْتَمٌّ بِمَعْرِفَةِ تَواريخِ المَباني ، فَأعْطاهُ عُنْوانَهُ . ثُمَّ غادَرْنا البَيْتَ عائِدَيْنِ إلى دارِ هُولمز ، حَيْثُ اسْتَلْقَيْنا في الفِراشِ لِنَأْخُذَ قِسْطاً مِنَ الرّاحَةِ .

وَفَجْأةً قالَ هُولمز : « أ لَمْ تَلْحَظْ شَيْئاً ، يا واطْسن ، في الإعْلانِ المَنْشورِ في صَحيفَةِ بِرْمِنْغهام ؟»

وَأجَبْتُ بِأنّي لَمْ ألْحَظْ شَيْئًا غَيْرَ عادِيٍّ ، فَقالَ : « إنَّ كَلِمَةَ مَحاريتَ خَطَأٌ ، وَنَقَلَها عامِلُ المَطْبَعَةِ كَما وَجَدَها في الوَرَقَةِ الّتي قُدِّمَتْ لَهُ ، وَلَمْ يُحاوِلْ تَصْحيحَها . وَأعْتَقِدُ أنَّ المُحامِيَ الأمْريكِيَّ هُوَ الّذي كَتَبَ هذا الإعْلانَ بِنَفْسِهِ ، وَنَشَرَهُ في هذِهِ الصَّحيفَةِ حَتّى يُهَيِّئَ سَبَبًا يُبْعِدُ بِهِ ناثان غاريدب عَنْ بَيْتِهِ ، وَلَوْ لِيَوْمٍ واحِدٍ ، عِنْدَ قِيامِهِ بِرِحْلَتِهِ إلى بِرْمِنْغهام . إنَّ غَدًا يَوْمُ عَمَلٍ جادٍّ ، وَعَلَيْنا أنْ نَأْخُذَ أكْبَرَ قِسْطٍ مِنَ الرّاحَةِ الآنَ .»

وَ في اليَوْمِ التّالي خَرَجَ هُولمز مُبَكِّرًا ، وَ بَقيتُ بِمُفْرَدي في البَيْتِ أنْتَظِرُ عَوْدَتَهُ . وَ مَعَ دَقّاتِ السّاعَةِ الواحِدَةِ بَعْدَ الظُّهْرِ سَمِعْتُ البابَ يُفْتَحُ ، وَ رَأيْتُ هُولمز يَدْخُلُ عابِسَ الوَجْهِ مُقَطَّبَ الجَبينِ ، وَ حينَما رَآني بادَرَني بِقَوْلِهِ : « إنَّ الأمْرَ أخْطَرُ مِمّا تَوَقَّعْتُ ، يا واطْسُن ! إنَّ جُون غاريدب هذا لَيْسَ إلا السَّفّاحَ إيڤانز ، وَهُوَ مُجْرِمٌ شِرّيرٌ مَعْروفٌ لَدى رِجالِ سكُوتْلانْد يارْد !»

وَلَمْ أكُنْ قَدْ سَمِعْتُ بِهذا المُجْرِمِ مِنْ قَبْلُ ، وَلكِنَّ هُولمز ذَكَرَ أنَّهُ اطَّلَعَ عَلى مِلَفِّهِ في سكُوتْلانْد يارْد ، وَشاهَدَ صورَتَهُ فَعَرَفَهُ في الحالِ ، وَقالَ إنَّ سِجِلَّهُ مَشْحونٌ بِالجَرائِمِ الّتي ارْتَكَبَها طَوالَ حَياتِهِ . وَهُوَ أمْريكِيُّ الجِنْسِيَّةِ ، وُلِدَ في شيكاغو ، وَيَبْلُغُ الرّابِعَةَ وَالأرْبَعينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَجاءَ إلى لَنْدَن عامَ ١٨٩٣ عَقِبَ خُروجِهِ مِنَ السِّجْنِ

في أمْريكا . وَفي أحَدِ المَلاهي اللَّيْلِيَّةِ أطْلَقَ الرَّصاصَ عَلى رَجُلٍ فَأرْداهُ قَتيلاً ، وَكانَ هذا القَتيلُ مُجْرِمًا خَطيرًا يُدْعى بِرِسْكُوت ، وَحُكِمَ عَلى إيڤانز بِالسِّجْنِ خَمْسَ سَنَواتٍ . وَقَدْ أتَمَّ المُدَّةَ في العامِ الماضي ، وَهُوَ الآنَ مَوْضوعٌ تَحْتَ مُراقَبَةِ رِجالِ الشُّرْطَةِ . وَقَدْ تَوَجَّهَ هُولمز إلى المَكْتَبِ الّذي اسْتَأْجَرَ مِنْهُ ناثان غاريدب مَسْكَنَهُ ، وَعَلِمَ أنَّ هذا المَسْكَنَ كانَ يُقيمُ فيهِ رَجُلٌ أمْريكِيٌّ يُدْعى بِرِسْكُوت ، وَهُوَ الرَّجُلُ الّذي قَتَلَهُ إيڤانز وَ سُجِنَ بِسَبَبِهِ .

وَخَتَمَ هُولمز حَديثَهُ قائِلاً : « لا بُدَّ إذًا ، يا واطْسُن ، مِنْ مَعْرِفَةِ العَلاقَةِ الّتي تَرْبِطُ بَيْنَ هذِهِ القِصَّةِ وَالبَيْتِ الّذي يَسْكُنُهُ السَّيِّدُ ناثان غاريدب ، وَيَحْتَفِظُ فيهِ بِمَجْموعاتِهِ العِلْمِيَّةِ .»

وَجَلَسَ هُولمز ساكِنًا لا يَتَكَلَّمُ ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ قامَ وَأخْرَجَ مُسَدَّسًا مِنْ دُرْجِ مَكْتَبِهِ ، وَسَلَّمَهُ إلَيَّ قائِلاً : « خُذْ ، يا واطْسُن ، هذا المُسَدَّسَ حَتّى تَكونَ مُسْتَعِدًّا ، إذاحاوَلَ إيڤانز التَّصَدِّيَ لَنا !» وَخَرَجْنا مُتَّجِهَيْنِ إلى بَيْتِ ناثان غاريدب ، وَكانَتِ السّاعَةُ قَدْ قارَبَتِ الرّابِعَةَ مَساءً عِنْدَما وَصَلْنا إلى هُناكَ ، وَرَأيْنا الخادِمَةَ توشِكُ أنْ تُغادِرَ البَيْتَ ، وَسَمَحَتْ لَنا بِالدُّخولِ ، كَما أبْلَغَها سَيِّدُها ، ثُمَّ خَرَجَتْ وَتَرَكَتْنا وَحْدَنا ، وَبَدَأْنا نَكْتَشِفُ ما حَوْلَنا .

قالَ هُولْمز : « إنَّ إيڤانز بَرْهَنَ على أنَّهُ يَتَميَّزُ بِذَكاءٍ خارِقٍ اخْتَرَعَ قِصَّةَ الوَصيَّةِ ، وَكَتَبَ هذا الإعْلانَ لِيَدْفَعَ صاحِبَ البَيْتِ لِلذَّهابِ إلى بِرْمِنْغْهام ؛ حَتّى يَخْلُوَ لَهُ المَكانُ . وَأنا موقِنٌ مِنْ أنَّهُ سَيَحْضُرُ بَعْدَ قَليلٍ .»

كُنْتُ أظُنُّ أنَّ إيڤانز يَطْمَعُ في المَجْموعاتِ العِلْمِيَّةِ الَّتي يَحْتَفِظُ بِها ناثان غارِيدب ، وَلكِنَّ هُولْمز لَمْ يُوافِقْني على هذا الرَّأيِ ، وَقالَ: « لا ، يا واطْسُن ، إنَّ الأمْرَ يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ خَطيرٍ ، فَأنا أُرَجِّحُ أنَّ ثَمَّةَ عَلاقَةً مُريبَةً كانَتْ تَرْبِطُ بَيْنَ إيڤانز السَّفّاحِ وَالمُجْرِمِ بِرِسْكُوت ، الَّذي قُتِلَ في أحَدِ المَلاهي اللَّيْلِيَّةِ . إنَّ بِرِسْكُوت هذا كانَ يَسْكُنُ هُنا ، وَلا بُدَّ أنَّهُ يُخْفي في هذا المَكانِ شَيْئًا يُهِمُّ إيڤانز ، لِذلِكَ عَمِلَ عَلى إبْعادِ صاحِبِ البَيْتِ عَنْهُ ؛ حَتّى يَتَمَكَّنَ مِنَ البَحْثِ عَمّا يُريدُ .»

وَسَمِعْنا صَوْتَ مِفْتاحٍ يَدورُ في قُفْلِ البابِ ، فَاخْتَبَأْنا وَراءَ إحْدى الخَزائِنِ صامِتَيْنِ ، وَبَعْدَ لَحْظَةٍ ظَهَرَ رَجُلٌ وَأخَذَ يَتَقَدَّمُ في حَذَرٍ إلى الدّاخِلِ ، وَسَرْعانَ ما تَبَيَّنّا أنَّهُ إيڤانز . وَأخَذَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَتأكَّدَ مِنْ خُلُوِّ المَكانِ ، ثُمَّ خَلَعَ مِعْطَفَهُ وَنَحّى جانِبًا المِنْضَدَةَ الَّتي كانَتْ تَتَوَسَّطُ الحُجْرَةَ ، وَأزاحَ السَّجّادَةَ الَّتي تَحْتَها . وَرَأيْناهُ يَرْفَعُ قِطْعَةً مُرَبَّعَةً مِنَ الأرْضِيَّةِ الخَشَبِيَّةِ ، فَظَهَرَتْ فَجْوَةٌ ، وَأضاءَ مِصْباحًا صَغيرًا

كانَ بِيَدِهِ ، وَأخَذَ يَنْزِلُ في الفَجْوَةِ حَتّى اخْتَفى مِنْ أمامِنا .

وَأمْسَكَ هُولْمز بِمُسَدَّسِهِ ، وَأسْرَعْنا نَحْوَ الحُفْرَةِ وَنَظَرْنا داخِلَها ، فَأحَسَّ إيڤانز بِوُجودِنا ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلاماتُ الغَضَبِ وَالاسْتِياءِ ، وَلكِنَّهُ تَظاهَرَ بِالهُدوءِ وَهُوَ يُخْرِجُ رَأسَهُ مِنَ الحُفْرَةِ ، وَيَقولُ : « لَقَدْ غَلَبْتَني ، يا هُولْمز ؛ فَقَدْ كُنْتُ واثِقًا مُنْذُ الوَهْلَةِ الأولى بِأنَّ أكاذيبي لَنْ تَخْدَعَكَ .» وَفَجْأةً أحْسَسْتُ بِضَرْبَةٍ خاطِفَةٍ مُؤْلِمَةٍ تُصيبُ قَدَمي مِنْ جَرّاءِ طَلْقَةِ مُسَدَّسٍ ، فَفَقَدْتُ تَوازُني وَهَوَيْتُ إلى الأرْضِ . وَسَرْعانَ ما شاهَدْتُ إيڤانز يَهْوي هُوَ الآخَرُ مُضَرَّجًا بِالدِّماءِ ، بَعْدَ أنْ أمْطَرَهُ هُولْمز بِوابِلٍ مِنَ الطَّلَقاتِ أصابَتْهُ في كَتِفِهِ فَشَلَّتْ حَرَكَتَهُ .

تَقَدَّمَ هُولْمز مِنّي ، وَانْحَنى عَلَيَّ بِرِفْقٍ وَهُوَ يَقولُ : « أرْجو أنْ لا تَكونَ إصابَتُكَ جَسيمَةً ، يا واطْسُن .»

وَكانَتْ عَيْناهُ مُغْرَوْرِقَتَيْنِ بِالدُّموعِ وَهُوَ يُحاوِلُ أنْ يُضَمِّدَ جُرْحي بِرِباطٍ كانَ مَعَهُ . أمّا أنا فَلَمْ أكُنْ مُهْتَمًّا بِإصابَتي هذِهِ بِقَدْرِ اهْتِمامي بِنَجاحِ مُهِمَّتِهِ ، فَقُلْتُ : « الأمْرُ بَسيطٌ ، يا هُولْمز ، لَيْسَ سِوى جُرْحٍ سَطْحِيٍّ .» وَرَدَّ عَلَيَّ بَعْدَ أنْ أكْمَلَ لَفَّ الرِّباطِ حَوْلَ قَدَمي : « الحَمْدُ لِلّهِ ! إنَّهُ جُرْحٌ سَطْحِيٌّ وَالرَّصاصَةُ لَمْ تَنْفُذْ إلى العَظْمِ .»

وَحَدَجَ إيڤانز بِبَصَرِهِ وَقالَ : « يا لَكَ مِنْ مَحْظوظٍ ! لَوْ أنَّ صَديقي هذا قُتِلَ ، لَخَرَجْتَ مِنْ هُنا جُثَّةً هامِدَةً !»

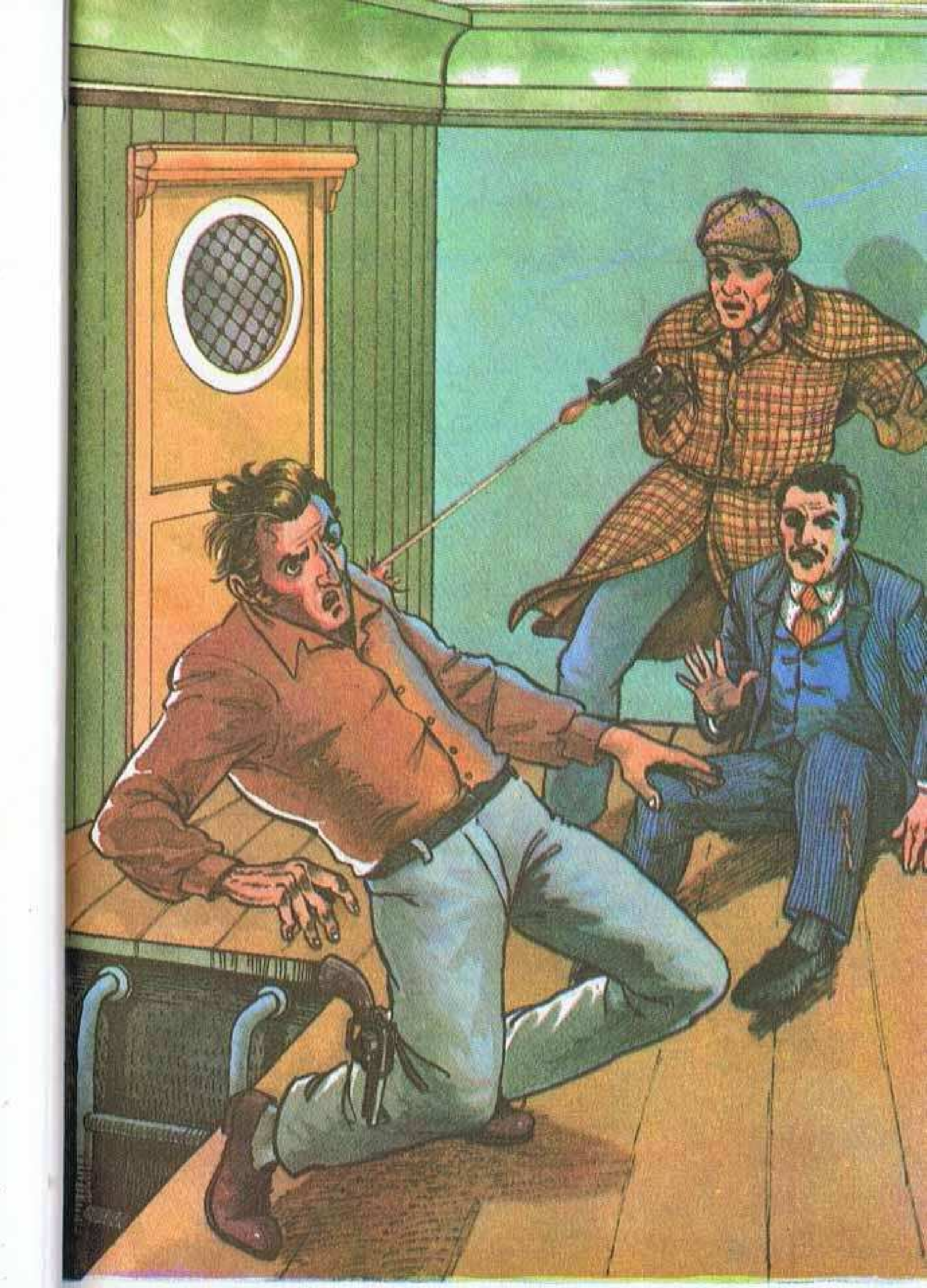
وَأعانَني عَلى الوُقوفِ ، وَقَدِ اسْتَنَدْتُ إلَيْهِ ، وَنَظَرْنا داخِلَ الحُفْرَةِ ، وَ كانَتْ لا تَزالُ مُضاءَةً بِمِصْباحِ إيڤانز ، فَوَجَدْنا مِنْضَدَةً رُصَّتْ فَوْقَها رُزَمٌ مِنَ الوَرَقِ وَالزُّجاجاتِ بِجانِبِ آلَةٍ مُتَوَسِّطَةِ الحَجْمِ ، فَسَأَلْتُ هُولمز : « ما هذا ؟»

أجابَني : « هذِهِ آلَةُ طِباعَةٍ لِتَزْييفِ النُّقودِ الوَرَقِيَّةِ .»

وَتَدَخَّلَ إيڤانز قائِلاً : « نَعَمْ ، هذِهِ آلَةُ طِباعَةٍ كَما ذَكَرْتَ، وَكانَ برِسْكُوت يَسْتَخْدِمُها في تَزْييفِ النُّقودِ الوَرَقِيَّةِ ، وَهذِهِ الأَوْراقُ المَرْصوصَةُ بِجانِبِها هِيَ عُمْلاتٌ تَمَّ طَبْعُها ، وَقيمَةُ كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْها مِئَةٌ مِنَ الجُنَيْهاتِ ، يُمْكِنُ بِها خِداعُ أيِّ إنْسانٍ ؛ نَظَراً لِدِقَّةِ إتْقانِ تَزْييفِها !»

وَنَظَرَ إيڤانز إلى هُولمز مُسْتَعْطِفاً وَقالَ : « هَيّا ، يا سَيِّدي ، نَتَقاسَمْ هذِهِ الأَوْراقَ ، وَلْيَذْهَبْ كُلٌّ مِنّا في طَريقِهِ ؛ فَلا أحَدَ يَرانا الآنَ .»

رَدَّ عَلَيْهِ هُولمز ساخِراً : « نَحْنُ لا نَفْعَلُ هذا في بِلادِنا ! لَقَدْ أطْلَقْتَ النّارَ ، يا إيڤانز ، مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ عَلى هذا المُزَيِّفِ ، أَلَيْسَ



كَذلِكَ ؟»

أجابَ الرَّجُلُ : « بلى ، وَسُجِنْتُ بِسَبَبِ ذلِكَ خَمْسَ سَنَواتٍ ، في الوَقْتِ الَّذي كانَ يَنْبَغي فيهِ أنْ يُقَدَّمَ إليَّ وِسامٌ مَلَكِيٌّ ؛ لأنّي خَلَّصْتُ البِلادَ مِنْ هذا الأفّاقِ المُزَيِّفِ !»

وَضَحِكَ هُولمز لِكَلامِهِ ، وَلكِنَّ الرَّجُلَ واصَلَ كَلامَهُ قائِلاً : «كانَ في إمْكاني أنْ أقْتُلَ غارِيدِب وَلكِنِّي لَمْ أفْعَلْ . وَكَما تَرى لَمْ أسْتَخْدِمْ هذِهِ الآلَةَ في التَّزْييفِ وَإغْراقِ الأسْواقِ بِإنْتاجِها ، وَلِهذا فَإنّي أرْجوكَ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، أنْ تُطْلِقَ سَراحي .»

رَدَّ عَلَيْهِ هُولمز قائِلاً : « هذا لَيْسَ مِنْ شَأني ، فَأنْتَ الآنَ مُتَّهَمٌ بِالشُّروعِ في قَتْلِ صَديقي .»

ثُمَّ نَظَرَ إليَّ وَقالَ : « أرْجو ، يا سَيِّدُ واطْسن ، الاتِّصالَ بِسكُوتْلانْد يارْد ، فَهُمْ في انْتِظارِ مُكالَمَةٍ مِنّا .»

تِلْكَ هِيَ الحَقائِقُ وَراءَ قِصَّةِ إيڤانز السَّفّاحِ الأمْريكِيِّ . أمّا ناثان فَقَدْ عَلِمْنا أنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ احْتِمالَ هذِهِ الصَّدْمَةِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ بِرْمِنْغهام . وَهُوَ الآنَ يُعالَجُ في أحَدِ المُسْتَشْفَياتِ الخاصَّةِ في لَنْدَن .

أخيرًا شَعَرَ رِجالُ سكُوتْلانْد يارْد بِارْتِياحٍ عَظيمٍ لِعُثورِهِمْ على

آلَةِ التَّزْييفِ ، بَعْدَ أنْ كادَ اليَأسُ يَسْتَوْلي عَلَيْهِمْ . وَقُدِّمَ إيڤانز لِلْمُحاكَمَةِ بِتُهْمَةِ الشُّروعِ في قَتْلي ، وَدَخَلَ السِّجْنَ مَرَّةً أخْرى .

مُغامَرةُ ويستِريا لودْج

كانَ يَوْمًا عاصِفًا في أواخِرِ أيّامِ شَهْرِ مارِس ، وَكُنّا نَتَناوَلُ طَعامَ الغَداءِ عِنْدَما تَلَقّى شِرْلوك هولمز بَرْقِيَّةً جاءَ فيها : « وَقَعَ لِيَ الآنَ حادِثٌ غَريبٌ . هَلْ لي أنْ أحْضُرَ لِمُقابَلَتِكَ . سكُوت إكِلز – مَكْتَبُ بَريدِ تشيرنغ كروس . »

وَبَعْدَ قَليلٍ سَمِعْنا وَقْعَ أقْدامٍ عَلى السُّلَّمِ ، فَقالَ هُولمز : « ها هُوَ ذا صاحِبُ البَرْقِيَّةِ قَدْ جاءَ . »

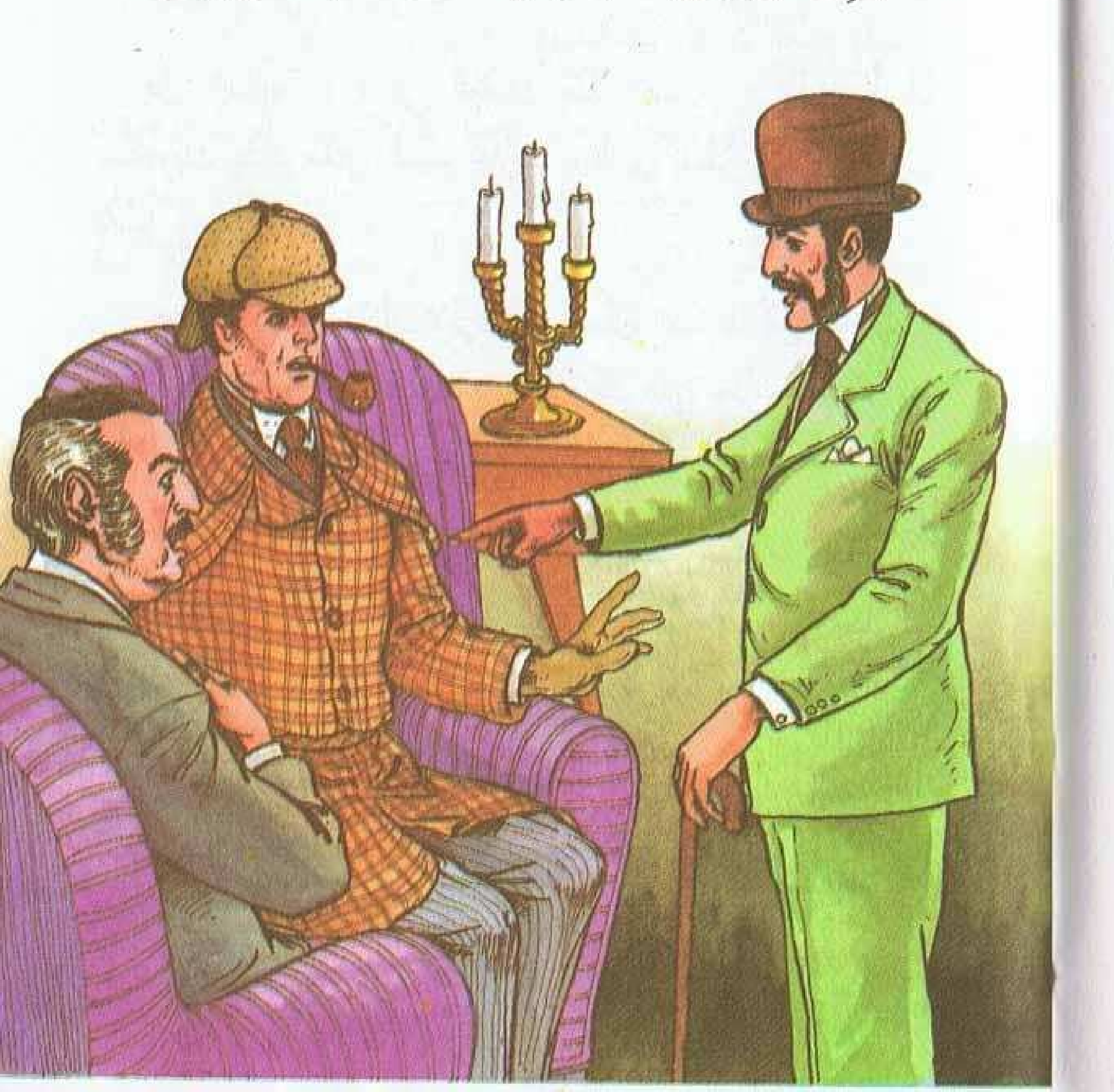
وَدَخَلَ الرَّجُلُ ، وَكانَ شَيْخًا وَقورًا طَويلَ القامَةِ بَدينًا .

بَدَأَ الرَّجُلُ حَديثَهُ فَقالَ : « وَقَعَ لِيَ اليَوْمَ ، يا سَيِّدُ هُولمز ، حادِثٌ غَريبٌ وَ مُزْعِجٌ لِلْغايَةِ ، فَبادَرْتُ بِالحُضورِ إلَيْكَ لِكَيْ تُفَسِّرَهُ لي . »

وَطَلَبَ مِنْهُ هُولمز أنْ يَسْتَريحَ ثُمَّ يَقُصَّ عَلَيْنا كُلَّ شَيْءٍ بِالتَّفْصيلِ ،

فَقالَ الرَّجُلُ : « لَيْسَ هُناكَ جَريمَةٌ فيما شاهَدْتُ ، فَحينَما اسْتَيْقَظْتُ وَجَدْتُ أشْياءَ غَريبَةً ، لِذلِكَ رَأَيْتُ أنْ أخْرُجَ مِنَ البَيْتِ في الحالِ . وَتَوَجَّهْتُ إلى مَكْتَبِ التَّأجيرِ فَعَرَفْتُ مِنْهُ أنَّ جارْسيا قَدْ دَفَعَ إيجارَ « ويسْتِريا لُودْج » لِعِدَّةِ أشْهُرٍ مُقَدَّمًا . »

ضَحِكَ هُولمز وَقالَ : « يا سَيِّدي ، لا تَبْدَأ القِصَّةَ مِنْ نِهايَتِها !



بَلْ رَتِّبِ الأفْكارَ وَابْدَأ مِنَ البِدايَةِ .» وَفي أثْناءِ ذلكَ حَضَرَ ضابِطٌ مِنَ الشُّرْطَةِ يُدْعى بِينز ، فَرَحَّبَ بِهِ هُولمز وَدَعاهُ لِلْجُلوسِ .

وَسَأَلَ الضّابِطُ إكلِز : « أَنْتَ السَّيِّدُ سكُوت إكلِز ، أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟»

أجابَ الرَّجُلُ : « بَلى .»

قالَ الضّابِطُ : « إنّي أتَعَقَّبُكَ مُنْذُ الصَّباحِ ؛ لأنَّنا نَوَدُّ أنْ نَسْتَجْوِبَكَ بِشأنِ مَقْتَلِ السَّيِّدِ جارْسيا ، الَّذي يَقْطُنُ البَيْتَ المَعْروفَ بِاسْمِ وِيسْتِريا لُودْج .»

حينَئِذٍ بَدا عَلى إكلِز الانْزِعاجُ ، وَسَأَلَ الضّابِطَ عَنْ تَفاصيلِ هذا الحادِثِ ؛ فَأَجابَهُ الضّابِطُ : « لَقَدْ عُثِرَ عَلى جارْسيا مَقْتولاً في العَراءِ ، وَيَبْدو أنَّ الجُناةَ قَدْ تَمَكَّنوا مِنْ قَتْلِهِ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ !»

قالَ هُولمز : « كانَ ضَيْفي يوشِكُ أنْ يَقُصَّ عَلَيْنا ما حَدَثَ في اللَّيْلَةِ الماضِيَةِ ، لَوْلا حُضورُكَ يا سَيِّدي . » ثُمَّ طَلَبَ إلى إكلِز أنْ يَتَمالَكَ أعْصابَهُ ، وَيَقُصَّ عَلَيْنا كُلَّ ما يَعْرِفُهُ عَنْ هذا الحادِثِ .

بَدَأَ الرَّجُلُ حَديثَهُ بِصَوْتٍ هادِئٍ فَقالَ : « أنا رَجُلٌ عَزَبٌ ، وَلي كَثيرٌ مِنَ الأصْدِقاءِ ، أحَدُهُمْ مُوَظَّفٌ مُتَقاعِدٌ اسْمُهُ ميلفيل يَعيشُ في

كنزنْغتُون ، وَقَدْ دَعاني هذا الصَّديقُ إلى بَيْتِهِ مُنْذُ عِدَّةِ أسابيعَ ، وَلَبَّيْتُ دَعْوَتَهُ . وَهُناكَ تَعَرَّفْتُ على زائِرٍ آخَرَ يُدْعى السَّيِّدَ جارْسيا ، يَعْمَلُ مُوَظَّفًا بِالسِّفارَةِ الإسْبانِيَّةِ في لَنْدَن ، وَيَبْدو أنَّهُ اسْتَلْطَفَني فَجاءَ لِزِيارَتي في بَيْتي بِمَدينَةِ لي ، فَرَحَّبْتُ بِهِ أجْمَلَ تَرْحيبٍ . وَعَرَفْتُ أنَّ لَهُ خادِمًا إسبانِيًّا مُخْلِصًا وَآخَرَ طَبّاخًا مِنْ هُنودِ أمْريكا . ثُمَّ دَعاني لِقَضاءِ بِضْعَةِ أيّامٍ في بَيْتِهِ المَعْروفِ بِاسْمِ وِيسْتِريا لُودْج .»

وَأشْعَلَ الرَّجُلُ سيجارًا ، ثُمَّ واصَلَ الكَلامَ : « لَبَّيْتُ الدَّعْوَةَ ، وَاسْتَأْجَرْتُ عَرَبَةً تَوَجَّهْتُ بِها إلى بَيْتِ الرَّجُلِ ، وَهُوَ يَقَعُ في مِنْطَقَةِ أوكْسشُوت القَريبَةِ مِنْ إيشِر ، الَّتي تَبْعُدُ حَوالَى ثَلاثَةِ كيلو مِتْراتٍ عَنْ لَنْدَن . وَعِنْدَما وَصَلْتُ اسْتَقْبَلَني غارْسيا عَلى بابِ وِيسْتِريا لُودْج ، وَكانَ بَيْتًا كَبيرًا مَبْنِيًّا عَلى الطِّرازِ القَديمِ ، وَرَحَّبَ بي تَرْحيبًا حارًّا ، وَأرْشَدَني الخادِمُ الإسْبانِيُّ إلى غُرْفَةِ النَّوْمِ الَّتي أعِدَّتْ لي . وَكانَ البَيْتُ كَئيبًا لا يُسْمَعُ فيهِ صَوْتٌ ، وَيُخَيِّمُ الحُزْنُ في أرْجائِهِ . وَقَدْ بَذَلَ غارْسيا قُصارى جَهْدِهِ لِلاحْتِفاءِ بي ، غَيْرَ أنَّ الطَّعامَ الَّذي قُدِّمَ لَنا عَلى العَشاءِ لَمْ يَكُنْ شَهِيًّا ، وَلَمْ يُحْسِنِ الخادِمُ تَقْديمَهُ إلَيْنا ؛ مِمّا جَعَلَني أفَكِّرُ في قَطْعِ الزِّيارَةِ في الصَّباحِ ، وَالعَوْدَةِ إلى بَيْتي .

« وَبَيْنَما نَحْنُ جُلوسٌ ، أحْضَرَ الخادِمُ إلى صاحِبِ البَيْتِ رِسالَةً

أخَذَ يَقْرأها في انْتباهٍ شَديدٍ ، وَقَدْ قَطَّبَ ما بين جَبينِهِ ، وَلَمّا انْتَهى
مِنْ قِراءَتِها أخَذَ يُدَخِّنُ سيجاراً في صَمْتٍ وَ إطْراقٍ . وَما كادَ اللَّيْلُ
يَنْتَصِفُ حَتّى اسْتَأذَنَ لِيَنامَ . وَتَوَجَّهْتُ إلى غُرْفَتي وَألْقَيْتُ بِنَفْسي
في الفِراشِ ، وَلَمْ ألْبَثْ أنِ اسْتَغْرَقْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ لَمْ أفِقْ مِنْهُ إلا
في الضُّحى . وَدَقَقْتُ الجَرَسَ لِيَأتِيَ الخادِمُ ، وَلكِنْ لَمْ يَحْضُرْ أحَدٌ ،
فَلَبِسْتُ مَلابِسي على عَجَلٍ وَنَزَلْتُ إلى الطّابَقِ الأرْضِيِّ ، فَلَمْ
أُصادِفْ أحَداً وَلَمْ أسْمَعْ صَوْتاً أوْ أُشاهِدْ حَرَكَةً في أيِّ مَكانٍ مِنَ
البَيْتِ . وَنادَيْتُ بِصَوْتٍ عالٍ عَلى الخادِمِ مَرَّةً وَعلى سَيِّدِهِ مَرَّةً أُخْرى
دونَ جَدْوى ، وَطَرَقْتُ بابَ الغُرْفَةِ الَّتي يَنامُ فيها غارْسيا فَلَمْ يَرُدَّ
عَلَيَّ أحَدٌ ، فَفَتَحْتُ بابَها فَوَجَدْتُها خالِيَةً وَفِراشَ السَّريرِ مُرَتَّباً لَمْ
يُسْتَعْمَلْ طَوالَ اللَّيْلِ . وَأدْرَكْتُ أنَّ غارْسيا وَخادِمَيْهِ قَدْ غادَروا
البَيْتَ ؛ فَكانَتْ نِهايَةَ زِيارَتي لِويسْتِريا لودْج .»

وَنَظَرَ هولْمز إلى الرَّجُلِ بِاهْتِمامٍ ، وَسَألَهُ : « ماذا فَعَلْتَ بَعْدَ
ذلِكَ ؟»

أجابَ : « غَضِبْتُ غَضَباً شَديداً ، وَاعْتَبَرْتُ ما حَدَثَ إهانَةً لي ؛
فَأسْرَعْتُ بِإعْدادِ حَقيبَتي وَغادَرْتُ البَيْتَ في الحالِ . وَقَرَّرْتُ أنْ أتَّجِهَ
إلى مَكْتَبِ التَّأجيرِ ، وَهُناكَ سَألْتُ عَنْ غارْسيا ، وَقَدْ ظَنَنْتُ أنَّهُ هَرَبَ
دونَ أنْ يَدْفَعَ الإيجارَ ، وَعَرَفْتُ أنَّ الرَّجُلَ قَدْ دَفَعَ الإيجارَ لِعِدَّةِ

أشْهُرٍ مُقَدَّماً .»

وَعُدْتُ إلى لَنْدَن ، وَعَرَّجْتُ عَلى السِّفارَةِ الإسْبانِيَّةِ لِكَيْ أسْألَ
عَنْ غارْسيا ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْروفاً هُناكَ . وَتَوَجَّهْتُ إلى البَيْتِ
الَّذي تَعَرَّفْتُ فيهِ إلَيْهِ فَلَمْ يُفِدْني أحَدٌ بِشَيْءٍ . وَأخيراً رَأيْتُ أنْ أتَّصِلَ
بِكَ بِناءً عَلى نَصيحَةِ أحَدِ الأصْدِقاءِ .»

سَكَتَ الرَّجُلُ قَليلاً ثُمَّ اتَّجَهَ إلى الضّابِطِ بينز قائِلاً : « تِلْكَ هِيَ
الحَقيقَةُ كَما أعْرِفُها ، يا سَيِّدي ، وَلَيْسَ لَدَيَّ أيَّةُ مَعْلوماتٍ عَنْ
غارْسيا أوْ حاشِيَتِهِ .»

قالَ الضّابِطُ : « نَحْنُ مُتأكِّدونَ مِنْ هذا ، يا سَيِّدُ إكِلْز ، وَلكِنِ
أوَدُّ أنْ تَذْكُرَ لَنا ما فَعَلَهُ غارْسيا ، بَعْدَ أنْ قَرَأَ الرِّسالَةَ الَّتي سَلَّمَها لَهُ
الخادِمُ .»

قالَ الرَّجُلُ : « ضَغَطَ عَلَيْها ، يا سَيِّدي ، بِيَدِهِ ثُمَّ ألْقى بِها في
النّارِ .»

وَأخْرَجَ الضّابِطُ بينز وَرَقَةً مِنْ جَيْبِهِ ، وَقالَ : « تِلْكَ هِيَ الرِّسالَةُ
الَّتي نَتَكَلَّمُ عَنْها ، وَجَدْتُها بِجانِبِ المِدْفَأةِ سَليمَةً ؛ لأنَّ غارْسيا لَمْ
يُحْسِنْ إلْقاءَها فيها .» وَقَرَأَ الرِّسالَةَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ ، وَقَدْ جاءَ فيها :

« نُذَكِّرُكَ بِالألوانِ الَّتي اتَّفَقْنا عَلَيْها : الأخضَرُ وَالأَبْيَضُ . الأخْضَرُ مَفْتوحٌ ، وَالأبْيَضُ مُغْلَقٌ . السُّلَّمُ الرَّئيسِيُّ ، المَمَرُّ الأَوَّلُ ، البابُ السّابِعُ إلى اليَمينِ لَوْنُهُ أخْضَرُ – د .» وَالرِّسالَةُ مُوَجَّهَةٌ إلى غارْسيا في وِيسْتِريا لُودْج ، وَقَدْ كُتِبَتْ بِخَطِّ امْرَأَةٍ .»

سَأَلَ إكِلْز الضّابِطَ : « ما الَّذي حَدَثَ لِغارْسيا ؟»

أجابَ الضّابِطُ : « وَجَدْناهُ صَباحَ اليَوْمِ مُهَشَّمَ الرَّأسِ مَقْتولاً في مَكانٍ مَهْجورٍ بِأُوكسْشُوت ، عَلى بُعْدِ ثَلاثَةِ كيلو مِتْراتٍ مِنْ بَيْتِهِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الجَرِيمَةَ لَمْ تَقَعْ بِغَرَضِ السَّرِقَةِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ كانَ في مَكانِهِ حَتّى النُّقودُ . وَلكِنَّنا وَجَدْنا في جَيْبِهِ خِطابَكَ الَّذي أَرْسَلْتَهُ ، يا سَيِّدُ إكِلْز ، وَمِنْهُ عَرَفْنا اسْمَهُ وَعُنْوانَهُ ، فَذَهَبْنا إلى بَيْتِهِ وَبَحَثْنا عَنْكَ هُناكَ فَلَمْ نَجِدْكَ ، غَيْرَ أَنَّ البَرْقِيَّةَ الَّتي أَرْسَلْتَها إلى السَّيِّدِ هُولْمز قَدْ أَرْشَدَتْنا إلى مَكانِكَ ، وَ كُلُّ ما أُريدُهُ مِنْكَ أَنْ تَحْضُرَ مَعي إلى مَرْكَزِ الشُّرْطَةِ ؛ لِنَسْمَعَ أَقْوالَكَ في هذا المَوْضوعِ .» وَ خَرَجَ الضّابِطُ وَ مَعَهُ إكِلْز .

فِي المَساءِ وَأَثْناءَ تَناوُلِ الشّاي ، قالَ هُولْمز : « ما رَأْيُكَ ، يا واطْسُن ، في هذِهِ المُشْكِلَةِ ؟»

أَجَبْتُهُ : « أَعْتَقِدُ أَنَّ لِلْخادِمَيْنِ صِلَةً بِهذا الحادِثِ ، وَاخْتِفاؤُهُما

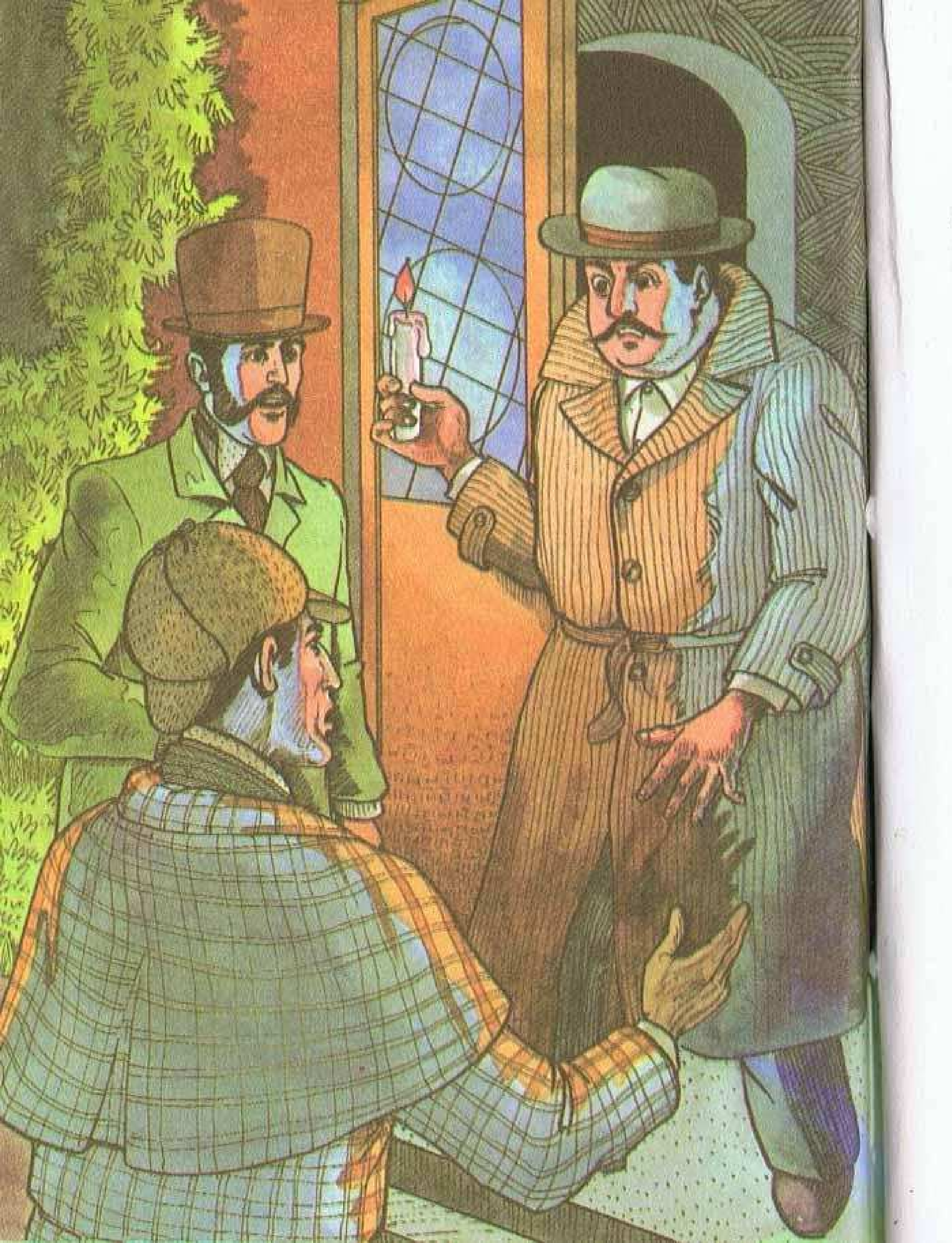
يُؤَيِّدُ هذا الرَّأْيَ .»

وَصَمَتَ هُولْمز قَليلاً ثُمَّ قالَ : « مِمّا يُحَيِّرُني ، يا واطْسُن ، أَنْ يَسْعى شابٌّ ذَكِيٌّ مِثْلُ غارْسيا لِصَداقَةِ كَهْلٍ يَبْدو عَلَيْهِ الغَباءُ مِثْلِ إكِلْز ، وَأَنا أُرَجِّحُ أَنَّهُ دَعاهُ إلى بَيْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؛ لِيَتَّخِذَ مِنْهُ شاهِداً عَلى وُجودِهِ مَعَهُ في ذلِكَ الوَقْتِ . إذاً لا بُدَّ أَنَّهُ كانَتْ ثَمَّةَ مُؤامَرَةٌ مُرَتَّبَةٌ لِارْتِكابِ جَريمَةٍ ما .»

وَسَأَلْتُ هُولْمز عَنِ الأَلْوانِ الَّتي جاءَ ذِكْرُها بِالرِّسالَةِ ، فَقالَ : « قَدْ تَكونُ إشارَةً لِأَمْرٍ ما . وَعَلى أَيَّةِ حالٍ سَوْفَ نَعْرِفُ الكَثيرَ عِنْدَما يَصِلُ الرَّدُّ عَلى البَرْقِيَّةِ الَّتي أَرْسَلْتُها مُنْذُ ساعَةٍ .»

وَجاءَ الرَّدُّ بَعْدَ قَليلٍ في بَرْقِيَّةٍ مُطَوَّلَةٍ ، تَحْتَوي عَلى مَجْموعَةٍ مِنَ الأَسْماءِ الغَريبَةِ لَمْ أَفْهَمْ مِنْها شَيْئاً ، وَلكِنَّ هُولْمز أَوْضَحَ لي فيما بَعْدُ أَنَّهُ أَرْسَلَ بَرْقِيَّةً إلى مَكْتَبِ تَأْجيرِ المِنْطَقَةِ ؛ فَأَرْسَلَتْ هذا الرَّدَّ ، وَهُوَ يَحْتَوي عَلى قائِمَةٍ بِأَسْماءِ البُيوتِ الكَبيرَةِ الواقِعَةِ في مِنْطَقَةِ أُوكسْشُوت .

وَفي المَساءِ ذَهَبْنا إلى قَرْيَةِ إيشِر بِصُحْبَةِ ضابِطِ الشُّرْطَةِ ، وَنَزَلْنا بِالفُنْدُقِ المَوْجودِ . وَبَعْدَ قَليلٍ تَوَجَّهْنا إلى وِيسْتِريا لُودْج ، وَكادَ الظَّلامُ يَكونُ مُنْتَشِراً لَوْلا ضَوْءٌ خافِتٌ يَنْبَعِثُ مِنْ إحْدى نَوافِذِ



الطَّابَقِ الأَرْضِيِّ لِلْبَيْتِ .

وَ قالَ الضَّابِطُ : « بِالبَيْتِ أَحَدُ رِجالِ الشُّرْطَةِ .»

ثُمَّ ذَهَبَ إلى النّافِذَةِ وَطَرَقَ عَلى زُجاجِها ، فَرَأَيْنا رَجُلَ الشُّرْطَةِ يَهُبُّ مَذْعوراً ، ثُمَّ فَتَحَ لَنا البابَ وَبِيَدِهِ شَمْعَةٌ مُضاءَةٌ ، فَسَأَلَهُ الضّابِطُ عَنْ سَبَبِ اضْطِرابِهِ ، فَقالَ : « لَقَدْ طالَ انْتِظاري في هذا المَكانِ المُنْعَزِلِ ، وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أَحْتَمِلَ ما يَحْدُثُ بَعْدَ الآنَ ! وَعِنْدَما طَرَقْتَ النّافِذَةَ ، يا سَيِّدي ، أَحْسَسْتُ أَنَّ الشَّيْطانَ قَدْ عادَ مَرَّةً أُخْرى !»

وَاسْتَفْسَرَ الضّابِطُ عَمّا يَقْصِدُهُ ، فَقالَ الرَّجُلُ : « لَقَدْ جاءَ الشَّيْطانُ إلى النّافِذَةِ مُنْذُ ساعَتَيْنِ ! وَكانَ وَجْهُهُ قَبيحاً ، وَلَهُ عَيْنانِ واسِعَتانِ وَأَسْنانٌ صَفْراءُ بارِزَةٌ كَأَنْيابِ الحَيَوانِ المُفْتَرِسِ .»

قالَ الضّابِطُ : « لا يَنْبَغي عَلى رَجُلٍ مِنَ الشُّرْطَةِ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهذا الأُسْلوبِ !»

قالَ هُولْمز : « لِنَبْحَثِ الأَمْرَ .»

وَدَخَلْنا المَطْبَخَ ، فَوَجَدْناهُ غُرْفَةً كَبيرَةً مُظْلِمَةً خَلْفَ البَيْتِ ، بِوَسَطِها مِنْضَدَةٌ فَوْقَها أَطْباقٌ لا يَزالُ بِها آثارُ الطَّعامِ . وَلاحَظْنا شَيْئاً

غَريبًا فَوْقَ دولابِ المَطْبَخِ ؛ كانَتْ ثَمَّةَ دُمْيَةٌ سَوْداءُ مَكْسُوَّةٌ بِالرّيشِ ، شُكِّلَتْ عَلى هَيْئَةِ شَخْصٍ حَوْلَهُ حِزامٌ مِنَ القَواقِعِ البَحْرِيَّةِ ، كَما وَجَدْنا بِجِوارِها بَقايا طائِرٍ كَبيرٍ أَبْيَضَ مَكْسُوٍّ بِالرّيشِ ، انْتُزِعَ مِنْهُ رَأْسُهُ وَرِجْلاهُ وَجَناحاهُ ، وَكانَتْ مُبَعْثَرَةً بِجانِبِهِ . كَما وَجَدَ الضّابِطُ تَحْتَ المِنْضَدَةِ دَلْوًا مَمْلوءَةً بِالدِّماءِ ، وَبَعْضَ العِظامِ المُحْتَرِقَةِ . وَتَجَوَّلْنا في البَيْتِ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ فَانْصَرَفْنا ، وَذَهَبَ ضابِطُ الشُّرْطَةِ إِلى عَمَلِهِ .

وَمَضَتْ عِدَّةُ أَيّامٍ كانَ فيها هُولْمز يَقومُ بِمُفْرَدِهِ بِزِيارَةٍ لِقَرْيَتَيْ إِيشِرٍ و أوكْسشُوت مُتَظاهِرًا بِأَنَّهُ عالِمٌ يَجْمَعُ النَّباتاتِ النّادِرَةَ ؛ حَتّى تُتاحَ لَهُ الفُرْصَةُ لِلتَّحَدُّثِ إِلى أَهْلِ القَرْيَةِ .

وَذاتَ صَباحٍ قَرَأْتُ في إِحْدى الصُّحُفِ هذا العُنْوانَ : «كَشْفُ غُموضِ حادِثِ أوكْسشُوت وَإِلْقاءُ القَبْضِ عَلى القاتِلِ !»

فَلَمّا قَرَأْتُهُ عَلى هُولْمز صاحَ مُتَعَجِّبًا : « يا إِلهي ! هَلْ تَمَكَّنَ الضّابِطُ مِنَ الوُصولِ إِلى القاتِلِ بِهذِهِ السُّرْعَةِ ؟! »

وَسَأَلْتُ هُولْمز عَمّا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ مِنْ مَعْلوماتٍ أَثْناءَ حَديثِهِ مَعَ أَهْلِ القَرْيَةِ ، فَقالَ : « إِنَّ العُثورَ عَلى جُثَّةٍ مُهَشَّمَةٍ وَمُلْقاةٍ بَيْنَ الأَشْجارِ قَدْ أَثارَ اهْتِمامَهُمْ ، وَمِنَ الواضِحِ أَنَّ هذِهِ الجَريمَةَ البَشِعَةَ ارْتُكِبَتْ

مِنْ أَجْلِ السَّرِقَةِ . وَحامَتِ الشُّبُهاتُ حَوْلَ الخادِمِ وَالطَّبّاخِ بِسَبَبِ اخْتِفائِهِما بَعْدَ الحادِثِ ، وَتَمَكَّنَ رِجالُ الشُّرْطَةِ مِنْ إِلْقاءِ القَبْضِ عَلى الطَّبّاخِ الَّذي كانَ مُخْتَبِئًا في أَحَدِ الأَماكِنِ المَهْجورَةِ ، وَ وَجَّهوا إِلَيْهِ تُهْمَةَ قَتْلِ غارْسيا .»

وَرَأى هُولْمز أَنْ نَتَوَجَّهَ لِمُقابَلَةِ الضّابِطِ بِينْز ، فَذَهَبْنا إِلى بَيْتِهِ ، وَكانَ موشِكًا عَلى الخُروجِ ، فَقالَ لَهُ هُولْمز : « لَقَدْ قَرَأْنا ما نَشَرَتْهُ الصُّحُفُ اليَوْمَ بِشَأْنِ قَضِيَّةِ غارْسيا ، وَأَرى أَنَّكَ قَدْ تَعَجَّلْتَ الأُمورَ . إِنَّني بَحَثْتُ القَضِيَّةَ بِدِقَّةٍ ، وَيَبْدو أَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ !»

قالَ الضّابِطُ : « فيمَ أَخْطَأْتُ ؟! وَعَلى أَيَّةِ حالٍ ؛ لَكَ أُسْلوبُكَ وَلي أُسْلوبي .»

ثُمَّ أَنْهى كَلامَهُ قائِلاً : « دَعْني أُحَدِّثْكَ ، يا سَيِّدُ هُولْمز ، عَنْ هذا الطَّبّاخِ ؛ إِنَّهُ رَجُلٌ قَوِيٌّ مُتَوَحِّشٌ ، كادَ يَبْتُرُ إِصْبَعَ أَحَدِ رِجالِ الشُّرْطَةِ ، عِنْدَ إِلْقاءِ القَبْضِ عَلَيْهِ . وَهُوَ يَتَحَدَّثُ الإِنْجليزِيَّةَ بِصُعوبَةٍ ، وَلَهُ صَوْتٌ كَصَوْتِ الحَيَوانِ !»

وَفي المَساءِ كُنّا جالِسَيْنِ في غُرْفَتِنا بِفُنْدُقِ القَرْيَةِ ، حينَ قالَ هُولْمز : « أَعْتَقِدُ ، يا واطْسُن ، أَنَّ غارْسيا كانَ يُخَطِّطُ لِارْتِكابِ جَريمَةٍ ما ، وَلِذلِكَ دَعا سكوت إِكلز إِلى بَيْتِهِ لِكَيْ يَتَّخِذَ مِنْهُ

شاهِداً ، وَأعْتَقِدُ أنَّهُ قُتِلَ أثْناءَ مُحاوَلَتِهِ تَنْفيذَ جَريمَتِهِ . وَإنَّني أرَجِّحُ أنَّ الشَّخْصَ الَّذي كانَ غارْسيا يُخَطِّطُ لِلْقَضاءِ عَلَيْهِ ، هُوَ الَّذي قَتَلَهُ.»

وَسَكَتَ قَليلاً ثُمَّ تابَعَ الكَلامَ : « أمّا سَبَبُ اخْتِفاءِ الخادِمَيْنِ فَمِنَ السَّهْلِ مَعْرِفَتُهُ ، فَقَدْ كانَ الجَميعُ مُشْتَرِكينَ في المُؤامَرَةِ الَّتي لَوْ كُتِبَ لَها النَّجاحُ ؛ لَعادَ الجَميعُ إلى وِيسْتِريا لُودْج ، وَاتَّخَذَ غارْسيا مِنْ وُجودِ سكُوت إكِلز دَليلاً عَلى وُجودِهِ في البَيْتِ، وَبَراءَتِهِ مِنَ الحادِثِ المُرْتَكَبِ . أمّا إذا فَشِلَتِ الجَريمَةُ فَكانَ عَلى الخادِمَيْنِ أنْ يَخْتَبِئا في مَكانٍ مُنْعَزِلٍ ، لِتَدْبيرِ مُؤامَرَةٍ جَديدَةٍ .»

قُلْتُ مُعْتَرِضاً : « وَلِماذا إذاً عادَ أحَدُ الخادِمَيْنِ إلى وِيسْتِريا لُودْج ؟»

أجابَ هُولمز : « رُبَّما يَكونُ هذا الخادِمُ قَدْ تَرَكَ في البَيْتِ شَيْئاً يَهُمُّهُ فَعادَ لِيَأخُذَهُ . أمّا الرِّسالَةُ الَّتي وَصَلَتْ إلى غارْسيا وَ وُقِّعَتْ بِالحَرْفِ «د» فَإنّي أعْتَقِدُ أنَّ هذا الحَرْفَ هُوَ بِدايَةُ اسْمٍ لِسَيِّدَةٍ كانَتْ مُشْتَرِكَةً في المُؤامَرَةِ ، وَلكِنّي حَتّى الآنَ لَمْ أسْتَطِعْ أنْ أسْتَدِلَّ عَلى البَيْتِ الَّذي أجِدُها فيهِ . وَاسْتَفْسَرْتُ عَنْ أصْحابِ البُيوتِ الكَبيرَةِ هُناكَ ؛ فَاسْتَرْعى انْتِباهي بَيْتٌ يُعْرَفُ بِاسْمِ « هاي غيبِل » لا يَبْعُدُ كَثيراً عَنْ أوكْسشُوت ، وَقَدْ وُجِدَتْ جُثَّةُ غارْسيا في مَكانٍ

مُنْعَزِلٍ قَريبٍ مِنْهُ ، وَيَسْكُنُهُ رَجُلٌ أجْنَبِيٌّ يُدْعى هَنْدَرْسُون ، وَهُوَ واسِعُ الثَّراءِ يُحيطُ نَفْسَهُ بِعَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الخَدَمِ ، بَعْضُهُمْ مِنْ جِنْسِهِ . وَ قَدْ تَمَكَّنْتُ مِنْ مُشاهَدَتِهِ فَوَجَدْتُهُ يَبْلُغُ مِنَ العُمْرِ نَحْوَ الخَمْسينَ عاماً ، قَوِيَّ البِنْيَةِ ، حادَّ البَصَرِ، أشْيَبَ الشَّعْرِ ، لَهُ شَخْصِيَّةٌ مُتَميِّزَةٌ ، يُلازِمُهُ سِكْرِتيرٌ خاصٌّ أسْمَرُ البَشَرَةِ مُتَجَهِّمُ الوَجْهِ ، يُدْعى لُوكاس .»

وَسَكَتَ هُنَيْهَةً ، ثُمَّ واصَلَ الكَلامَ : « أمامَنا الآنَ مَجْموعَتانِ مِنَ الأجانِبِ ، إحْداهُما تُقيمُ في وِيسْتِريا لُودْج ، وَالأخْرى تُقيمُ في هاي غيبِل . وَأعْتَقِدُ أنَّنا إذا تَمَكَّنّا مِنْ مَعْرِفَةِ العَلاقَةِ بَيْنَ المَجْموعَتَيْنِ عَرَفْنا سِرَّ هذِهِ القَضِيَّةِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أنَّ لِلسَّيِّدِ هَنْدَرْسُون بِنْتَيْنِ صَغيرَتَيْنِ ، وَضَعَهُما تَحْتَ رِعايَةِ مُرَبِّيَةٍ إنْجليزِيَّةٍ تُدْعى بِيرِنْت، وَهِيَ سَيِّدَةٌ في الأرْبَعينَ مِنْ عُمْرِها .»

وَسَألْتُ هُولمز عَنْ كَيْفِيَّةِ تَوَصُّلِهِ لِهذِهِ المَعْلوماتِ ، فَقالَ : « لَقَدْ كانَ الحَظُّ حَليفي ، فَقَدِ الْتَقَيْتُ الرَّجُلَ الَّذي كانَ يُشْرِفُ عَلى حَديقَةِ البَيْتِ ، وَهُوَ إنْجليزِيٌّ ، وَ قَدْ فَصَلَهُ هَنْدَرْسُون مِنَ العَمَلِ وَلكِنَّهُ لا يَزالُ عَلى عَلاقَةٍ بِخَدَمِ البَيْتِ ، وَهُوَ الَّذي يُطْلِعُني عَلى كَثيرٍ مِنَ الأسْرارِ . وَقَدْ أخْبَرَني هذا العامِلُ بِأنَّ صاحِبَ البَيْتِ فَظٌّ غَليظُ القَلْبِ ، مَكْروهٌ مِنْ خَدَمِهِ الَّذينَ يُكِنّونَ لَهُ الكَراهِيَةَ

وَالاحْتِقار . وَأَخْبَرَني عمّا يدورُ في داخِلِ البَيْتِ ، وَأنّهُ يَحْتَوي على جَناحَيْن ، تُقيمُ الأُسْرَةُ في أَحَدِهِما ، وَخُصِّصَ الآخَرُ لِلْخَدَمِ ، وَيَفْصِلُ الجَناحَيْنِ جِدارٌ بِهِ بابٌ واحِدٌ ، لا يَتَعدّاهُ أَحَدٌ مِنَ الخَدَمِ إِلّا الخادِمَ الخاصَّ لِلسَّيِّدِ هَنْدِرْسُون ، وَأَنَّ هذا السَّيِّدَ لا يَسْمَحُ لِبِنْتَيْهِ بِالخُروجِ إِلّا نادِراً ، كَما أَنَّهُ لا يَخْرُجُ إِلّا إذا كانَتْ هُناكَ حاجَةٌ مُلِحَّةٌ ، وَعِنْدَئِذٍ يَصْطَحِبُ مَعَهُ سِكْرِتِيرَهُ الخاصَّ الَّذي يُلازِمُهُ مُلازَمَةَ الظِّلِّ لِصاحِبِهِ . وَ حَدَّثَني عامِلُ الحَديقَةِ أَنَّ السَّيِّدَ هَنْدِرْسُون مَجْهولُ الهُوِيَّةِ ، وَلا يُعْرَفُ مِنْ أَيْنَ قَدِمَ ، وَقَدْ باعَ نَفْسَهُ لِلشَّيْطانِ مِنْ أَجْلِ المالِ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ يُبْغِضُهُ مِنْ أَعْماقِ قَلْبِهِ . وَعَرَفْتُ مِنْهُ قَسْوَةَ الرَّجُلِ مَعَ خَدَمِهِ ، وَأَنَّهُ لا يَتَوَرَّعُ عَنْ ضَرْبِهِمْ بِالسِّياطِ !»

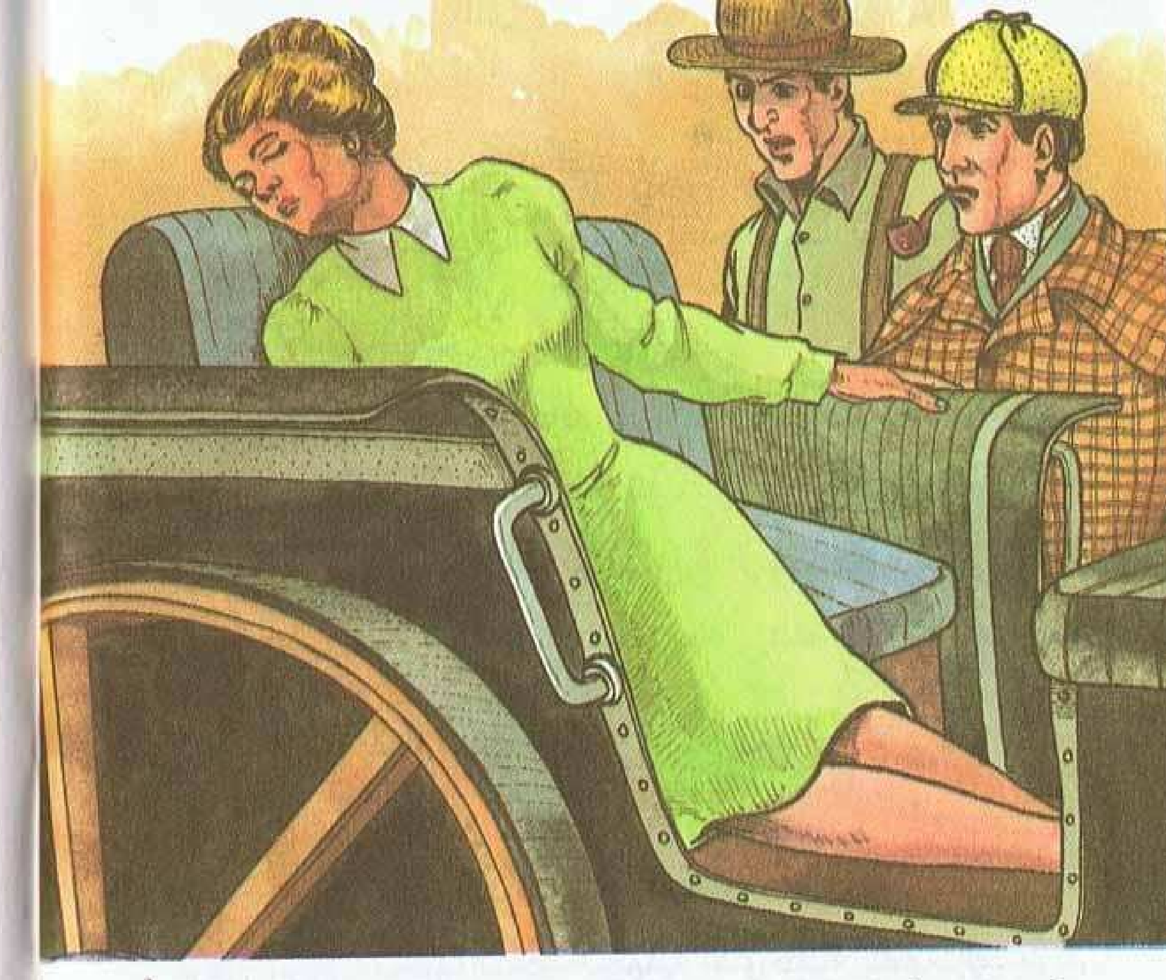
وَسَكَتَ هُولمْز قليلاً رَيْثَما يُشْعِلُ غَلْيونَهُ ، ثُمَّ قالَ : « إِنّي أرى ، يا واطْسُن ، أَنَّ هؤلاءِ الخَدَمَ لا يُحِبّونَ سَيِّدَهُمْ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الخِطابَ الَّذي وَصَلَ إلى غارْسيا قَدْ بَعَثَ بِهِ أَحَدُ الخَدَمِ ، وَأَنَّهُ يَحْتَوي على دَعْوَةٍ لِغارْسيا لِكَيْ يَبْدَأَ تَنْفيذَ خُطَّةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْها ، وَرُبَّما كانَتِ المُرَبِّيَةُ بيرِنْت هِيَ الَّتي كَتَبَتْ هذا الخِطابَ . وَمِنَ الواضِحِ أَنَّ المُؤامَرَةَ قَدْ فَشِلَتْ وَقُتِلَ غارْسيا ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هذهِ المُرَبِّيَةَ قَدِ اشْتَرَكَتْ فيها . إذاً لا بُدَّ مِنَ الاتِّصالِ بِها ، وَاسْتِغْلالِ ما قَدْ يَكونُ لَدَيْها الآنَ مِنْ حِقْدٍ على أَعْداءِ غارْسيا .»

وَتَبَيَّنَ لَنا أَنَّ بيرِنْت قَدِ اخْتَفَتْ في اللَّيْلَةِ الَّتي قُتِلَ فيها غارْسيا ، وَطَلَبَ هُولمْز مِنْ عامِلِ الحَديقَةِ أَنْ يُشَدِّدَ مُراقَبَتَهُ لِلْبَيْتِ ، وَ يُبْلِغَنا بِما يَجِدُّ فيهِ مِنْ أُمورٍ أَوَّلاً بِأَوَّلٍ .

وَ بَيْنَما كُنّا جالِسَيْنِ بِغُرْفَتِنا في الفُنْدُقِ ، حَضَرَ عامِلُ الحَديقَةِ وَقالَ : « إِنَّ هَنْدِرْسُون قَدْ غادَرَ البَيْتَ ، يا سَيِّدي ، وَمَعَهُ أُسْرَتُهُ وَخَدَمُهُ ، أَمّا المُرَبِّيَةُ فَقَدْ ساعَدْتُها على الهَرَبِ ، وَهِيَ مَعي الآنَ بِالعَرَبَةِ أَمامَ الفُنْدُقِ .»

وَنَزَلْنا لِمُقابَلَتِها ، وَكانَتْ في حالَةٍ بالِغَةٍ مِنَ الإِعْياءِ ، وَتَكادُ تَكونُ فاقِدَةً لِلْوَعْيِ ، وَيَبْدو أَنَّها خُدِّرَتْ . وَأَخْبَرَنا عامِلُ الحَديقَةِ فَقالَ : « إِنَّ خَدَمَ هَنْدِرْسُون قَدِ اصْطَحَبوها مَعَهُمْ ، وَهِيَ فاقِدَةُ الوَعْيِ ، إلى مَحَطَّةِ السِّكَّةِ الحَديدِيَّةِ ، وَحاوَلوا دَفْعَها إلى عَرَبَةِ القِطارِ ، وَلكِنَّها كانَتْ قَدْ عادَتْ إلى رُشْدِها فَقاوَمَتِ الخَدَمَ بِكُلِّ ما أوتِيَتْ مِنْ قُوَّةٍ ، إلى أَنْ غادَرَ القِطارُ المَحَطَّةَ ، فَأَخَذْتُها مَعي في العَرَبَةِ وَجِئْتُ بِها إِلَيْكَ يا سَيِّدي .»

وَساعَدْنا بيرِنْت عَلى الصُّعودِ إلى حُجْرَتِنا ، وَ وَضَعْناها في السَّريرِ لِتَسْتَريحَ ، وَقَدَّمْنا لَها كوباً مِنَ القَهْوَةِ السّاخِنَةِ لِكَيْ تَسْتَعيدَ نَشاطَها . وَأَرْسَلَ هُولمْز إلى الضّابِطِ بِينْز فَحَضَرَ بَعْدَ قَليلٍ ، وَقالَ



إنّه كانَ يتعقّبُ هَنْدَرْسُون مُنْذُ البِدايَةِ ، وَإنّهُ كانَ مُخْتَبِئاً فَوْقَ الشَّجَرَةِ
حينَما كانَ هُولمز يُراقِبُ المَنْزِلَ . وَسَأَلَهُ هُولمز عَنْ سَبَبِ إلْقائهِ
القَبْضَ عَلى الطَّبّاخِ ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنّهُ فَعَلَ ذلِكَ حَتّى يَعْتَقِدَ هَنْدَرْسُون
أنّهُ نَجا وَأَصْبَحَ آمِناً ، وَأنّهُ لَجَأ إلى هذِهِ الحيلَةِ حَتّى يُمْكِنَ مُقابَلَةُ
بِيرِنْت .

وَسَأَلَ هُولمز الضّابِطَ عَنْ هَنْدَرْسُون ، فَقالَ : « اِسْمُهُ الحَقيقيُّ

جُوان مُوريللو ، وَيُعْرَفُ بِاسْمِ وَحْشِ سان پيدْرو . وَكانَ حاكِماً لِهذِهِ
الوِلايَةِ ، وَكانَ فَظّاً قاسِياً ، وَظالِماً مُسْتَغِلّاً ، فَقامَتْ ضِدَّهُ ثَوْرَةٌ
وَلكِنَّهُ تَمكَّنَ مِنَ الهَرَبِ بَعْدَ أَنْ نَهَبَ خِزانَةَ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَوْلى عَلى
كُنوزِ بِلادِهِ ، ثُمَّ اخْتَفى عَنِ الأَنْظارِ تَماماً .»

وَكانَتْ بِيرِنْت تُتابِعُ حَديثَنا ، فَقالَتْ : « إنَّ خُصومَهُ لَمْ يَهْدَأْ
لَهُمْ بالٌ حَتّى تَمَكّنوا مُنْذُ عامٍ مَضى مِنَ العُثورِ عَلَيْهِ . أمّا غارْسيا –
ذلِكَ الرَّجُلُ العَظيمُ ، فَقَدْ قُتِلَ وَهُوَ يُحاوِلُ الفَتْكَ بِمُوريللو .»

ثُمَّ أَضافَتْ في حَنَقٍ : « إنّنا سَنُواصِلُ الجِهادَ حَتّى نَتَمَكَّنَ مِنَ
القَضاءِ نِهائِياً عَلى هذا الوَحْشِ الكاسِرِ !»

وَسَأَلَها هُولمز عَنْ سَبَبِ تَوَرُّطِها في مِثْلِ هذِهِ المُؤامَراتِ السِّياسِيَّةِ
الَّتي تَخُصُّ بَلَداً أَجْنَبِيّاً ، وَهِيَ إنْجليزِيَّةٌ ، فَقالَتْ : « إنَّ هَنْدَرْسُون
لِصٌّ وَسَفّاحٌ ؛ قَتَلَ وَظَلَمَ وَنَهَبَ ، وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ العَدْلُ مَجْراهُ ،
وَيَلْقى ما يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِقابٍ ؛ جَزاءَ هذِهِ الجَرائِمِ البَشِعَةِ .»

وَسَأَلَها هُولمز مَرَّةً أُخْرى عَنْ سَبَبِ تَدَخُّلِها في هذِهِ الأُمورِ ،
فَقالَتْ : « سَوْفَ أَقُصُّ عَلَيْكَ كُلَّ شَيْءٍ يا سَيِّدي .»

وَبَدَأَتْ تَحْكي قِصَّتَها فَقالَتْ : « أَنا زَوْجَةُ ڤيكْتور دُورانْدو ، وَهُوَ

المُمَثِّلُ السِّياسِيُّ لِحُكومَةِ لَنْدَن في سان پيدْرو ، وَكانَ رَجُلاً نَبيلاً طَيِّباً ، وَقَدْ تَعارَفْنا هُنا وَ تَزَوَّجْنا ، وَلكِنَّ مُوريللو الحاكِمَ الجَبّارَ أَرادَ أَنْ يَسْتَغِلَّ زَوْجي فَلَمْ يُطِعْهُ ، لأَنَّهُ كانَ نَزيهاً شَريفاً ؛ فَحَقَدَ عَلَيْهِ وَدَبَّرَ حادِثاً لاغْتِيالِهِ وَالاسْتيلاءِ عَلى كُلِّ مُمْتَلَكاتِهِ .

«وَقامَتِ الثَّوْرَةُ وَهَرَبَ مُوريللو ، فَتَشَكَّلَتْ جَماعَةٌ سِرِّيَّةٌ لاقْتِفاءِ أَثَرِهِ وَالقَضاءِ عَلَيْهِ ، وَاشْتَرَكْتُ في هذِهِ الجَماعَةِ . وَبَعْدَ بَحْثٍ مُضْنٍ تَمَكَّنّا في النِّهايَةِ مِنَ العُثورِ عَلَيْهِ ، حَيْثُ كانَ يَسْكُنُ في هاي غيبِل بِأُوكْسْشوت ، مُنْتَحِلاً اسْمَ هَنْدَرسُون .

وَكَلَّفَني خُصومُ هذا الطّاغِيَةِ بِالانْضِمامِ إِلى خَدَمِهِ في البَيْتِ ، وَتَمَكَّنْتُ مِنْ ذلِكَ ، وَدَخَلْتُ هاي غيبِل مُرَبِّيَةً لابْنَتَيْ جُوان مُوريللو ، وَكُنْتُ أَبْتَسِمُ وَأُطيعُ الأَوامِرَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ اليَسيرِ التَّخْطيطُ لاغْتِيالِهِ ، فَجاءَ غارْسيا وَخادِماهُ إِلى المِنْطَقَةِ ، وَأَقاموا في وِيسْتِريا لُودْج ، الَّذي لا يَبْعُدُ كَثيراً عَنْ هاي غيبِل . وَكانَ لُوكاس ، الخادِمُ الأَمينُ لِمُوريللو يَتَوَلّى حِراسَتَهُ ، وَيُلازِمُهُ كَظِلِّهِ حَتّى في حُجْرَةِ النَّوْمِ .»

« وَفي لَيْلَةٍ ظَنَنْتُ أَنَّ لُوكاس قَدْ خَرَجَ مِنَ البَيْتِ ، وَأَصْبَحَ مُوريللو بِغَيْرِ حِراسَةٍ ، فَبَعَثْتُ بِرِسالَةٍ عاجِلَةٍ إِلى غارْسيا ، وَكُنْتُ قَدِ

اتَّفَقْتُ مَعَهُ عَلى أَنَّهُ إِذا رَأى ضَوْءاً أَخْضَرَ ، فَهذا يَعْني أَنَّهُ يَسْتَطيعُ دُخولَ المَنْزِلِ ، لأَنَّ الأَبْوابَ تَكونُ مَفْتوحَةً وَالطَّريقَ إِلى مَخْدَعِ مُوريللو آمِنٌ .»

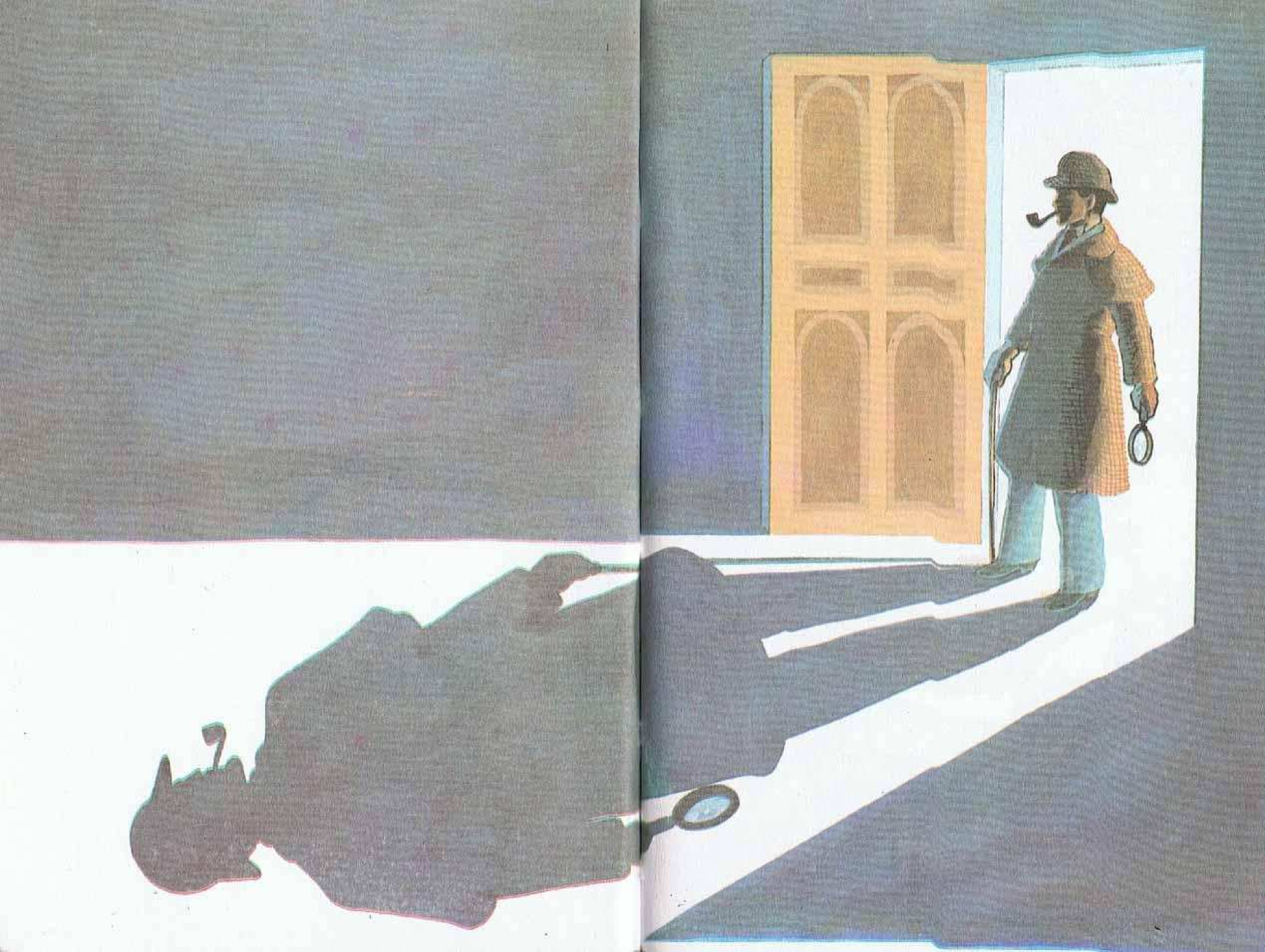
وَصَمَتَتْ بيرِنْت هُنَيْهَةً ، وَقَدْ ظَهَرَتْ عَلاماتُ الأَسى وَالغَيْظِ عَلى وَجْهِها ، ثُمَّ عادَتْ لِتُكْمِلَ القِصَّةَ فَقالَتْ : « آهٍ يا سَيِّدي ! كانَ لُوكاس- مَعَ الأَسَفِ الشَّديدِ - مَوْجوداً بِالبَيْتِ لَمْ يُغادِرْهُ ، وَكانَ يُراقِبُ تَحَرُّكاتي فَرَأى الرِّسالَةَ في يَدي ، فَانْقَضَّ عَلَيَّ وَانْتَزَعَها مِنّي ، وَدَفَعَني إِلى غُرْفَةٍ وَأَغْلَقَ البابَ ، وَأَوْسَعَني لَكْماً وَسَبّاً ، وَكادَ يَقْضي عَلَيَّ بِخَنْجَرٍ في يَدِهِ لَوْلا أَنَّ مُوريللو جاءَ وَمَنَعَهُ. وَأَمْلى عَلَيَّ الرِّسالَةَ الَّتي بَعَثوا بِها إِلى غارْسيا ، فَصَدَّقَ ما جاءَ بِها، وَحَضَرَ إِلى هاي غيبِل ، وَكانَ الرِّجالُ في انْتِظارِهِ ، فَتَمَكَّنوا مِنِ اغْتِيالِهِ وَ أَلْقَوْا بِجُثَّتِهِ في العَراءِ !»

وَكانَتْ بيرِنْت تَبْكي في أَسًى وَلَوْعَةٍ ، وَهِيَ خائِرَةُ القُوى ، وَلكِنَّها واصَلَتِ الحَديثَ فَقالَتْ : « وَبَقيتُ وَحيدَةً حَبيسَةً في تِلْكَ الحُجْرَةِ المَعْزولَةِ خَمْسَةَ أَيّامٍ قاسِيَةٍ ، ذُقْتُ فيها شَتّى أَلْوانِ العَذابِ ، وَكانَ يُقَدِّمُ لِيَ القَليلَ مِنَ الطَّعامِ . وَفي اليَوْمِ الخامِسِ قَدَّموا لي وَجْبَةً شَهِيَّةً مَخْلوطَةً بِالأَفْيونِ ، فَفَقَدْتُ الوَعْيَ وَرُحْتُ في غَيْبوبَةٍ . وَعِنْدَما أَفَقْتُ وَجَدْتُهُمْ يَدْفَعونَني بِقَسْوَةٍ لِرُكوبِ قِطارٍ كانَ واقِفاً

بِمَحَطَّتِه ، فَاسْتَعَدْتُ قُوايَ وَشَعَرْتُ بِأَنَّني أَفَقْتُ مِنْ كابوسٍ مُزْعِج ، وَقاوَمْتُهُمْ بِشِدَّةٍ ، وَاسْتَطَعْتُ الفِرارَ مِنْهُمْ . وَها أنا ذا أَقِفُ أَمامَكُمُ الآنَ لا حَوْلَ لي وَلا قُوَّةَ .»

تِلْكَ هِيَ القِصَّةُ الَّتي شاءَ القَدَرُ أَنْ نَتَتَبَّعَ أَحْداثَها . وَمَضَتِ الشُّهورُ وَالأَيّامُ حَتّى حَضَرَ إلى بَيْتِ هُولْمز في لَنْدَن الضّابِطُ بِينز ، وَمَعَهُ صَحيفَةٌ ، وَأَطْلَعَنا عَلى خَبَرٍ مَنْشورٍ بِها ، جاءَ فيهِ أَنَّ حاكِمَ سان بِيدْرو وَمُساعِدَهُ قَدْ لَقِيا حَتْفَهُما في مَدْريد ، عَلى يَدِ مُنَظَّمَةٍ ثَوْرِيَّةٍ تَمَكَّنَتْ مِنْهُما هُناكَ ، وَلَمْ يُسْتَدَلَّ عَلى أَحَدٍ مِنَ الجُناةِ .





مغامرات شرلوك هولمز

١- العصابة المرقطة وقصتان أخريان .

٢- النظارة الذهبية وقصتان أخريان .

٣- عصبة ذوي الشعر الأحمر وقصص أخرى .



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت

رقم الكمبيوتر 01 C 198403